

لقداسات جمع وعشيات الاحاد واحاد
واعيداد السنة القبطية

المواعظ الالهية

الكتاب الأول

فترة الصوم الكبير والخماسين المقدسة



مراجعة وتقديم

نبافة الانبا متاؤس

اسقف ورئيس دير السريان

مكتبة
المكية

تصميم

اشممن لوقا الأنطوني

المواعظ الإلهية

لقداسات جمع وعشيات الأحاد
وأحاد وأعياد السنة القبطية

الكتاب الأول

ويشمل فترة الصوم الكبير والخماسين المقدسة

بقلم

القمص لوقا الأنطونى

مراجعة وتقديم

نيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان

إهداء الكتاب

إلى أبينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس

كوكب البرية وأب جميع الرهبان .
إلى العاملين في كرم الرب .
إلى الرعاة والمعلمين .
إلى الآباء والبنين .
إلى من تهمة نفسه .
ويتوق إلى خلاص الآخرين .
أهدى هذا الكتاب مع تضرعاتي إلى
الله ليستخدمه لمجد اسمه القدوس — آمين .



القديس العظيم الأنبا أنطونيوس



قداسة البابا شنودة الثالث



نيافة الأنبا متاؤس

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

مقدمة الطبعة الثانية

ما كادت تظهر الطبعة الأولى من المواعظ الإلهية ، الجزء الأول والرابع : ويشملان فترة الصوم الكبير والخماسين المقدسة. حتى نفذت بعد فترة وجيزة. ومن وقتها أبدى الكثيرون من دارسى الكتاب المقدس رغبتهم فى إعادة طبع الجزء ان مرة أخرى.

واننى أجتو أمام إلهنا القدوس ، شاكراً عظيم نعمته ومؤازرته. فها هى الطبعة الثانية تظهر مع بدء الصوم المقدس فى مجلد واحد ويشمل عظات لقداسات جمع وعشيات الأحاد وأحاد وأعياد السنة القبطية فى طبعة جديدة ومنقحة.

قال السيد المسيح له المجد لتلاميذه «وصية جديدة أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا» (يو ١٣ : ٣٤). وأحب التلاميذ معلمهم، فانطلقوا يكرزون ويبشرون باسمه ويحملون رسالته..

وكما كان السيد المسيح نموذجاً عالياً ومثالاً سامياً لكل معلم فى شخصيته وصفاته وأهليته، كذلك كان فى علاقته كمعلم بتلاميذه خصوصاً، وبجميع الناس كافة.

وقد كانت هذه المحبة من جانب التلاميذ لمعلمهم الأعظم سر الحماية التى صبت فى دمائهم حرارة، فطفقوا يعبرون عن حبهم، مدفوعين به إلى العمل من أجل اسمه، ونشر دعوته، محتملين عن رضى كل عنت وإضطهاد من أجله. ومما سجله سفر أعمال الرسل عن تلاميذ السيد المسيح أن قادة اليهود استحضروهم للمحاكمة أمام مجمع السنهدريم، وهو أعلى سلطة دينية عندهم، بسبب

تبشيرهم باسم معلمهم. ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم ألا يعلموا باسم يسوع، ثم أطلقوهم. أما هم فأنصرفوا من أمام المجمع فرحين بأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل هذا الاسم» (أع ٥ : ٤٠ ، ٤١).

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأشكر أسرة مكتبة المحبة التي قامت بطبع ونشر هذا الكتاب الأول وفقها الله فى جميع مشاريعها لمجد اسمه القدوس وخير الكنيسة.. أرجو من الله أن يكون هذا الكتاب سبب بركة وخلص للنفوس.

بشفاعة أمنا العذراء القديسة مريم، وبصلوات أبينا المكرم الطوباوى قداسة البابا شنودة الثالث، وشريكه فى الخدمة الرسولية أبونا المكرمين نياقة الأنبا متاؤس أسقف ورئيس دير السيدة العذراء (السريان)، ونيافة الأنبا يسطس أسقف ورئيس دير أبينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس العامر.

لربنا وإلهنا المجد والإكرام إلى الأبد أمين .

القمص لوقا الأنطونى

٦ مارس ٢٠٠٠م [بدء الصوم المقدس
٢٧ أمشير ١٧١٦ش

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

تقديم الجزء الأول فى طبعته الأولى

تعليم الشعب واشباعه بالانجيل من أهم واجبات الكنيسة .

لذلك خصصت الكنيسة الجزء الأول من قداسها لتعليم الشعب وثقافته كتابياً وروحياً وعقيدياً وتاريخياً ، وأطلقت على هذا الجزء من القداس « قداس الموعوظين » ، أو القداس التعليمى .

ووضعت الكنيسة فى طقسها أن تقرأ فى القداس التعليمى خمسة فصول من الكتاب المقدس هى :

- + البولس : فصل من احدى رسائل معلمنا بولس الرسول
- + الكاثوليكون : فصل من إحدى الرسائل الجامعة .
- + الابركسيس : فصل من سفر أعمال الرسل .
- + المزمور : آية أو أكثر من أحد المزامير .
- + الانجيل : فصل من أحد الأناجيل الأربعة .

تتخلل هذه القراءات قراءة السنكسار بعد قراءة الابركسيس ، والسنكسار هو سيرة شهيد أو قديس اليوم أو تاريخ العيد أو المناسبة . وتختتم هذه القراءات بالعظة مرتبة على انجيل القداس فى المقام الأول ولكن يؤخذ فى الحسبان ارتباط القراءات ببعضها وسيرة قديس اليوم كبرهان عملى على الحياة حسب الانجيل .

بذلك يأخذ الشعب وجبة تعليمية دسمة مشبعة تؤهله للدخول فى جو القداس الإلهى الروحانى فيرتفع عقله وقلبه الى السماء .

والكتاب الذى بين يديك أيها القارئ العزيز هو مجموعة عظات دسمة مرتبة على أناجيل القداسات أيام جمع وآحاد فترة الصوم الكبير والخمسين المقدسة والأعياد التى تتخللها .

بذل فيه الأب الموقر القمص لوقا الأنطونى جهداً كبيراً رائعاً ، وهو ثمرة خدمته وقراءاته وعظاته فى هذه المناسبات لعدة سنين ، جمعها ونقحها وبوها واستعان فيها بالكثير من نصوص الكتاب المقدس وأقوال الآباء وسير القديسين ورجع الى كثير من المراجع واستفاد منها . فجاءت عظاته دسمة مشبعة .

نرجو من الله أن يستفيد بهذا الكتاب كل من يقرأه وأن يكون سبب بركة ومساعدة
للمواعظ والخدام في خدمتهم ووعظهم . وأن يعرض الرب الكاتب أجراً صالحاً سماوياً .
وإلى اللقاء في الجزء الثاني من كتاب .. المواعظ الإلهية لقداسات جمع وآحاد وأعياد
السنة القبطية . منفعة للجميع وسلاماً وبنيناً لكنيسة الله المقدسة عمود الحق وقاعدته .
ولإلهنا المجد في كنيسته إلى الأبد آمين ؟

+

الأنبا متاؤس
الأسقف العام

عيد نياحة القديس العظيم
الأنبا انطونيوس كوكب البرية

٣٠ يناير ١٩٨٦م
٢٢ طوبة ١٧٠٢ ش

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

مقدمة الجزء الأول فى طبعته الأولى

قال الحكيم : تفاح من ذهب فى مصوغ من فضة كلمة مقولة فى محلها (أم ٢٥ : ١١) إلى اشكر الله شكراً جزيلاً قلبياً الذى أفرزنى منذ حدثتى أن أكون خادماً أميناً لكنيسة المقدسة والذى أرشدنى بروحه القدوس . لتقديم كتابى هذا للشعب المسيحى القبطى الأرثوذكسى الغيور . وقد قرأت قبل وضعه كثيراً من الكتب الدينية واقتبست منها ما مكننى من وضع هذه العظات كما ترى أيها القارئ العزيز بأسلوب سهل جذاب سلس .

نحن نعمل حسناً إذ كنا نتمسك بهذا الحق عالمين « أن هبات الله ودعوته هى بلا ندامة » (رو ١١ : ٢٩) .

فان هذا يمنحنا سلاماً يفوق كل عقل ويهبنا ثباتاً وقوة فى الجهاد . وبإلها من نتائج مباركة تلك التى يثمرها لنا وفيها هذا اليقين المبارك . أنظروا أية محبة أعطانا الآب . حتى ندعى أولاد الله .

المواعظ الإلهية : مجموعة من العظات الثمينة الروحية تسمو بالمرء للمثل الأعلى وتحلق به فى سماء المجد وقد جاء اسمه خير معبر عما يحويه . يسعد كل مسيحى أن يقتنيه فيجد بين صفحاته طريق الفضيلة والقداسة .

هذا هو الجزء الأول من كتابى أقدمه لكم أيها القراء الأعزاء . طالباً من الرب أن يؤازرنى بنعمته لإخراج الجزء الثانى من مجموعة سلسلة المواعظ الإلهية من هذا المؤلف .

بما فيه من عظات ذهبية لفائدة الكثيرين موجهة أنظاركم الى الرب يسوع المسيح . طالباً أن يرافقه روح الله بقوة . فيصل الى أعماق القلب . ليكون رسالة خلاص للخطاة . وان يستخدمه الله لمجده ولبنيان النفوس .

وإنى أقدم الشكر لله الذى أعان ضعفى حتى ظهر هذا الكتاب ونضع العمل كله بين يدى الرب .

ونسأله أن يقبل هذه التقدمة كرائحة سرور أمامه . وإنى أنتهز هذه الفرصة السعيدة لأقدم جزيل شكرى وتقديرى والعرفان بالججيل لصاحب القداسة الحبر الجليل نيافة/ الأنبا متاؤس

الأسقف العام الذى باركنا بتفضله بمراجعة وتقديم الكتاب رغم انشغالاته الكثيرة المتزايدة فى خدمة الرب والكنيسة . الرب يعوض تعب محبة نيافته فى أورشليم السماوية .

أسأل الله أن يساعدنى ويقوينى فى كل عمل صالح حتى أتمم خدمتى ورسالتى على أكمل وجه .

بشفاعة ذات الشفاعات معدن الطهر والجود والبركات القديسة الطاهرة العذراء مريم والدة الإله ، وجميع الطغمات السماوية ، وأيينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان . وبركة وصلوات أيينا أب الآباء وراعى الرعاة غبطة البابا الطوباوى / الأنبا شنودة الثالث بابا الأسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية وشريكه فى الخدمة الرسولية آبائنا المكرمين نيافة / الأنبا متاؤس الأسقف العام. ونيافة / الأنبا ديسقورس الأسقف العام ونأظر دير أيينا القديس الأنبا انطونيوس العامر . آدام الله حياتهم سنين عديدة وأزمنة سالمة مديدة . ولإلهنا المجد والإكرام والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

+

القمص لوقا الأنطوني

عيد نياحة القديس العظيم
الأنبا انطونيوس كوكب البرية

٣٠ يناير ١٩٨٦ م
٢٢ طوية ١٧٠٢ ش

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

تقديم الجزء الرابع فى طبعته الأولى

لصاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس الأسقف العام .

سبق للأب الموقر الراهب القمص لوقا الأنطوني أن أصدر الجزء الأول من موسوعته القيمة أيام الجمع والآحاد لفترة الصوم الكبير والخماسين المقدسة فلاقى إقبالاً عظيماً ونفذ بسرعة فائقة .

ثم تلاه الجزءان الثانى والثالث يتضمنان عظات قداسات الآحاد لباقي السنة القبطية .

والآن يصدر جنباه الجزء الرابع من هذه الموسوعة ويتضمن عظات على أناجيل عشيات الآحاد لهذه الفترة الروحانية الهامة من السنة وهى فترة الصوم الكبير والخماسين المقدسة .

لقد استفدت شخصياً من قراءة لهذا الكتاب إذ فيه الكثير من المعلومات القيمة والعظات العميقة التى تمس أوتار النفس فتحزها هزاً ، فهو يحدثننا عن التوبة ونقاوة القلب والباب الضيق والمجئ الثانى للمسيح ووجوب السهر والاستعداد وهو يدعونا إلى التعمق فى حياتنا الروحية وفى علاقتنا مع المسيح نخلصنا كما يدعونا إلى حياة الشكر كل حين على كل شئ وعلى كل حال وإلى محبة الله وتسليمه القلب تسليماً كاملاً شاملاً ، كذلك يدعونا أن نسير فى الطريق مع المسيح حتى النهاية بأمانة وإخلاص وصبر واحتفال حتى ننال الحياة الأبدية التى إلينا دعينا .

أرجو من الله أن يبارك هذا المجهود ليكون سبب بركة لكل من يقرأه وأن يعوض الكاتب كل خير وبركة .

أتمنى من كل قلبى أن تجد صلاة رفع بخور عشية فى كنائسنا الإهتمام اللائق بها
وأن تلقى فيها عظات تعليمية مشبعة حتى يشعر الشعب بمنفعتها فيواظب على حضورها
وينال بركاتها .

بشفاعة أمنا القديسة الطاهرة مريم وصلوات أيينا المكرم البابا المعظم الأنبا شنوده
الثالث آمين .

تذكار نياحة القديس
الأنبا يحنس كاما القس

٤ يناير ١٩٨٨
٢٥ كيهك ١٧٠٤ ش

+

الأنبا متاؤس
الأسقف العام

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد أمين

مقدمة الجزء الرابع فى طبعته الأولى

لقد دفعنى إلى جمع هذا الكتاب — فوق كل شئ — محبة عظيمة لكنيستى القبطية الأرثوذكسية وخدامها المباركين .

يقول معلمنا بولس الرسول لسان العطر ، لتلميذه تيموثيوس : « أنا أناشدك إذاً الله والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته ، اكرز بالكلمة . اعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب . وبخ . انتهر . عظ بكل أناة وتعليم . لأنه سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح ، بل حسب شهواتهم الخاصة يجمعون لهم معلمين مستحكة مسامعهم عن الحق وينحرفون إلى الخرافات وأما أنت فاصح فى كل شئ . احتمل المشقات . اعمل عمل المبشر . تمم خدمتك » (٢تى ٤ : ١-٥) .

لقد وضعت الجزء الرابع من موسوعة المواعظ الإلهية بين يدى القارئ العزيز فى هذه الأيام المباركة لأن فيها تمتلئ الكنائس بالمصلين صباحاً ومساءً وفيها يُقدم الكثيرون على التوبة وممارسة سر الاعتراف والتقدم للأسرار الإلهية . فيها إنسكاب قوة الرب ونصرته على الشيطان فى البرية كى يتآزر بها كل مؤمن ويتسلح بهذه الغلبة فى الجهاد الروحى .

والآن لا يحتاج جيلنا أكثر من العودة إلى روح الكنيسة الأصلية وإلى ممارسة الطريق الروحانى الذى رسمه آباؤنا القديسون الملهمون بالروح القدس . ولتكن فترة الصوم الأربعيني فترة تجديد روحي يحقق فيها الرب قوله : « الآن أقوم أصنع الخلاص علانية » (مز ١٢ : ٥) .

أقدم الشكر من أعماق قلبى لأبينا المحبوب صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس الأسقف العام لمراجعة وتقديم الكتاب ، وأيضاً للسيد الفاضل الشماس الدكتور توماس بطرس أخصائى طب وجراحة العيون بالقاهرة لمراجعة الكتاب لغوياً .

الرب يعوضهما أجراً صالحاً سمائياً في ملكوت السموات .
ليكن هذا الكتاب ذبيحة مقبولة مقدمة لعريس الكنيسة وفاديتها مخلصنا الصالح
يسوع المسيح .

بشفاعة سيدتنا كلنا والدة الإله العذراء القديسة مريم ، وأيينا القديس العظيم الأنبا
أنطونيوس أنى جميع الرهبان وبصلوات أيينا المكرم قداسة البابا شنودة الثالث ،
وشريكه فى الخدمة الرسولية صاحب النياقة الخير الجليل الأنبا متاؤس الأسقف العام .
ولإلهنا المجد والإكرام والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

+

القمص لوقا الأنطوني

تذكار استشهاد

القديس لوقا الإنجيلي

أول نوفمبر ١٩٨٧م

٢٢ بابة ١٧٠٤ ش

عظة إنجيل عشية أحد الرفاع اغفر لنا ... كما تغفر

« ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذى فى السموات زلاتكم » (مر ١١: ٢٥) .

مغفرتك للآخرين شرط أساسى لتلك المغفرة .

إننا نطلب من الله المغفرة . والله من جانبه مستعد أن يغفر . ولكن المهم : هل نحن مستعدون من جانبنا لقبول هذه المغفرة ؟ هناك شروط : فما هى ؟

نقول فى الصلاة « اغفر لنا .. كما تغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا » . إذن مغفرتنا للآخرين شرط أو هى اتفاق بيننا وبين الله . ونلاحظ أن الله اهتم بهذا الشرط جداً . فهذه الطلبة هى الوحيدة من بين الطلبات السبع فى الصلاة الربانية التى علق عليها الوحي الإلهى . وتكلم الرب عنها بعد أن علمنا إياها .. ففى الإنجيل لمعلمنا متى البشير ، يقول الرب بعد هذه الصلاة مباشرة : « فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم ، يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم ، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » (مت ١٤: ١٥) .

ويوضح هذا فى الإنجيل لمعلمنا مرقس الرسول ، فيقول : « ومتى وقفتم تصلون ، فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء ، لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذى فى السموات زلاتكم . وإن لم تغفروا أنتم ، لا يغفر أبوكم الذى فى السموات أيضاً زلاتكم » (مر ١١: ٢٥ ، ٢٦) .

ونفس المعنى أيضاً يتكرر فى الإنجيل لمعلمنا لوقا الرسول ، فيقول الرب : « اغفروا يغفر لكم » . لماذا ؟ يقول « لأنه بنفس الكيل الذى به تكيلون يكال لكم » (لو ٦: ٣٧ ، ٣٨) .

إذن إن أردنا أن يغفر الرب لنا ، علينا أن تغفر نحن أيضاً لمن أذنب إلينا مهما كانت إساءاته ، ومهما كثرت حتى إلى سبع مرات سبعين مرة فى اليوم ، كما أجاب الرب

تلميذه بطرس الرسول . وإن لم نغفر فإننا نغلق باب المغفرة أمام أنفسنا ونكون نحن الخاسرين .. من تلقاء نفسك اغفر ، وبالأكثر إن أتاك المذنب إليك معتذراً ، لا تحقق معه ، وإنما اغفر له .

تذكر كيف أن السيد المسيح وهو على الصليب غفر لصابيه ، وقدم عنهم للآب عذراً ، فقال : « يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » (لو ٢٣: ٣٤) . وتذكر أن القديس إستفانوس ، أول الشمامسة والشهداء ، فيما كان اليهود يرمونه ظلماً ، صلى من أجلهم قائلاً : « يارب ، لا تقم لهم هذه الخطية » (أع ٧: ٦٠) .

تنازل عن حقل تجاه الناس ، لكي يتنازل الرب عن حقوقه من جهتك ، ولكي تكون لك دالة في الصلاة حينما تقول : « كما نغفر نحن أيضاً » . وكذلك لكي تكون بهذا الأسلوب الروحي صورة من أهلك السماوى ، وابناً حقيقياً مشابهاً لأبيه في مغفرته ، حسباً يبلغ مستواك ... أما إن كنت لا تستطيع أن تغفر ، فماذا تفعل ؟ اعتبر هذه الطلبة عظة لك وصل من أجل تحقيقها . اعتبر أن صوت الله يناديك وأنت تصلى ويقول لك : « اغفر لأخيك لكي اغفر لك أنا أيضاً » وفي صلاتك قل من أعماقك : اعطنى يارب أن اغفر . امنحنى الحب الذى أنسى به أخطاء غيرى . وعلى أية الحالات تكون وصية المغفرة ماثلة أمام عينيك .

وهنا نسأل :

ما علاقة طلبة المغفرة بطلبة الخبز السابقة لها ؟ إن كنا نطلب الخبز السماوى ، أى سر الإفخارستيا اللازم لحياتنا الأبدية ، فإننا ما أن نطلبه حتى نذكر أننا محتاجون للمغفرة لكي نتناول باستحقاق لذلك نقول : اغفر لنا . ثم أننا نتذكر أننا يجب أن « نقبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدسة ، لكي ننال بغير وقوع في دينونة ، من هذه الموهبة السماوية . لهذا نقول : كما نغفر نحن أيضاً . إذن يلزم لنا أن نغفر لغيرنا ، وأن يغفر الرب لنا ، لكي نستحق أن نتناول من الأسرار الإلهية .

وإن كنا في طلبة الخبز نطلب كل الأغذية الروحية اللازمة لثبوتنا الروحي ولحياة الأبد ، فإننا نقول للرب : هذا عن المستقبل الذى نريده معك . أما من جهة الماضى فاغفر لنا . أو نقول في اعتذار : على الرغم من كل ما تعطينا من غذاء روحى مازلنا يارب نخطئ ، فاغفر لنا .. على أن عبارة « اغفر لنا » لكي يحققها الرب ، لابد لها من شروط . وفي مقدمة تلك الشروط التوبة ، وقد بين الرب أهميتها بقوله : « إن

لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (لوقا ١٣: ٥) .

الله مستعد أن يغفر ، ولكنه لا يغفر لغير التائبين . إذن التوبة شرط . فإن كانت التوبة هى بداية حياة جديدة مع الله ، فكيف نجتمع بين الله والخطية ؟ والكتاب المقدس يقول « لا شركة بين النور والظلمة » (٢ كور ٦: ١٤) التوبة هى مصالحة مع الله . وهذه المصالحة لازمة للمغفرة . وليست التوبة هى مجرد ترك الخطية بالفعل ، ولا مجرد تركها تغصباً بالفكر وإنما كما يقول القديسون : كما التوبة هى كراهية الخطية .

إن وصل الإنسان إلى حالة كراهية الخطية ، فحينئذ « لا يستطيع أن يخطئ » ولا تكون الخطية موافقة لطبيعته فى حالة التوبة . ولكن قد يقول إنسان أنه تائب ، بينما تدل أفعاله على غير ذلك لهذا فإن الكتاب يقول : « اصنعوا ثماراً تليق بالتوبة » (مت ٣: ٨) فإن قلت فى صلاتك « اغفر لنا » فسل نفسك فى الداخل : هل أنا تائب ؟ هل أنا اصنع ثماراً تليق بالتوبة ؟ هل هذه الثمار ظاهرة فى حياتى وفى سلوكى وتصرفاتى وفى صلحى العملى مع الله ؟ أم أنا أطلب المغفرة بدون هذا كله ؟

كأنك إذن حينما تصلى وتقول « اغفر لنا » إنما تقول ضمناً : اقبل يارب توبتى ، أو امنحنى يارب نعمة بها أتوب ، أو « توبنى يارب فأتوب » . وما علامة هذه التوبة فى حياتك ؟ أول علامة هى : أن تعترف بأنك خاطئ . ويقول الرسول فى ذلك : « إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فىنا . إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا » (١ يوحنا ٨: ٩) .

إن الخطية التى تعترف بها هى التى تطلب عنها مغفرة . أما المواقف التى ترى نفسك فيها غير مخطئ ، أو أن غيرك هو المخطئ ، فهذه لا تدخل فى ذهنك ولا فى قلبك أثناء قولك « اغفر لنا » .

إن اعترفت بمرضك فإنك تطلب من الطبيب السماوى أن يمنحك شفاء وعلاجاً . أما إن قلت إنك غير مريض فإن « الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى » (لوقا ٥: ٣٢) . والرب يقول : « لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » (لوقا ١٣: ٥) . والذى يعترف بينه وبين نفسه أنه خاطئ ومخطئ يستطيع أن يعترف أيضاً على الأب الكاهن وأيضاً على الأب السماوى .

في عبارة « اغفر لنا » تذكر جميع خطاياك ، واعترف بها أمام الله ، ثم اعترف بها أمام وكيله على الأرض (قى ١: ٧) لينحكك حلاً ، وتأخذ من الدم الكريم لتحمي به خطاياك ...

ومن ثمار التوبة أيضاً في حياتك : الانسحاق والندم على الخطية .. إنها ليسا ثمناً للخطية ، إنما علامة على التوبة التي هي شرط للمغفرة . والمغفرة تتم بالكفارة العظمى ، بالدم الطاهر الكريم . ولكن هذا الدم لا يستحق نيل الفداء به إلا المؤمنون التائبون . بالإيمان وبالتوبة وبالاعتراف تتقدم قائلاً (اغفر لنا) .. وحاذر من أن تطلب المغفرة لغيرك دون أن تطلب المغفرة لنفسك ، كما فعل أيوب الصديق الذي كان يقدم محرقات عن ابنه فقط قائلاً : « ربما أخطأ بنى . إلى الله » (أى ١: ٥) دون أن يقدم محرقات عن نفسه .

واعرف أن المغفرة ، حتى بعد أن تتم ، لا تمنع الانسحاق والندم والشعور بعدم الاستحقاق . فداود النبي بلبل فراشه بدموعه ، وعاش في حياة التوبة والبكاء والاعتراف بخطيته ، بعد أن غفرها الرب له .

وبولس الرسول ، بعد أن نال المغفرة وبعد أن ارتفع درجات في حياة الروح ، ظل يقول : « أنا الذى لست مستحقاً أن أدعى رسولاً ، لأنى اضطهدت كنيسة الله » (١ كوه ٩ : ١) . « أنا الذى كنت من قبل مفترياً » (١ قى ١٣ : ١) ولم يقل إن ذلك كله فعله شاؤل الطرسوسى ، وشاول قد مات مع المسيح والموجود الآن هو بولس الذى ارتفع إلى السماء الثالثة .. كلا ، بل قال : « أنا الذى لست مستحقاً أن أدعى رسولاً » .

هل القديسون — كالخطاة — يقولون معهم (اغفر لنا) ...

نعم . الكل يقول هذه الطلبة .. وأول من قالها رسل المسيح . القديسون ، والقديس كلما يتأمل الكمال المطلوب منه ، وصورة الله التي ينبغي أن تكون له ، يشعر في أعماقه أنه خاطيء عن إيمان واقتناع ..

حتى إن فعل القديسون كل ما أمرهم به الرب يقولون « إننا عبيد بطلون » (لو ١٧ : ١٠) .

. إذن فلنطلب كل حين أن يغفر الرب لنا ، ليس الماضى فقط ، وإنما خطايا الحاضر أيضاً ... فنحن فى كل حين نخطئ ، وليست الخطية مجرد ماضٍ تركناه ...

إن إشعياء النبى لما رأى عرش الله ، وحوله السيرافيم يسبحون ، قال : « ويل لى ، لئى هلكت ، لأنى إنسان نجس الشفتين » (إش ٦: ٥) .

فماذا ترانا نقول نحن ؟ نقول « اغفر لنا » ...

ولربنا وإلهنا المجد دائماً أبدياً آمين .

عظة إنجيل قداس رفاع الصوم الكبير

الصوم

ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين (مت ٦ : ١٦)

ان من أهم أوامر الديانة المسيحية ثلاثة أمور : الصوم . والصلاة . والصدقة . وبدون هذا الارتباط الثلاثي تكون العبادة ناقصة ولا تأثير لها بالمرة . لأنه بالصوم نقفل باب الشهوات . وتنصرف الروح على الجسد . والصلاة نفتح باب السموات ونرتقى في النعمة الى القداسة الكاملة . وبالصدقة نحيا الى الأبد ونخلد ونرحم .

ولذلك نرى أن السيد المسيح له المجد عالم بعلاقة هذه الأمور بعضها ببعض كعلاقة الحياة والجسد والعقل بعضها ببعض وضعها في مستوى واحد وأصباح واحد بحيث ان من يهدم أحد الأركان الثلاثة هدم العبادة كلها .

ولذلك لم نرى صلاة مستجابة الا اذا كان للصيام فيها المقام الأول . والصدقة النصيب الأوفر . حتى قال أحد القديسين : صلاة بلا صوم وصدقة لا تتعدى فم صاحبها . ولذا يا أحبائي نتعلم أشياء ثمينة جداً عن موضوعنا في هذا الصباح المبارك ونعمة الله وإرشاد من روحه القدوس نتكلم عن :

أولاً : اذا سألنا سائل وقال لماذا تصومون ؟

فيكون جوابنا على ذلك . ان الشهوات متى حبلت ولدت الخطيئة والخطيئة تلد الموت . وهذا الذى كان فان أبونا آدم . أوصاه الله قائلاً : « من جميع شجر الجنة تأكل أما من شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنه يوم تأكل منها موتاً تموت » (تك ٢ : ١٦ — ١٧) . ولكن الشيطان الخبيث دخل في الحية فدخلت الى أمانا حواء وأغوتها بحسن لسانها على الأكل منها . فيقول الكتاب المقدس : فرأت الشجرة جيدة للأكل . والذى أبان الشجرة جيدة للأكل انما هى الشهوة « فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها معها فأكل » (تك ٣ : ٦) ولذلك صاروا تحت سلطان الموت فكانت الشهوة أول خصم . ولذلك لما شاء سيدنا له المجد أن يعلمنا طريق الله قطع قبل كل شيء رأس الخصم الأول الذى ابعدنا عن طريق الله (أى الشهوة) لأنه بعد العباد « صام أربعين يوماً وأربعين ليلة » (مت ٤ : ٢) وحينئذ أخذ يعلم الشعب بهذه الطريقة العملية وجوب الصيام .

ولكن الشيطان عدو الخير لم يزل ينفث سمومه في البعض فيريهم جمال الأطعمة وحسن لذتها فيأخذون من ثمرتها ويأكلون بل يغوون الآخرين على المخالفة بقولهم « ليس ملكوت الله اكلا وشربا » وتصير ألسنتهم كالسيوف الحادة يقصفون بها أوصال المتدينين ويقولون كما قال الشيطان أبوهم اذا أكلتما منها تنفتح أعينكما وتصيران عارفاً الخير والشر وهذا ما يقوله البعض أن أجسادهم تنمو وصحتهم تتحسن . مالكم ومال الصيام . مع أنه بسبب انحلال الصيام . « صار العالم كله تحت دينونة الله الصارمة » وأما انتم يا أبناء الله فلا تصغوا لهذه الأقوال المفرحة في شكلها ولكن فسادها ظاهر وبين واعلموا أن اللذات ليست مولد فقط للموت الروحي بل والجسدى أيضاً وصدق من قال : من كان شرهأ أكلوا فهو يحفر القبر باسنانه ولا تنسوا يا أحبائي أنه ليس بالخيز وحده يحيا الانسان واذكروا أن آدم وحواء لم يطردا من الفردوس الا من جراء الأكل . والشعب لما شره في أكل اللحوم الكثيرة التي أمطرها الله عليهم اغاظوا الله جداً حتى ان الله ضربهم بموت الفجأة وربما كان أكثر الموت فجائئ في هذه الأيام ناشئاً عن أكل اللحوم الكثيرة لأن الكتاب يخبرنا ان الأعمار لم تقصر الا بعد الطوفان حينما عرف الناس أكل اللحوم وهذا هو عين تعليل رجال الطب في كل العصور لأن تركيب الانسان يدل على أنه مخلوق داجن وليس حيواناً وحشياً .

ولننظر ماذا يقول الكتاب المقدس : « وإذ كان اللحم بعد بين أسنانهم قبل أن ينقطع حمى غضب الرب على الشعب وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جداً فدعى اسم ذلك الموضوع قبور الشهوة لأنهم هناك دفنوا الذين اشتها » (عدد ١١ : ٣٣ ، ٣٤) وان عيسو لما استولى عليه الشر ، باع بكرورته بأكلة عدس ولذلك في وقت اعطاء البركة منع منها (تك ٢٧ : ٣٥) وان أولاد على الكاهن لأنهم كانوا يشتبهون لحم القدس ويأكلونه ماتوا جميعاً في يوم واحد (١ صم ٤ : ١١) . ولكن لننظر ماذا يقول الكتاب المقدس عن الفتية الثلاثة لما فطموا شهوتهم عن أكل أطايب أطعمة الملك وخمر مشروبه فقد ظهروا أسمن لحماً من كافة الفتيان الآكلين ونالوا معرفة وعقلا ولدانيال أعطى تفسير الرؤيا والاحلام (دا ١ : ١٥) ولم تكتب هذه الحادثة الا لترينا ان الصائمين يحسنون ويسمنون والشباعى يقبحون وهيزلون ولذلك السيد له المجد يغبط الجياع ويقول : « طوبى للجياع والعطاش الى البر فانهم يشبعون » (مت ٥ : ٦) ويقول في لوقا الانجيلي « طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون » (لو ٦ : ٢١) موسى بالصوم استنار حتى أنه رأى الله الذى لا يرى وسمع كلام فمه وقيل منه الناموس والالواح (خر ٢٠ : ٢٠ ، ٢٤ : ١٢) .

بالصوم أهل نينوى نجوا من حكم الله وانقذوا مدينتهم من الانقلاب الذى كان مقرراً لها من قبله (يو ٣ : ٧) .

يهوشافاط لما جاء اليه المؤاييون والعمونيون والاراميون وجعل وجهه ليطلب الرب نادى بالصوم في كل يهوذا (٢أى ٢٠ : ١ — ٣) ويوثيل النبي لما جاءت في أيامه ضربة الجراد الثقيلة أمر الشعب بالصوم كما يقول بالتكرار « قدسوا صوماً » (يؤ ١ : ١٤) دانيال لما وجه قلبه للتضرع عن شعبه كان صائماً (دا ٩ : ٣) . استير ومردخاي لما دبر هامان أمر هلاك أمتها وحظيا بانفاذ الأمر من لدن الملك حولوا الهلاك عن امتهم بالصوم وأحقوقه بأعدائهم (اس ٤ : ١٦) . حنة النبية لتعبيدها للإله بالصوم وطلبات استحققت الذكر الصالح ومعرفة السيد المسيح والتبشير به كيوحنا (لو ٢ : ٣٦) . والسيد له المجد لما ابتدأ بكرارته ابتدأ بالصوم لكي يرينا أننا لا ننتصر الا بالصوم . والرسل بالصوم قبلوا موهبة الروح القدس المعزى (اع ٢ : ٣) . وأن الرسل صاموا بعد صعود السيد لأنه قال : « ولكن ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون في تلك الأيام » (لو ٥ : ٣٥) .

الأنبياء والمعلمين الذين كانوا مجتمعين بكنيسة انطاكية بالصوم كانوا يخدمون الرب وبه أعلن لهم الروح القدس عن افراز برنابا وبولس للكراسة « بالصوم والصلاة وضعوا عليهم الأيادى » (أع ١٣ : ٣) بولس بالجوع والعطش كما يفتخر (٢كو ١١ : ٢٧) . وقد كان يوصى قائلاً : لا تصنعوا تديراً للجسد لأجل الشهوات لأن الجسد متى امتلأ من الشبع تعب في القيام بخدمة الله ولذلك الرسول بولس يقول : « لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة » (رو ٨ : ٦) ولا يخفى ان الاهتمام بالجسد انما هو اعطاؤه جميل المأكولات والملذات . وما أحسن قول بولس الرسول « نظهر أنفسنا كخدام الله في صبر كثير في شدائد في ضرورات في ضيقات في ضربات في سجون في اضطرابات في اتعاب في أسهار في أصوام » (٢كو ٦ : ٤ ، ٥) ويقول أيضاً « ان كان أخوك بسبب طعامك يحزن فلست تسلك بعد حسب المحبة لا تهلك بطعامك ذلك الذى مات المسيح لأجله فلا يفتري على صلاحكم لأن ملكوت الله ليس أكلا وشرباً بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس » (رو ١٤ : ١٥ — ١٨) وبما يظهر ضرورة الصيام قوله لأهل فيلبى : « لأن كثيرين يسرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً والآن اذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح الذين نهايتهم الهلاك الذين المههم بطنهم ومجدهم في خزيهم الذين يفتكرون في الأرضيات » (في ٣ : ١٨ ، ١٩) . ويقول عن المرأة المتنعمة فقد ماتت وهى حية (١ تي ٥ : ٦) وبطرس الرسول يقول : « أيها الأحباء اطلب اليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس » (١ بط ٢ : ١١) ولكنه لم يقل ان تمتنعوا عن الصيام .

ثانياً — الصوم معناه الامتناع عن الأكل بتاتا وحسب الاصطلاح فهو الامتناع عن الآتى :

١ — الامتناع عن الأكل مدة من الزمان حسب تقرير الكنيسة وهذه المدة من انتصاف الليل الى خروج الكنيسة . على أنها فى أغلب الاحيان تخرج عند الظهر وبعض الأحيان الى الساعة التاسعة (الساعة الثالثة بعد الظهر) وعلى ذلك ينفى قول الذين يعتقدون أن الصيام عندنا هو عبارة عن أكل وشرب من أول النهار . وهذا هو المقرر فى قوانين الكنيسة المقدسة . وقد أخذ هذا الترتيب الالهى من كتاب الله نفسه اذ يقول الكتاب المقدس عن بطرس الرسول : أنه كان يصوم الى الساعة السادسة من النهار (أع ١٠ : ٩)

وكرنيليوس الرجل التقى الخائف الله الذى قبلت صلواته وصدقاته وأصوامه كان يصوم الى الساعة التاسعة (أع ١٠ : ١ — ٤) وكفى بذلك شاهداً قويا على صحة ترتيب الكنيسة الأرثوذكسية وموافقتها لكلمة الله

٢ — ان الصوم لا يقوم فقط عن الأكل والشرب بل الامتناع عن الشر وشبه الشر وليس كما يدعى البعض علينا ان الصوم عندنا هو مجرد أكل البقول . بل هو الامتناع عن كافة الشر اذ نقول فى كتب التراجم المقدسة « ان الصوم ليس معناه الجوع » مستندين فى ذلك على قول أشعيا النبى اذ يقول : « أليس هذا صوماً اختاره حل قيود الشر فك عقد النير واطلاق المسجونين احراراً وقطع كل نير أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين الى بيتك . اذا رأيت عريانا أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحملك » (اش ٥٨ : ٦ — ٧) . هذا هو الواجب الذى فرضه الله على المؤمنين أثناء صومهم وهو ما تتبعه كنيستنا المقدسة بالحرف الواحد .

٣ — أيضاً يقوم بالامتناع عن جميع اللذات حتى المحللة منها كالتأق فى الطعام . كما ترى ذلك فى الثلاثة فتية الذين اقتصرُوا على أكل القطاى . لأن الصيام هو عبارة عن كبح شهوات النفس وكيف يتأتى ذلك لمن يعطيها كل ما تشتهيه وتريده ويؤيد ذلك بولس الرسول بقوله : « أقمع جسدى واستعبده » (١ كو ٩ : ٢٧) . الامتناع عن الزينة اذ جاء فى قوانين ابن العسال ولا يتزين فى تلك الأيام والنساء لا يضعن حلين لأن الزينة طبعاً تدل على السرور والصيام يدل على الحزن . وهكذا عكس ذلك .

ثالثاً — الا تعرفون أن كنيسةنا الطاهرة المقدسة تعلمنا أن كل الأطعمة محللة ولا يوجد شيء منها نجس أو دنس :

ولكن تأمرنا بالامتناع عن بعض الأطعمة في الصيام ليس بنوع التحريم بل بنوع الامتناع على سبيل الرياضة الروحية وقمع الجسد وتذليل شهواته . وامتناعها عن الأطعمة الدسمة أثناء الصوم ولا يستدل منها على أنها تحرمها ولولا ذلك ما كانت تحملها في أيام غير الأصوام لأن معنى حرام أن الشيء المحرم يكون محرماً دوماً لا أياماً دون أيام كما نعلم من الكتاب المقدس ونحن لا نستند في ذلك على أقوالنا البشرية بل على كتاب الله نفسه انظروا ان الله لما أراد ان بنى اسرائيل يحزنون على خطاياهم ويتذللون أمامه أمر النبي حزقيال أن يأكل متذلاً : « قمحاً وشعيراً وفولاً وعدساً ودخناً وكرسنة (أى كمون) » (حز ٤ : ٩) ولم يطلق له حرية المأكولات بل خصصه وفرزه له لكي نعلم أن أيام الحزن والتذلل والصوم يجب أن تكون مأكولاتها غير دسمة . وليس ذلك فقط بل نحن نصوم على مثال دانيال النبي اذ يقول : « كنت أبكى ثلاثة أسابيع أيام لم آكل طعاماً شهياً ولم يدخل في فمى لحم ولا خمر ولم أدهن حتى تمت ثلاثة أسابيع أيام » (دا ١٠ : ١ — ٣) وليس ذلك فقط بل نحن نصوم على مثال داود النبي الذى كان يصوم بعض ساعات من النهار وفي خلالها يأكل الأشياء الخالية من الدسم والقوة اذ يقول : « ركبناى ارتعشتا من الصوم ولحمى هزل عن سمن » (مز ١٠٩ : ٢٤) .

وعلى ذلك فكنيسةنا كونها تأمرنا بأن نصوم عن اللحوم مدة من الزمان أمر كتابى محض كما أن أكل البقول فيها ليس بدعة كما يدعى علينا البعض .

رابعاً : ينقسم الصوم الى نوعين :

١ — الصوم الخاص

وحكمه حكم الصلاة الانفرادية . فكما أن الصلاة الانفرادية لا يعلم بها أحد خلاف الله كذلك الصوم الخاص لا يعلم به إلا الله كما يقول السيد له المجد : « وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك وأغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذى يرى في الخفاء فابوك الذى يرى في الخفاء يجازيك علانية » (مت ٦ : ١٧ — ١٨)

٢ — الصيام العام :

وهو ما يشترك فيه جميع أفراد الشعب . والذى يقرره انما هي الكنيسة المقدسة . وحكمه حكم الصلاة الجمهورية والصدقات الجمهورية . فاذا جاز للكنيسة أن تسن

صلوات جمهورية جاز لها بموجب السلطان الرسول المعطى لها من الله أن تسن صيامات عامة . وعلى ذلك فقول الذين يقولون أن الصيام لا يجوز لأحد أن يعلم به أبداً إنما هو ينطبق فقط على الصيام الخاص لا العام والا لقلنا لهم لماذا تصلون في كنائسكم صلوات جمهورية عامة معروفة من كل أحد .

فاذا قالوا لنا هذا ما تبيحه كلمة الله . نقول لهم ولماذا اذاً لا تعترفون بصيام عام . ومن المعلوم أن ما جاز على الصلاة يجوز على الصيام . وعلى ذلك نقول أن وضع الكنيسة للصيام كان بإرادة الله وارشاد الروح القدس حيث يقول على فم زكريا النبي : « ان صوم الشهر الرابع وصوم الخامس وصوم السابع وصوم العاشر ليكون ليبت يهوذا ابتهاجاً وفرحاً وأعياداً طيبة » (زك ٨ : ١٩) وكما يقول بفم أشعيا النبي : « أما أنا فهذا عهدى معهم قال الرب . روحى الذى عليك وكلامى الذى وضعت فى فمك لا يزول من فمك ولا من فم نسل نسلك قال الرب من الآن وإلى الأبد » (أش ٢٩ : ٢١) فيقوله بنيك أشار الى الرسل ويقول بنى بنيك أشار الى خلفائهم وبهذا الكلام دل دلالة واضحة على أن معلمى الكنيسة للمهمين بنعمة الروح القدس خلفاء آبائنا الرسل يكون فيهم روح الرسل كما يقول السيد المسيح بفمه الطاهر : « ها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) . ومن ثم ان جميع الصيامات التى تسلمتها الكنيسة ما هى الا مسلمة من الرسل الأطهار والآباء الأبرار .

خامساً : الغرض من الصيام :

١ — كبح الشهوات النفسية

من المعلوم ان الانسان تحاربه قوات ثلاثة — الجسد . والخطية . والشيطان . وكلهم يعملون على اسقاطه وموته . ولا يوجد للانسان سلاح يدافع به عن نفسه الا الصوم والصلاة ولذلك يقول الكتاب المقدس : « اسهروا وصلوا لتلا تدخلوا فى تجارب » (مت ٢٦ : ٤١) ولما سئل السيد عن اخراج الشياطين قال : « ان هذا الجنس لا يخرج إلا بالصوم والصلاة » (مر ٩ : ٢٩) . وعلى ذلك كان الصيام من أهم الأمور المضغفة لشهوة الجسد والمطاردة للشياطين والقاتلة للخطية .

٢ — الشعور بالاحتياج للغير :

قال يوحنا فم الذهب فى احدى مقالاته ان الصيام فضلاً عن أنه يقرنا من الله ويجعلنا فى حضرته الإلهية هو أيضاً يشعرنا باحتياج الآخرين لأن الإحسان إنما هو بقدر شعور الانسان بألم الغير . وأى ألم أعظم من ألم الجوع والفقر .

٣ — يجعلنا أن نتمتع بحضرة الرب :

فان موسى لما صام رأى الله . واستنار وجهه حتى صار كالشمس الالامعة .
ويطرس لما صام سمع صوت رب السماء .
وايليا لما صام قرب من حضرة العلى .
وكثيرين نالوا رضا الله وقربه بواسطة الصلاة والصوم

سادساً — البعض ربما يجهلون أو يتجاهلون عمداً ويقولون هل أنتم تصومون للقديسين ؟
والحقيقة التى نحن نعتقدها من الصغير الى الكبير هى أننا لا نصوم إلا لله . ولكن ربما
البعض استنتج هذا من تسميتنا بعض الصيامات باسماء أشخاص معينة . كقولنا صيام
الرسل فما ذلك الا لأن الرسل صاموا هذا الصيام كما يعلمنا تاريخ الكنيسة المقدسة هى أن
الصوم غير جائز إلا لله وحده . ومن الصالح ان نفتدى بالرسل فى مثل هذا العمل الحسن
لأنه يقول الرسول بولس : « حسنة هى الغيرة فى الحسنى » (غل ٤ : ١٨) . وقد دعونا
ذلك الصوم باسم الرسل من باب تسمية الشئ باسم واضعه كما دعيت التوراة الإلهية
الربانية باسم موسى فى قوله : « اذكروا شريعة موسى عبرى » (ملا ٤ : ٤) . وكما فى
قوله : « وتسبحة موسى وتسبحة الخروف » (رؤ ١٥ : ٣) فأصوامنا اذا جميعها عائدة لله
دون غيره . هذا وأنى أرجو من الله أن يجعل أصوامنا مقبولة أمامه .

نسأل الله أن يجعل هذا الصوم المقدس فرصة للرجوع إليه بكل القلب وتغيير الحياة
بتواضع وانسحاق مقدمين صوماً مقبولا رافعين أيدي طاهرة بلا جدال ولا رياء . فيتراءف
الله علينا ويرحمنا ويرفع غضبه عنا ويعيد علينا وعلى كنيسته وشعبه هذه الأيام المباركة فى
هدوء وسلام وحياة روحية قوية وتقدم ونهوض .

له المجد فى كنيسته من الآن وإلى الأبد آمين ٢

عظة إنجيل قداس الجمعة الأولى من الصوم الكبير

الصلاة

يارب علمنا أن نصلى (لو ١١ : ١) .

الصلاة هى مخاطبة النفس لبارها عز وجل ، ورفع القلب الى الله وسكب النفس أمامه . وتقديم ذبيحة التسييح الشفاهية لجلاله الأقدس . فهى هبة كريمة اعطيت للانسان للتواجد مع الله ، وفيها يتم التنازل الحقيقى من الله للوجود مع الانسان بسبب حب الآب لابنه يسوع المسيح ، الذى يكون حاضراً معنا بمقتضى اتضاعه حسب وعده وإن الروح القدس مهّد لهذا اللقاء الروحى غير المنظور .

أقول آباء الكنيسة فى تعريف الصلاة :

+ يقول القديس يوحنا الدرجى : الصلاة من حيث طبيعتها : هى حديث الانسان واتحاده مع الله ، ومن حيث مفعوليتها : هى سند وعضد العالم ، مصالحة مع الله ، أم وبنت الدموع ، كفارة لخطايانا ، قطرة لعبور التجارب ، مبطلّة للخصام ، عمل الملائكة ، استنارة العقل ، هى غنى الرهبان ، علامة المجد ، الصلاة لمن يصلى بالروح والحق ، تكون له بمثابة محكمة وقيام فى قفص الاتهام واجتياز المحاكمة أمام الله قبل الدينونة العتيدة .

+ ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم :

الصلاة سلاح عظيم وكنز لا يفرغ ، غنى لا يسقط أبداً ، ميناء هادئ . الصلاة هى مصدر واساس لبركات لا تحصى .

+ ويقول القديس باسيليوس الكبير :

الصلاة هى التعلق بالله فى جميع لحظات الحياة ، ومواقفها ، فتصبح الحياة صلاة واحدة بلا انقطاع ولا اضطراب .

+ ويقول القديس أوغسطينوس :

صلاة البار مفتاح السماء ويقوتها يستطيع ان يملك كل شئ ، هى حمى نفوسنا وهى السلم التى نصعد بها الى الله .

أنواع الصلاة :

١ — صلاة فردية :

وهي أن يختلى الانسان بربه الذى خلقه فى داخل مخدعه ويغلق باب العالم ويصلى الى الله . ويتصل بفاديه يسوع المسيح ويتحدث مع أعز صديق يحبه ، يعرض له حالته الداخلية والخارجية لأنه خير طبيب يستطيع أن يشفيه ويكمل ما نقص فيه ويطمئن النفس المضطربة وبه حياة جديدة هادئة مستقرة .

أهميتها : أنها تتيح للمصلى فرصة أكبر للتعمق فى الشركة مع الله والاختلاء به . إذ ينقطع كل اتصال بينه وبين العالم الخارجى ولا يستطيع أى مؤثر أن يقطع عليه حبل اتصاله بخالقه .

٢ — الصلاة العائلية :

وهي ان يجتمع أفراد الأسرة الواحدة ويصلون الى الله فى الصباح قبل ان يتوجهوا الى أعمالهم ليطلبوا من رب السماء أن يهبهم بركة لقضاء يومهم بسلام ويجتمعون قبل النوم يشكرون خالقهم الذى حفظهم طوال يومهم .

وأهميتها : أنها تضىء على المنزل وكل ما فيه جواً من المحبة والتعاون والسلام تسير معه أمور العائلة فى سهولة ويسر . وانها هى المدرسة التى يتلقى فيها الأبناء تعاليم الدين السليم .

٣ — الصلاة الجماهيرية :

وهي التى تؤدى فى الكنائس فى أيام الآحاد والجمع والأعياد والايام الأخرى التى تقام فيها القداسات الإلهية .

وأهميتها : أنها تؤدى فى الأماكن التى كرسها الله للعبادة وعن طريق كهنة الرب وخدام المذبح ، الذين يرفعون هذه الصلاة إلى الله الذى يتنازل ويتقبلها .

صلوات الكتاب المقدس :

١ — صلاة التسييح . ٢ — صلاة الاعتراف . ٣ — صلاة الشكر .

٤ — صلاة التقديس . ٥ — صلاة الشكر .

أوقات الصلاة :

إن آباء الكنيسة الأقدمين قرروا أن تكون الصلاة سبع مرات فى اليوم

١ — صلاة الساعة الأولى وتسمى صلاة باكر : رتبها كنيستنا القبطية الأرثوذكسية

لتذكرنا بقيامه فادينا يسوع المسيح باكراً جداً

٢ — صلاة الساعة الثالثة : رتبها الكنيسة لتذكّر الحكم على المخلص يسوع المسيح بالصلب وتذكّر حلول الروح القدس على التلاميذ .

٣ — صلاة الساعة السادسة : رتبها الكنيسة لتذكّر آلام السيد المسيح لأنه في مثل هذه الساعة صلب .

٤ — صلاة الساعة التاسعة : لأن السيد المسيح في مثل هذه الساعة اسلم الروح .

٥ — صلاة الساعة الحادية عشر وتسمى صلاة الغروب : رتب في هذا الوقت لنشكر الله عز وجل على ما أنعم به علينا في حفظه إيانا في سائر نهارنا ومباركته أعمالنا . ونسأله أن يجرّسنا من طوارئ الليل ومكايد الشيطان . وتذكّر انزال جسد السيد المسيح من على الصليب وتكفينه بمنوط من مر وصبر ولفه بلفائف كتان مع الأظلياب .

٦ — صلاة الثانية عشر وتسمى صلاة النوم : رتب قبل الإستراحة بالنوم لنشكر الله الذى جاز النهار بسلام وأتى بالليل للسكون والراحة . وهكذا ينام الانسان مستودعاً نفسه وجسده وروحه لله ليحفظه من كل شر ليلي . ذاكر الله في قلبه في لحظات انتباهه . راجياً وعده . خائفاً وعيده . ثابتاً في وصاياه . ذاكر على الدوام أحكامه العادلة عارفاً أنه حاضر في كل مكان . عالم بكل شيء كما قال النبي : « اذكرك على فراشي وفي أوقات الأسحار كنت أرتّل لك » (مز ٦٣ : ٦) . وتذكراً لوضع السيد المسيح في القبر .

٧ — صلاة نصف الليل : وفيها يكون الهدوء من قلق العالم . وقد رتب في هذا الوقت كقول المرتل « في نصف الليل أقوم لأشكرك على أحكام برك » (مز ١١٩ : ٦٢) . وأيضاً كقول سيدنا في مثل العذارى « في نصف الليل صار صراخ هوذا العريس مقبل . أخرجن للقاءه » (مت ٢٥ : ٦) . وفي آخر هذا المثل يأمرنا ويحذرننا قائلاً : « فاسهروا اذاً لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الانسان » (مت ٢٥ : ١٣) . + صلاة الستار : وهي خاصة بالرهبان .

أما كون الصلاة سبع صلوات فذلك :

١. — لأن مواهب الروح القدس سبع .

٢ — لأن السبعة عدد كامل .

٣ — اقتداء بقول داود النبي « سبع مرات في النهار سبحتك على أعمال برك »

لماذا نصلي :

١ — لأن الصلاة هي إحدى أركان الديانة المسيحية الثلاثة (الصوم والصلاة والصدقة) .

- ٢ — لأن الصلاة هي الطعام الأساسي والغذاء الرئيسى لأرواحنا .
٣ — لأن الصلاة هي الشيء الطبيعى الذى يتفق وعلاقتنا بالله علاقة الشركة ، علاقة الاتحاد ، علاقة المحبة ، وعلاقة البنوة .
٤ — لأننا بحاجة الى قوة فوق الطبيعة تفوق قوتنا المحدودة ، لكى تعيننا على مواجهة مشاكل الحياة ونحن باتحادنا مع الله فى الصلاة نستمد منه القوة الغالبة .

أهمية الصلاة :

الصلاة هي العلامة المميزة للحياة الجديدة . وهي كدقات القلب وحركة التنفس للحياة الجسدية وقد قال أحد القديسين : أنه كما فى التنفس اخرج مع زفيرى سموما ، يتخلص منها الجسد ، وادخل مع شهيقى هواء منعشاً لحياتى ، هكذا بالصلاة والاعتراف القى كل اثمنا عند قدمى الله واستنشق عبير الله وحياة المسيح .

إن شاول عندما كان يضطهد الكنيسة والمسيحية وظهر له النور فى الطريق ، واقتيد وهو لا يدرى الى الزقاق الذى يقال عنه المستقيم كان يصلى كما قال الوحي الإلهى : « اطلب رجلا طرسوسيا اسمه شاول لأنه هوذا يصلى ولقد كانت الصلاة هي العلامة الأولى لحياة شاول الجديدة الذى صار فيما بعد بولس الرسول والقديس العظيم وفيلسوف المسيحية » .
إن الصلاة هي مظهر الحياة والذين يعترضون عليها أن الله يعلم طلباتنا قبل أن نطلبها يجب أن يعلموا إن الصلاة ليست مجرد طلبات ولكنها أكثر من ذلك صلة وتعبير عن الحياة ، التى تحب الله ، وانها إعلان عن أشواق القلب .

فنحن نصلى لا لأجل بركات الله وحدها ولكن لأجل الله نفسه لقد أحصيت صلوات الكتاب المقدس فوجدت أنها ٦٦٧ صلاة فيها حوالى ٨٠٪ استجيبت ، وهذه بركة عظيمة . إذ وأنت مؤمن بالله تستطيع أن تحصل على استجابة ثمانية من عشرة تطلبها وليس هذا فقط بل أن ال ٢٪ الباقية قد استجيبت ولكن بطريقة أخرى ترضى الله ومثال ذلك الشوكة التى أعطيت لبولس الرسول فى الجسد يقول عنها أنه سأل من أجلها ثلاث مرات ولكن استجابة الله أنه قال لبولس الرسول « تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » . (٢ كو ١٣ : ٩) وطلبة أخرى طلبها سمعان عندما قال « أخرج يارب من سفينتى لأنى رجل خاطيء » فكانت استجابة يسوع « من الآن تكون صياداً تصطاد الناس » .

شروط الصلاة :

- ١ — يجب أن توجه الصلاة الى الله .
- ٢ — أن تكون باسم السيد يسوع المسيح ومن أجل يسوع المسيح .
- ٣ — أن تكون صادرة من قلب خال من الخطية .
- ٤ — أن تكون صلاة الايمان التائب .
- ٥ — أن تكون روحية الهية .
- ٦ — أن تكون مقرونة ومشفوعة بالخضوع والخشوع والتواضع .
- ٧ — أن تكون بلجاجة ، أى ندأوم على الصلاة ولا نمل .
- ٨ — أن تكون بحسب مشيئة الله لاننا إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا .
- ٩ — أن تكون من القلب لا من الشفتين ، ومثال ذلك صلاة حنة أم صموئيل النبى فإنها صلت بقلها ويدموعها ، ولم تنطق بكلمة واحدة ، فأستجابت لها السماء ووهبتها صموئيل النبى .
- ١٠ — يجب ان تبدأ الصلاة باسم الآب والابن والروح القدس لأنه هو وحده الذى له العبادة .

ماذا نربح بالصلاة :

- ١ — نربح العشرة السرية مع يسوع المسيح .
- ٢ — نربح التعزية والقوة .
- ٣ — نربح النجاة من المخاوف والضيقات .

قوة الصلاة :

- الصلاة قوة تفوق كل قوة فأليك أيها المسيحى بعض الأمثلة من الكتاب المقدس .
- + صلى يعقوب : فباركه الرب فغيرت نعمة عيسو الى صفح .
 - + صلى موسى : فهزم عماليق .
 - + صلى يشوع : فوقف الشمس وتمت النصره .
 - + صلى إيليا : فنزل المطر .
 - + صلى أليشع : فانغلق الأردن وقام الغلام الميت .
 - + صلى اشعيا : فمات ٨٥٠٠ آشورى .
 - + صلى دانيال : فمنعت الأسود المفترسة من افتراسه وهو فى جب الأسود
 - + صلى الثلاثة فتية : فأحالت لهيب النار المتقدة الى نسيم عليل ، وهم فى آتون النار المحمى سبعة أضعاف .

+ استطاعت الصلاة أن تفتح الأبواب المغلقة ، وتحطم الاغلال الحديدية ، كما حدث مع بطرس وهو ملقى في سجنه المظلم تحوطه الحراس .

إن الصلاة تستطيع أيضا أن تفعل المعجزات فهي استطاعت أن تنقل الجبال الرواسي كما فعل الانبا ابرآم بن زرعة بجبل المقطم .

بركات الصلاة :

الصلاة هي التي تخضع إرادتنا لإرادة الله : عندئذ نؤمن باستجابتها ، لأنه إن طلبنا شيئا يسمع لنا كما يقول في معلمنا متى البشير : « اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم » (مت ٧ : ٧) وفي معلمنا لوقا البشير أيضا : « صلوا لئلا تدخلوا في تجربة » (لو ٢٢ : ٤٠) وكثيرون يعترضون بقولهم (لماذا نصلى وفكر الله لا بد أن يتم ؟ وللإجابة على هذا تجد السعادة الكاملة في كل ما يرتبه الله لنا) . إذا فرض وتحطمت سفينة في البحر ، وكنت من بين ركابها فألقى أحدهم لك بطوق النجاة . هل تحزن لأن الشاطئ لم ينتقل إليك ، أم تفرح لأنك استطعت أن تنجو ؟؟ .. هكذا يلقي الله لنا في الصلاة بجبل النجاة لتجذبنا إليه لنفرح بخلاصنا كما يقول داود النبي : « نجنى باسمك يا إلهي . الرب نورى وخلصى . وإلهنا المجد والإكرام والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الأول من الصوم الكبير يامرائى

« يامرائى ، أخرج أولاً الخشبة من عينك . وحيث تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك » (مت ٥: ٧)

ما أمر وقع هذه التسمية على النفس إذا انتبهت ، والضمير إذا صحا ، والقلب إذا استيقظ ! إنها توبيخ صارم ، ولكنها حقيقة لمظهر البعض واقعة ، ولا مفر لهم من عقاب يتناسب ورياءهم ، وجزاء يتوافق ونفاقهم (مت ٢٣) . ليس أبغض إلى قلب السيد المسيح ، له المجد ، ممن يرائى فى عبادته ويتناق فى حياة الروح . إنه الوثنى فى مظهر المسيحي العابد ، أو الممثل للمسيحية على خشبة مسرح وهو لا يعلم من المسيحية شيئاً .

ثوب الرياء يشف عما تحته . . . فإذا اكتسيت به فإنك عار يا مرائى !! أيها القبر المبيض من خارج والظاهر فى جمال خادع ، نسيت أنك مملوء من داخل إثماً ومشحون رياء ، وقد لا يدوم جمالك الخادع طويلاً حتى تنكشف الحقيقة ، تفنوح من الداخل رائحة تزكم الأنوف وتؤذى النفوس — رائحة الإثم المغطى بثوب الرياء ، والنجاسة المستترة وراء مسوح المظاهر فى العبادة الكاذبة الخادعة !!

يامرائى !! أطلت صلواتك ، وأكثرت تضرعاتك ، وقرعت صدرك كاللنادمين التائبين وأرسلت أصوات الحمد مبهجاً مع المسيحين وتقدمت للأسرار المقدسة تغتذى منها ، وقد ظننت أنك أهل لها ، وتعاميت عما فى داخلك من رياء ونفاق ، وأنتا إن أطلت صلواتك فلعله فى النفس وغرض فى القلب — والغرض يعمى ويصم . علتك كسب ثقة الأرامل ، وغرضك استدراج البسطاء إلى شبكة ريائك حتى ، إذا وثقوا بخداعك المتقن وتزويرك العجيب وظنوا أنهم آمنوا جانبك بلا خوف أو حذر ، تقدموا إليك فى أمن . فإذا أنت بعد قليل الأسد الذى يهشم عظام فريسته والذئب الذى ينهش لحم الأرملة واليتيم بلا خوف من عقاب ولا خشية من يوم للحساب .

يامرائى !! سلبت إلهك حقه وظننت أنك تعشر نعناعك وشبثك وكمونك ، وبهذا تكون قد قدمت ما يجب أن تقدمه ، وأرضيت ضميرك الذى أحب التزييف وقلبك

الذى عشق الرياء ، وفناسيت عمداً ناموس الحق والعدل والرحمة . فليتك لم تعشر مالأ ولم تنذر نذراً ولم تقدم عطاء ولم تحتفل بعيد ملاك أو قديس وعرفت فقط الحق والرحمة والإيمان .

يامرائى !! جمعت المال وحشدت الدرهم والدينار ، أقله من جلال وأكثره من حرام ، وظهرت بين الناس تعف عن الذرة وأنت تبتلع الدرة وتصفى عن البعوضة وأنت تبتلع الجمل . طعامك ممزوج بالاغتصاب والسحق ، وثيابك نسيجها من حرام وخيوطها من ظلم ممدود ، سوف تتمزق عنك عن قريب فتظهر فى رياتك خازياً ، وما جمعت خاويأ ، وما أكلت فارغ البطن جائع القلب ليتك طهرت ما بداخل الكأس والصفحة ، فاستمددته من حلال شهى ورزق كريم لتغنى منه بالقليل فى بركة القدير عن ذلك الكثير الذى اختطفته اختطافاً وابتزته من الكثيرين ابتزازاً .

يامرائى !! لقد عرفنا المسيح ، له المجد ، رحيب القلب محباً للجميع ، ولكننا عرفناه قاسياً على المرائين يصب ويلاته عليهم ويستنزل اللعنات ، فهلا خشيت أن تلحقك ويلات سادتك الكتب والفريسيين وتمتع بنصيب مما أخترته السماء لهم من لعنات ؟

يامرائى !! قسوت على الناس وحكمت على غيرك ، وكان أولى بك أن تدين نفسك فتظهرها من رياتها ونفاقها . وما أشد ظلام الجهل الذى يكتنفك وأنت تفتح عينيك على عيوب الناس — ولو كانت هينة — وتغمضها عن عيوبك — ولو كانت كبيرة — تنتقد الآخرين وتدينهم وتحكم عليهم لترضى شهوة غرورك وتستكمل رياءك ونفاقك ، إذ يحسبونك الطاهر القديس البعيد عن الدنس والرجس . كان أولى بك أن تستمع إلى قول السيد موبخاً لك « يامرائى ، أخرج أولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك » .

يامرائى !! زين لك الرياء أن تمتنع عن القسم ، وحاججت الناس قائلاً « ليكون كلامكم نعم نعم » حتى إذا جد الجد ولمع البريق المال أمام عينيك لم تتورع أن تحلف باسم الرب ونسيت تعليمك الذى علمته للناس مما خدعتم به ، إذ ظنوك حافظاً عاملاً بكل تعاليم المسيح ، ونسيت الوصية الثالثة وأن الله لا يبرىء من نطق باسمه باطلاً . وهكذا نرى إن أى إنسان ، لا يراعى الله فى علاقته بالآخرين ولا يكون أميناً فى الوكالة التى أسندت إليه ، فيروح يستخدم أسلحة المكر والخداع ، لا بد أن ينتهى مصيره كما ينتهى مصير كل من يبيع نفسه للشيطان من المرائين المنافقين أمثال أفراد أسرة هيرودس الشريرة ، وبخاصة هيرودس أنتيباس الثعلب الجبان .

وقديماً قالوا « لا يحيى المكر السيئ إلا بأهله » . وقالوا أيضاً « من حفر حفرة لأخيه وقع فيها » . وبدئى أن الماكر وحافر الحفرة كلاهما ممن يعملون فى الظلام ، وبالتالى فهما من المرائين المنافقين ، الذين ينطبق عليهم قول الشاعر :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة . . ويروغ منك كما يروغ الثعلب .

والواقع إن كل منافق مخادع ، مهما علا مركزه الاجتماعى هو إنسان ضعيف ، باع نفسه للشيطان ، ثم راح يحاول التعويض عن ضعفه باستخدام أسلحة عدو الخير ، أعنى أسلحة الخديعة والمكر والإيقاع بالشرفاء الأمناء

يقول سليمان الحكيم عن كل منافق لئيم : « الرجل اللئيم ينبش الشر على شفتيه كالنار المتقدة . رجل الأكاذيب يطلق الخصومة ، والتمام يفرق الأصدقاء . الرجل المنافق يغوى صاحبه ويسوقه إلى طريق الهلاك » (أم١٦: ٢٧-٢٩) .

وأخيراً ماذا نقول لكل من يرائى فى عبادته وينافق فى مظهر الروح ؟ لنقل لهم « طهروا قلوبكم يا ذوى الرأين » « اعزلوا شر أفعالكم » أترضون أن تقفوا فى يوم الدين وقد تمزق عنكم ثوب الوياء فكشف خباثت نفوسكم الشريرة وفضح أعمالكم المستورة ؟

ربنا انضج علينا بالزوا فنطهر من رياتنا واغسلنا من نفاقنا فنبيض أكثر من الثلج .
لك القدرة والمجد إلى أبد الدهور . آمين .

عظة إنجيل قداس الأحد الأول من الصوم الكبير

الصدقة

لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض ... بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء

(مت ٦ : ١٩ ، ٢٠)

الكنز كلمة لها لحنها الشجي وزينها القوى في آذان الكثرين ويسوع المسيح لا يمنعنا عن الكنز بل يحثنا أن نكنز فيقول « اكنزوا لكم كنوزاً في السماء » (مت ٦ : ٢٠) .
يميل بعض الناس الى تكثير الأموال وتضخيم الثروة وكلما زادت ثرواتهم وكثرت أموالهم ازدادوا شوقاً في زيادتها أكثر فصاحب المئات يريد أن يكون عنده آلاف وصاحب الآلاف يريد أن يكون من أصحاب الملايين ولن تشبع العين حتى تمتلئ بالتراب . « العين لا تشبع من النظر » (جا ١ : ٨) وقد قيل إثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال .

قيل أن رجلاً وجد فاكهة في غير أوانها ففكر بأن يقدمها هدية للملك البلاد فلما رأى الملك اخلاص الرجل أراد أن يكافأه على اخلاصه فقال له أن يطلب منه طلباً واحداً ... فقال الرجل أريد أن يأمر مولاي . بأن أعطي وزن هذه الجمجمة ذهباً ، وكانت جمجمة إنسان توفى من مدة طويلة ، وضعوا الجمجمة وكانت خفيفة الوزن . في كفة ووضعوا في الكفة الأخرى . ذهباً ودهشوا عندما رأوا أن كفة الجمجمة ترجح كلما وضعوا أمامها ذهباً . ولما عرضوا أمر هذه الجمجمة على الملك سأل الرجل ما سر هذه الجمجمة التي وزنها بأضعاف أضعاف حجمها ودائماً ترجح كفتها . فقال عفواً أيها الملك . ضغوا الجمجمة في كفة وضعوا في الكفة الأخرى قليلاً من التراب فعملوا بمشورته فما كان أشد دهشتهم عندما رأوا كفة الجمجمة ترتفع إلى فوق أمام كمية صغيرة من التراب . فسأل الملك الرجل عن هذا السر فقال يا مولاي . إن العين لا يملأها إلا تراب الأرض . « كانت الفضة في أيام سليمان الحكيم كالحجارة في أورشليم » (٢أى ٩ : ٢٧) . ومع ذلك تطلع سليمان الى هذه الكنوز التي على وجه الأرض وقال « باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح » (جا ١ : ٢) . إن يسوع يحثنا على أن نكنز .. ولكن لا نكنز على الأرض حيث يفسد سوس وصدأ وينقب السارقون ويسرقون . إن كنوزنا العالمية كثيراً ما تكون سبب شقائنا وعلّة بلوانا وقديما قال سليمان الحكيم : « لا تتعب لكي تصير غنياً » (أم ٢٣ : ٤) أما بولس الرسول فكان أكثر صراحة إذ قال : « فإن كان لنا قوت وكسوة

فلنكتف بهما وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس في العطب والهلاك . لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذى إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان . وطلعوا أنفسهم بأوجاع كثيرة » (١٦ : ٨ — ١٠) . ويعقب الرسول يبين مصير الذين يكتزون الأموال بقوله : « هلم أيها الأغنياء أبكوا مولودين على شقاوتكم القادمة ، غناكم قد تهرأ وثيابكم قد أكلها العث . ذهبكم وفضيتكم قد صدثا وصدما يكون شهادة عليكم ويأكل لحومكم كنار . قد كنزتم فى الأيام الأخيرة (يع ٥ : ١ — ٣) .

ومضى السيد المسيح له المجد بقوله : بل أكنزوا لكم كنوزاً فى السماء . وذلك بالتصدق على الفقراء وإسعاف المساكين . ووصيته فيما بعد للشباب الغنى تؤيد ذلك إذ قال له : « إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى » (مت ١٩ : ٢١) . إن السيد المسيح فى مثل السامرى الصالح يعلمنا أن الرحمة واجبة حتى للعدو . فالسامرى عطف على عدوه اليهودى فرثى له فى محنته وأركبه على دابته وضمد جروحه وظل ينفق عليه حتى شفى من علته . وقد أمرنا الوحى : « إن جاع عدوك فأطعمه وإن عطش فاسقه فإنك إن فعلت ذلك تجمع جمر نار على رأسه » (رو ١٢ : ٢٠) . إن الرب يوصى بهؤلاء البائسين : الفقراء معكم كل حين — ولنا فى مثل الغنى واليعازر خير درس عن الجشعين الانانيين الذين يشبعون وغيرهم يموت جوعاً ويلبسون وغيرهم يعيش عرياناً . وهب أنك ملكت الملايين وبحت العالم كله ولكنك فقير فيما لله فما تحك ؟ ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه » (مت ١٦ : ٢٦) .

إذن فمحبة الناس إنما هى قياس محبتنا لله ، فمهما صلبنا لا السبع الصلوات فقط فى اليوم بل سبعة فى سبعين ، ولو صمنا لا السبعة الأصوام فقط فى السنة ، بل السنة كلها بما فيها من أيام وساعات ، لو فعلنا هذا وأهملنا ركن الصدقة على الفقراء والمساكين ، لصارت صلواتنا وأصوامنا كلها كصنج يرن أو نحاس يطن بلا فائدة . إننا بالصلاة نعبد الله بأرواحنا ، وبالصوم نعبد الله بأجسادنا ، ولكننا بالصدقة نعبد الله بأموالنا . وهذا النوع الأخير من العبادة هو المحك الذى به يختبر مدى علاقتنا بالله . ولذلك رأى رجال الله القديسون . أن يفرّدوا لهذا الركن فصلاً خاصاً . فاخترأوا الأحد الأول من هذا الصوم المقدس ليكرسوه للكلام عن الرحمة . لنظل الصوم كله بل العمر كله نذكر كلام الرب يسوع عن العطاء . واليوم لنا بعض التأملات فى هذا الركن الهام من أركان العبادة .

١ - الصدقة ضريبة لا إحسان :

إن مفهوم الصدقة في المسيحية هو أنها ليست إحساناً على الفقراء بل أنها ضريبة على الأغنياء ، وقد أشار القديس بولس الرسول الى هذا المفهوم فقال : « وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس ، عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث لأنكم تخدمون الرب يسوع المسيح (كو ٣ : ٢٣ - ٢٤) .

ويعلل السيد المسيح هذه النظرية ، بأن الصدقة لا تنفع الفقراء فحسب بل تنفع المتصدقين بها أيضاً إذ يقول للشباب الغنى : « إن أردت أن تكون كاملاً فاهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني » (مت ١٩ : ٢١) . ولأن الصدقة ضريبة فعلى المؤمن أن ينظم عطاها بالحكمة المعطاة له من الروح القدس . إن البخل على الفقراء كثيراً ما يجرمنا نعماً عديدة ، لماذا رفض الشاب الغنى الحياة الأبدية رغم أنه كان متديناً على حد شهادته عن نفسه هذه حفظتها منذ حدثني — لماذا ؟ لأنه كان ذا أموال كثيرة ورأى المسيح مزموراً أن يجرده منها ويوزعها على الفقراء ، لقد حزن متردداً بين ميراث ملكوت السموات ، وميراث الأرض . من هنا كان علينا أن نتعلم هذا الدرس . الصدقة ضريبة علينا واجب مقدس .

٢ - الصدقة أخوة واشتراكية :

إن مفهوم الصدقة في المسيحية أيضاً أنها : أخاء ، وشركة ، ومحبة ، وعلى هذا الأساس نعطي اخوتنا الفقراء ، وقديماً قال رسول الجهاد : « إن أطعمت كل أموالى وإن سلمت جسدى حتى احترق ولكن ليست لى محبة فلا انتفع شيئاً » (١ كو ١٣ : ٣) . إن مسيحيتنا أيها الأخباء عرفت الاشتراكية قبل أن يعرفها العالم بأجيال ، فمنذ ألفى عام كانت الكنيسة الأولى تنادى وتعلم بهذا المبدأ العظيم . اقرأ سفر الأعمال تقف على هذه الحقيقة تماماً يقول : « وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ، ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً .. إذ لم يكن فيهم أحد محتاجاً لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج » (أع ٤ : ٣٢ - ٣٥) . والجميل أن السيد المسيح لم يكن هو أول من علم بالاشتراكية بل كان هو ذاته أول من عمل بها في حياته فهو أغنى الأغنياء ومع ذلك نراه يتنازل عن غناه ويصبح أفقر الفقراء . وفي هذا يقول الرسول : « الذى افتقر من أجلكم وهو الغنى لكى تستغنوا أنتم بفقره » (٢ كو ٨ : ٩) .

٣ - الصدقة بسرور :

إن شعب كنائس مكדونية يشهد عنهم بولس الرسول بأنهم أعطوا ومن تلقاء أنفسهم وهذا أجمل أنواع العطاء . إذ قال أنهم « أعطوا من تلقاء أنفسهم ملتزمين منا بطلبية كثيرة أن نقبل النعمة وشركة الخدمة التي للقديسين » (٢ كو ٨ : ٤) . ولذلك نسمع الوحي يقول : « المعطى المسرور يحبه الله » (٢ كو ٩ : ٧) .

قبل عن غنى تبرع ببناء كنيسة في قرية لم يستطع سكانها ان يقوموا ببنائها ، لقد تبرع بمبلغ كبير لإقامة تلك الكنيسة . وحدث بعد سنوات أن أصيب المتبرع بخسائر جسيمة في ثروته ، فهمس في أذنه أحدهم من أعميت المادة بصائرهم وقال له لو أنك أبقيت على الآلاف التي أنفقتها على الكنيسة أما كنت أنقذت نفسك من الإفلاس ؟ قال له الرجل أعلم يا سيدى ان هذا المال هو الثروة الوحيدة التي انقذتها من الضياع ، ولو أنى لم أكن أنفقتها على الكنيسة لكانت ذهبت مع باقى ما ذهب من ثروتي ، أما هذا المبلغ فهو سر عزائى ، وهو الذى أتقاضى عنها ربحاً لا ينقرض حتى آخر نسمة من حياتى كلما أرى آلاف النفوس تخلص بسبب هذه الكنيسة .

ليست العبرة كم نعطى ، بل كيف نعطى ، نريد أن تكون عطايانا بسرور .

٤ - حصانة لثروائنا :

غن طريق إعطائنا العشور للرب يحفظ الرب ثروتنا ، وفى هذا يقول واضحاً صريحاً : « هاتوا جميع العشور الى الخزنة وجربونى .. إن كنت لا أفتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع ، وانتهر من أجلكم الآكل فلا يفسد لكم ثمر الأرض ولا يعقر لكم الكرم فى الحقل قال رب الجنود » (ملا ٣ : ١٠ ، ١١) .

٥ - نجاة حياتنا :

يوصى طوبيت ابنه طوبيا يقول : « تصدق من مالك ولا تحول وجهك عن الفقير فيكون أن الله لا يصرف وجهه عنك ، ... لأن الصدقات تنجى من الخطية والموت ... الخ (طو ٤ : ٧ - ١١) . ويؤكد هذه الحقيقة داود النبى فيقول : « طوبى لمن يتعطف على المسكين والفقير فى يوم الشر ينجيهِ الرب » (مز ٤١ : ١) .

وتاريخ المسيحية القديم والحديث مشحون بالأمثلة الناطقة المؤكدة هذه الحقيقة ، فالقديس العظيم الأنبا أنطونيوس ، باع أملاكه ووزع ثمنها على الفقراء والمعدمين وبهذا ضرب لنا مثلاً عالياً فى الاشتراكية والاهتمام بالآخرين . توما الرسول الذى أخذ مال المُلْك ووزعه

٠ على الفقراء ، القديس الأنبا إبرآم أسقف الفيوم والجيزة رجل العطاء . المعلم ابراهيم الجوهرى وصدقائه . الأنبا صرايمون أسقف المنوفية الشهير بأبى طرحة رجل الإحسان فى الخفاء كل أولئك أدلة قاطعة على مكافأة العطاء والصدقة .

٦ — غفران لخطايانا :

أنها أيضاً وسيلة من وسائل غفران خطايانا . يقول يشوع بن سيراخ : « كما أن الماء تطفىئ النار كذلك الصدقة تخمد الذنوب » (سير ٣ : ٣٣) . وقال رافائيل الملاك لطوبيا : « الصلاة جيدة مع الصوم والصدقة لأن الصدقة تنجى من الموت وتطهر من الذنوب » (طو ١٢ : ٨ — ٩) . وقال سليمان الحكيم : « بالرحمة والحق يُستَر الإثم وفى مخافة الرب الحيدان عن الشر » (أم ١٦ : ٦) .

ويتوج هذه الأقوال جميعها قول السيد المسيح فى عظة الجبل « طوبى للرحماء لأنهم يرحمون » (مت ٥ : ٧) . وقال أيضاً : « أعطوا ما عندكم صدقة وهوذا كل شئ يكون نقيا لكم » (لو ١١ : ٤١) .

تلك أيها الأحباء بركات الصدقة . فسيبيلنا أن نكرس ما عندنا ، من مال ووقت ، وجاه ونفوذ ، وأولاد ومواهب من أجل ذاك الذى مات عنا وبذل كل شئ فى سبيلنا .

اللهم يا من أعطيتنا ذاتك ، ووهبتنا حياتك ، واشتريتنا بدمك اللهم أعطنا أن نبادلك حباً بحب ، وعطاء بعطاء ، وأن نحب أخوتك الأصاغر ونعمل من أجل اسعادهم . وبذل من أجل راحتهم . ولنتذكر فى هذا الصوم أجدادنا الأقباط وسخاءهم فى هذه الأيام المباركة ليبرهنوا عملياً أن ما سمعوه عن الكنز السماوى فى أول أسبوع الصوم الكبير تمموه بأفعال الرحمة والله وحده يحث قلوبنا ويملأها بالعطف على إخوتنا المساكين . وله المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الجمعة الثانية من الصوم الكبير

اجتناب دينونة الآخرين

لماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك . وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفتن لها (لو ٦ : ٤١) .

إن فى داخلنا ميلا خفياً كامناً يتطلع دائماً إلى الوقوف على نقائص الآخرين ودينونتهم ، وهذه السجية تتولد من الكبرياء وحب الذات . فأمت هذا الميل من داخلك ، ولا تدعه يحيا فيك ويبحث عن نقائص الناس وزلاتهم ويدينهم . قال القديس يوحنا كليماكوس : من البغضة والحقد معاً تتولد الوقيعة والدينونة . والوقية حب كاذب لأنها تتولد من البغضة . فإن كنت تحب أخاك فصل من أجله سرّاً ولا تقع فيه . قل فى قلبك أنا أسقط فى أكثر من هذا فكيف أدين على هذا وهكذا تنجو أنت وتنفع أخاك . الشياطين يحثونا لكى نخطيء ، فان لم نطعمهم حثونا على أن ندين من يخطيء . الحكيم يتأمل فضائل غيره ليقتنبا لنفسه ، والجاهل يتأمل رذائل غيره ويدينه عليها .

قال القديس دوروثيوس : التيمة تصدر من ذاك الذى يخبر بما فعله أخوه من خطايا شخصية فيقول عنه انه قد فعل كذا وكذا وأما الدينونة فبأن يخبر بما لأخيه من خلق ردى ، فيقول أنه سارق ، أو كذاب ، أو ما شابه ذلك ، فيحكم عليه بالاستمرار فيها وعدم الافلاع عنها . وهذا النوع من الدينونة صعب جداً ، ولذلك شبه ربنا خطية الدينونة بالخشبة ، والخطية المدانة بالقذى . من أجل ذلك قبل توبة زكا العشار ، وصفح عما فعله من آثام ، وشجب الفريسي لكونه دان غيره ، مع ما له من صدقة وصوم وصلاة وشكر لله على ذلك . فالحكم على خليفة الله يليق بالله لا بنا ، فدينونة كل واحد وتركيبته هى من قبل الله وحده ، لأنه هو وحده العارف بسر كل انسان وعلايته ، وله وحده اصدار الحكم فى كل أمر وعلى كل شخص ، إذ يتفق أن يعمل انسان عملاً بسذاجة ويقصد يرضى الله ، وتظن أنت غير ذلك ، وان كان قد أخطأ فمن أين تعلم ان كان قد تاب وغفر الله له ، أو ان كان الله قد دانه فى العالم ازاء ذنوبه ؟ فالذى يريد الخلاص اذن ، ليس له أن يتأمل غير نقائص نفسه ، ذلك الذى رأى أخاه قد أخطأ فبكى وقال : اليوم أخطأ هذا الأخ وغدا أخطيء أنا ، وربما يفسح الرب لهذا فيتوب ، وقد لا يفسح لى أنا . فالحقيقة وبل لمن يدين أخاه فإنه سهلك نفسه بكونه صار ديانا ، ولكونه يؤذى الذين يسمعونوه ، وعنه يقول النبى : ويل للذى يسقى أخاه كأساً عكرة ، وكذلك : ويل للذى من قبله تأتى

الشكوك . لا تدينوا لكى لا تدانوا ، ألا يجمع هذا التعليم كل هذه الحقائق الأساسية الثابتة . فدينونة الغير أول ما تدل على وجود بذور شر فى القلب ، وإلا فما الذى يدعو الانسان لأن يرمى أخاه بنقيصة من النقائص . أليس هو البغض ، أو ما يتصل به من حسد أو أنانية أو سوء ظن . أكنا نسمع بهذه النقيصة حتى ولو كانت حقيقة . لو أن فى قلب هذا الانسان ودأ لأخيه ؟ طبعاً لا . فاذا رأينا انساناً يدين أخاه ، فلنكن على يقين من أن الشعور الذى يدفعه لذلك هو شعور كراهية ، أو على الأقل شعور حسد تثيره الأنانية والغرور . وقد يكون حكمه عليه لسوء ظن تصوره الكراهية أو الحسد حقيقة ، لذلك كثيراً ما تكون هذه الدينونة غير عادلة . وقد يشترك هو معه فى نقيصته التى يدينه عليها . ولكن الأنانية أو البغضة تعمى القلوب فلا ترى غير نقيصة صاحبها فتدينها ، وهى فى ذلك تدين نفسها معه إذ تحكم عليها بما تحكم به على صاحبها ، بل هى مدانة أمام السماء بأضعاف ما دانت به صاحبها ، إذ جمعت فى صدرها الى نقيصتها هذه من الخطايا ما يفيض به صدرها : فمن بغضة الى حسد الى رغبة فى إساءة وحب نفس ، الى غرور وسوء ظن ، وهى خطايا لا يمكن ان تسكن فى قلب آوت اليه المحبة ، « لأن المحبة لا تحسد .. لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها .. ولا تظن السوء ولا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق » (١ كو ١٣ : ٤ - ٦) .

نحن كمسيحيين يجب أن لا ندين أحداً لأننا : لسنا كاملين . ولأن الادانة خاصة بالله وحده . ولأننا لا نعرف نهاية سيرة هؤلاء الذين أخطأوا أمامنا . ولأن الله أوصانا بالمحبة فنقتدى به . كيف نتخلص من الادانة ؟ بالتماس العذر للآخرين وننظر الى الجانب الطيب فيهم ونذكر ستر الله لخطايانا .

وما يروى على ألسنة الحيوانات أن أسداً مرض مرة ، فعادته جميع الوحوش ما عدا الثعلب . فاراد الذئب أن ينتهز هذه الفرصة للإيقاع به ، فقال للأسد : أيها الملك ، لقد عادك جميع اتباعك للسؤال عن صحتك إلا الثعلب ، ألا ترى أن هذا الخائن يستحق العقاب ، جزاء له على ما فرط منه من التقصير والاهانة ، فنقل أرنب هذا الحديث الى الثعلب فاقتنص هذا أوزة وذهب بها الى الأسد ولما مثل بين يديه ووجده غاضباً قال له رحماك أيها الملك لقد كنت أبحث عن طبيب ماهر ، فوجدته حزينا لموت ابنه ووصف لى العلاج الشافى : ان تطعم لحم أوزة وتبقى مرارتها لتخلطها بدم ساق ذئب ثم تدهن بها . وهأنذا قد أحضرت الأوزة فأمن بكلامه والتم الأوزة فى الحال وأبقى مرارتها . وإذا بالذئب داخل عليه فنهش ساقه ، وأخذ من دمها وخلط به المرارة . فخرج الذئب يحجل بحزن وغم فمر به الثعلب وصاح : يا مقطوع الرجل : اذا حضرت مجالس الملوك فاكفف لسانك عن

القذف والدينونة في أعراض رفقاءك ، فانه هو الذى أوقعك في هذا البلاء العظيم . فانظر كيف كانت عاقبة الثيمة والدينونة فانها جالبة لصاحبها الشر وموقعة اياه في أشد المهالك . يقول ابن سيراخ : « التمام ينجس نفسه ومعاشرته مكروهة (سير ٢١ : ٣١) .

يقول الكتاب : « رجل لسان لا يثبت في الأرض » (مز ١٤٠ : ١١) ، « لأن اللئيم يتكلم بالكذب وقلبه يعمل اثماً ليصنع نفاقاً » (اش ٣٢ : ٦) . ويتم الانسان لئيم يسلب أخاه ثقة الناس واحترامهم ومحبتهم ، ويجعل ذاته أفضل منه في أعينهم مع ان الكتاب ينصحنا بأن نكرم الجميع وأن نحب للناس ما نحب لأنفسنا إذ يقول : « مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة ، مهتمين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً » (رو ١٢ : ١٠ ، ١٦) .

يقول سليمان الحكيم : « الرجل اللئيم ينبش الشر وعلى شفثته النار المتقدة » وقد تكون الثيمة للايقاع بين الأصدقاء والفرقة بين العائلات لفصم عرى المحبة وهدم روابط الصداقة والاخلاص ، مما يتنافى مع الروح المسيحية التى تفرض على المسيحي أن يعمل على نشر أروية السلام وبث الصلح والوثام لا أن يكون رجل فتن . لذلك يمجذرن له المجد من دينونة الغير بقوله لئلا تدانوا . وهذه الخطايا إذ تطمس بصيرة صاحبها تفقده الاستنارة الروحية ، ومن ثم يعجز عن أن ينير الطريق لأخ ضعيف غلبته التجربة ، ولا يمكن لشخص يحتضن البغضة أو الحسد أن ينير الطريق لأخيه الذى يبغضه . لذلك ينادى المعلم الحكيم : « يا مرأتى ، أخرج أولاً الخشبة من عينك ، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك » (لو ٦ : ٤٢) . ثم أليست دينونة الأخ لأخيه فوق ذلك تعدياً على حق الديان في السماء . وهى تعدي لا يغفره الله ولا يبرىء صاحبه . لقد رأينا المسيح وقد آخى البشرية وعاشرها ، لم يرضى وهو على الأرض أن يدين الخاطيء العاثر ، بل عمل على إقالاته من عثرته وتخليص نفسه من الخطية ، وسمعناه يرد على الفريسين بقوله : « أنتم حسب الجسد تدبنون ، أما أنا فلست أدبّن أحداً . وسمعناه ثالثاً ينادى الجموع : إن سمع أحد كلامى ولم يؤمن فأنا لا أدبّنه ، الكلام الذى تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير . فالانسان يقع تحت الدينونة لأنه رفض الخلاص ، ومثله في ذلك مثل الانسان الذى يموت جوعاً لأنه رفض الطعام . وسمعناه مرة أخرى ينتهر تلميذين من تلاميذه لأنهما طلبا مرة إهلاك قرية أساءت اليهم وهو يقول : « لستما تعلمان من أى روح أنتما ، لأن ابن الانسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص » (لو ٩ : ٥٥ - ٥٦) . مما يتفق غاية الاتفاق مع طبيعة المحبة التى فاض بها قلبه فاذا نبه دائم بها يأتى اليه العطاش فترتوى نفوسهم من مائه المحيى ، فاذا كان هذا شأن الديان الذى من حقه وحده أن يدين « لأن الآب لا يدين

أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن » (يو ٥ : ٢٢) « فمن أنت يا من تدين غيرك »
(يع ٤ : ١٢) .

وما أجهل أن نستعيد لذاكرتنا هنا مسلك ذلك الفريق من الكتبة والفريسيين الذين
فاضت بالقسوة قلوبهم ، وأعمى الرباء بصائرهم وامتألت بالوقعية والشر نفوسهم وهم
يتقدمون إليه بأمرأة خاطفة قائلين ان موسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه تُرجم فماذا
تقول أنت ؟ هل يستطيع أحد أن يقول إنهم أتوا في ذلك ذنباً أو اقترفوا جرماً ؟ بل ، ألا
يتراءون للعالم في ذلك أنهم حماة الناموس الساهرون عليه ، الغيرون على تنفيذ أحكامه ؟
نعم ، ولكن فاحص القلوب قد دان عملهم ، لأن قلوبهم كانت مكشوفة أمامه ، تعرض
عليه من ألوان الخطايا ما لا يذكر الى جانبها خطية هذه المرأة العاثرة ، وتزيد عليها بما تنفته في
هذه الساعة من شر ورياء ومكر ، لذلك كشف لأبصارهم وبصائرهم عن أعمالهم الخزية
المستترة وراء مظاهر خداعة . في كلمات خطيها على الأرض ، فثارت عليهم ضمائرهم
تزرهم وتبكتهم ، وإذا هم يتسرون من أمام وجهه الواحد في أثر الآخر ، فلا يبقى أخيراً
إلا يسوع والمرأة أمامه فيقول لها : « أين هم أولئك المشتكون عليك أما دانك أحد ؟
فنجيب المرأة لا أحد يا سيد ، فيقول لها : ولا أنا أدینك ، اذهبي ولا تخطيء أيضاً » (يو
٨ : ١٠ — ١١) . ما أعظم محبتك يارب ، وما أعظم رحمتك بالانسانية العاثرة . وما
أقسانا نحن البشر وأشدنا غروراً وأناية ورياء . كيف يدين الخاطيء الغارق في إثمه ودنسه
ويقسو في دينه . ويرحم الديان العادل المتعالى في برّه وقداسته ، ويحنو في رحمته « لذلك
أنت بلا عذر أيها الإنسان ، كل من يدين ، لأنك فيما تدين غيرك تحكم على نفسك ،
لأنك أنت الذى تدين تفعل تلك الأمر عينها » (رو ٢ : ١) .

« فمن أنت الذى تدين عبد غيرك ، هو لمولاه يثبت أو يسقط » (رو ١٤ : ٤) وأما
أنت فلماذا تدين أخاك أو أنت أيضاً لماذا تزدري بأخيك ، لأننا جميعاً سوف نقف أمام
كرسى المسيح فلا نحكم أيضاً بعضنا ، بل بالحرى احكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مصدمة
أو معثرة » (رو ١٤ : ١٠ — ١٣) . من أقامك ديناً وقاضياً حتى تعلو منبر القضاء
وتحكم بالظلم والغدر والسوء على غيرك . فأكرر عليك القول ألا تختلس حقوق الله ، ولا
تسرق دينونة القادر على كل شيء ، فهو المطلع وحده على القلوب والضمائر ، وكل شيء
مكشوف وعريان أمامه .

إن الظنون الردية ودينونة الآخرين تنشأ من الكبرياء الأمر الذى بسببه يظن الانسان أنه
شيء . أو أنه حاصل على ما لم يحصل عليه غيره من الفضائل والمواهب ولكنك لو اتضعت
وعرفت حقارة ذاتك لأجتنبت الدينونة ولما تطلعت الى نقائص الغير . فراقب نفسك لئلا

يقال لك أيها الطبيب أشف نفسك . إن رأيت نقيصة في قريبك فابحث ذاتك هل هي فيك أم لا ، فإن وجدتها كامنة في شخصك فاجتهد أن تنتزعها ، وإن وجدت فضيلة في آخر فاكسبها منه إن كانت غير موجودة عندك ، لأن ذلك أليق وأفضل لك . « ومن يستر معصيته يطلب المحبة ومن يكرر أمراً يفرق بين الاصدقاء » (أم ١٧ : ٩) .

قال القديس دوروثيوس : إن أصل الادانة هو عدم المحبة ، لأن المحبة تغطي كل عيب : أما القديسون فانهم لا يدينون الأخ ، لكنهم يتألمون معه كعضو منهم ، ويشفقون عليه ويعضدونه ويتحاليون في سبيل خلاصه ، حتى ينشلونه كالصيادين الذين يرخون الحبل للسكة قليلا حتى لا تحرق الشبكة وتضيع ، فاذا توقفت ثورة حركتها حينئذ يجرونها قليلا قليلا ، هكذا يفعل القديسون ، فانهم بطول الروح والمحبة يجتذبون الأخ الساقط حتى يقيموه . كما فعل الشيخ القديس مقاريوس الكبير . إذ جلس على الماجور الذي كانت تحته المرأة ، لكي لا يجدها أولئك الذين نموا على الأخ ... بشفقة ومحبة ، لا باستنقاص وتعير .

لا تطمع أن يكون جميع الناس خاليين من النقائص فلا بد أن يظهر من العجز والضعف نقائص كثيرة يجب أن تحتملها ، وإن لم تحتملها فكيف تحتمل الناس نقائصك . هل تظن في نفسك أنك خال من العيوب ، لا أحد يغير نقيصة ، ولا إنسان خاليا من عيب وما من أحد يحرز الكمال . بل كلنا في حاجة لأن نحمل بعضنا بعضاً ، وينصح بعضنا بعضاً ، لأننا جميعاً مفتقرون الى المعونة والمساعدة والصفح والسماح والشفقة ، كلنا في حاجة الى الرفق والتأني والاحتياط والغفران . اعرف ذاتك وما فيها من النقص والضعف والوهن ، ولا تعكر صفوك من زلات صغيرة تجدها في الغير . روض نفسك على ذلك ، وثبت علائق المودة بينك وبين اخوانك بذلك فإنك توصل دعائم الأمن والسلام . أيها المسيحي ان رأيت أخاك مذنباً أو مسيئاً فبادر بوعظه ونصحه وارشاده اذا تيسر لك ذلك والا فلا تشهر بعيوبه ونقائصه ، بل اتركه لمن يدينه ويكفيك ان تتألم له وتصلي من أجله . وان رأيت محبوا افرح له . وان رأيت اثنين متحابين فاعمل على ازدياد محبتهم . احذر الثيمة لأنها نار مشتعلة وسم قتال .

قال القديس مكاريوس : احفظوا ألسنتكم من الكلام بالشر على اخوتكم لأن الذي يقول شراً على أخيه يغضب الله الساكن فيه والذي يعمل كل واحد برفيقه فبالله يعمل . وقال أيضاً : احفظوا آذانكم من سماع كلام الثيمة والوقية لكي تكون قلوبكم طاهرة لأنه بسماع الحديث النجس لا يمكن للقلب ان يحفظ طهارته بلا دنس .

ليتنا نسلك بالكمال المسيحي الذي يليق بأولاد الله بكل محبة وسلام متجنبيين كل شقاق وفتنة وخصام . وليتمجد اسمه القدوس من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الثاني من الصوم الكبير معمودية التوبة

« كان يوحنا يعمد في البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا » (مر ١: ٤) .
في الوقت الذي نتحدث عنه الآن ظهرت شيعة تدعى شيعة الأسينيين وانتشرت في فلسطين لكن موطنها كان في واحة « عين جدى » .

كان هدف الأسينيين الطهارة الأدبية والطقسية . كانوا يسعون نحو المثل الأعلى للقداسة التي اعتقدوا أنها لن تتحقق في هذا العالم . ولذلك هجروا القرى والمدن ولجأوا إلى المغاير وشقوق الأرض ، وكرسوا أنفسهم للزهد والتقشف والأصوام والصلوات ، وكانوا يعملون أنفسهم ببعض أعمال زراعية خفيفة . ويخبرنا الذين بحثوا تاريخهم أن النقطة الرئيسية عندهم كانت هي الإيمان بكلمة الله الموحى بها . كانوا يرجون أن يصلوا إلى أسمى درجات الشركة مع الله بالتأملات والصلاة وتعذيب الجسد والغسلات الكثيرة والتدقيق في حفظ نوااميس الطهارة الطقسية . وقد اتفقوا مع الفريسيين في حفظ السبت بالدقة المتناهية . كان طعامهم اليومي في أبسط الأنواع ، وكانوا يتناولون في أمكنة اجتماعاتهم الدينية . وبعد الاستحمام يتلون بضع صلوات ونصائح ثم يذهبون إلى غرف تناول الطعام بوجوه مغطاة كأنهم ذاهبون إلى هيكل مقدس . كانوا يمتنعون عن الأقسام ويحتقرون الثروة ، ويمقتون جداً الحرب والعبودية ، ويواجهون التعذيب والموت بكل شجاعة ، ويعافون الإنغماس في الملذات .

وواضح أن يوحنا لم يكن عضواً في هذه الجماعة المقدسة التي كانت تختلف اختلافاً بيناً عن الفريسيين والصدوقيين في زمانهم . كان الأسينيون يلبسون ملابس بيضاء رمزاً للطهارة التي ينشدونها ، أما هو فكان يكتفى بلبس ثوب من وبر الإبل ووضع منطقة من جلد على حقويه . كانوا يغمسون الخبز بالزؤفا (الزعتر) أما هو فكان يغمسه بالعسل . كانوا يعيشون حياة اجتماعية أما هو فعاش وحيداً منذ فجر حياته .

وبالرغم من ذلك فإن يوحنا المعداد لم يتأثر بأية ظروف كائنة في عصره . فإن الله منحه قدرة انفراد بها وحده . إما أنه كان شاعراً بهذا فيتين من تصرّيه الذي قال فيه : « الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي » (يو ١: ٣٣) . ومن إجابة المسيح

للمريسين « معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس » يتضح أنه أراد أن ينقل إلينا نفس الفكرة . وفضلاً عن ذلك فإن الروح القدس يؤكد لنا على لسان الإنجيل الرابع أنه « كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا . هذا جاء للشهادة ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطته » (يو:١:٦) كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية .

١ — الدعوة للتوبة :

إن معنى التوبة حسب التفسير الحرفي للكلمة في اليونانية هو « تغيير الاتجاه » . ولعله من الأفضل أن نقول : تغيير في وجهة نظر الإرادة . إن النفس غير الثابتة تختار طريقها وإرادتها دون مبالاة بناموس الله . « اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع . فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله » (رو٧:٨٤) أما في التوبة فإن النفس تغير موقفها . لأنها لا تعود بعد ترفض نير إرادة الله كتور حرون بل تخضع له وتكون مستعدة أن تخضع . إن تأنيب الضمير يعمل عمله بصفة مستمرة ، والشعور بأباطيل كل المخلوقات موجودة بصفة مستمرة ، والرغبة الملحة نحو الحياة الحقيقية ، ونحو الرجوع من الظلمة إلى النور ومن سلطان الشيطان إلى الله .

مما لا شك فيه أن التوبة مظهر من مظاهر الإرادة . في بدايتها قد لا يكون هنالك أى شعور بالفرح أو الصلح مع الله ، بل شعور بأن بعض طرق الحياة خاطئة وشريرة ومؤذية ومحنة لله ، ورغبة تتحول إلى عزم على الرجوع عنها وطلب الله « الذى صنع الجبال وخلق الريح ، الذى يجعل الفجر ظلاماً ويمشي على مشارف الأرض » (عا:١٣) .

يمكن اعتبار التوبة بأنها الجانب الآخر من الإيمان . هما وجهان لعملة واحدة ، ناحيتان لعمل واحد . إن كان عمل النفس الذى يأتى بها إلى علاقة طيبة مع الله يسمى رجوعاً عن الطريق الذى تسلكه فإن التوبة تمثل الرغبة في الرجوع إلى الله . يجب أن نكون راغبين في الرجوع عن الخطية وعن برنا الذائق ، هذه هي التوبة . ويجب أن نكون راغبين في أن نخلص بالله ، بطريقته ، ويجب أن تأتى إليه من أجل هذه الغاية ، وهذا هو الإيمان .

ونحن نحتاج إلى الرجوع عن برنا الذائق كرجوعنا عن خطايانا . تحدث أوغسطينوس عن مساعيه وراء البر وقال عنها إنها خطايا جميلة . وبولس الرسول تنصل من كل

المساعي التي بذلها للاصطلاح مع الله قبل رؤية وجه المخلص . يجب أن تكف عن جهودك التي تبذلها لتخلص نفسك . ليست هذه إلا « ثوب عدة » على حد تعبير النبي (إش ٦٤: ٦) . لا شيء غير المخلص وعمله ينفع النفس التي يجب أن تواجه الفحص أمام العدل الإلهي .

تأتي التوبة أحياناً لإصغاء إلى مطالب المسيح . فإننا نستيقظ فجأةً لتحقيق من شخصيته ، ونرى كيف يجبنا ، وكما ينقصنا ، والجهود الشديدة الذي أظهرناه نحو آلامه وقطرات دمايته وصلبيه وجمال صفاته وقوة مطالبه .

وفي أحيان أخرى تنتج التوبة من كرازة يوحنا المعمدان . عندما نسمع عن الفأس توضع على أصل الشجر ، وعن النار التي لا تطفأ المعدة لإلتهام التبن ، ترتعش فرائص القلب . عندما تؤخذ إلى حافة الهاوية فنضطر أن نركل بأن طريق الغرور الذي نسلكه ينتهي بالهلاك المحتم ، عندما تهتد ثقتنا في برنا الذاتي ونسمع كرازة المعمدان — في مثل هذا الوقت ترى النفس كل آمالها في أباطيلها التي صنعتها لنفسها ، وترجع منها كلها كما رجعت مريم من القبر الذي دفنت فيه كل آمالها فوجدت يسوع واقفاً ، ومجد القيامة بادياً على وجهه ، ومحبه الملتية تشع من عينيه .

وخلق بنا أن نميز بين الكلمتين « توبة » و « ندامة » . فالأولى هي أول عمل للإرادة عندما تنتعش وتحيا بالروح القدس فترجع من الأعمال الميئة لتعبد الله الحي الحقيقي ، والثانية تمثل الانفعالات التي تتأثر بقوة بمرور السنين بالروح القدس إذ يبين كل الآلام والأحزان التي سببتها ولا تزال تسببها خطايانا لرنا المبارك . إننا نتوب مرة واحدة لكننا نندم مراراً . إننا نتوب ونؤمن بالإنجيل ، نؤمن بإنجيل ابن الله ، وإذا نظر إلى الذي طعنوه نوح ، إننا نتوب عندما نطيع دعوته للمجيء إليه لنحيا ، ونندم إذ نقف خلفه باكين ، ونبدأ بأن نغسل قدميه بدموعنا ونمسحهما بشعر رؤوسنا .

إن لم يكن يوحنا المعمدان قد عمل عمله فيك فاحرص على أن تفتح قلبك لصوته الداوي . دعه يتمم خدمته . أحرص على أن لا ترفض مشورة الله .

٢ — علامات ومظاهر التوبة :

أ — الاعتراف : « واعتمدوا جميعهم منه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم » ليس من الميسور أن نقول ماذا تعنيه هذه العبارة بالدقة . لكن هل المقصود أن الناس إذ أحسوا بتأنيب الضمير ومرارة النفس بسبب فساد حياتهم وشعورهم بخطاياهم الدفينة

وقفوا « مقرين ومخبرين بأفعالهم » كما حدث في موقف خالد بعد ذلك بوقت طويل (أع ١٩: ١٧-٢٠) .

اعترف المتمسك بمجرد المظاهر أن قبر خدماته الدينية المبيض يخفي عقوبة ونتاجة . واعترف المتشكك بأن سبب رفضه الديانة يعزى إلى بغضة لمطالب ناموس الله المقدس . واعترف الجموع بأنهم أنانيون أغلقوا أحشائهم ورفضوا أن يقدموا للفقراء ما يحتاجونه من لباس وطعام . واعترف العشار بأنه قد أبتر أموالاً أكثر من اللازم . واعترف الجندي بأنه تحت ستار وظيفته أزجج المساكين ووجه التهم الكاذبة لكثيرين من الأبرياء . واعترف صاحب السيرة الشريرة أنه كثيراً ما كمن للدماء وأهلك الأبرياء طمعاً في ربح أو حقداً عليهم وهكذا امتلأ الجو من صراخ وتهديدات الجماهير المتألمين الذين رأوا خطيئتهم لأول مرة في نور الأبدية وفي ضوء هلاكها المحتوم . وهكذا كانت لهب « الغضب الآتي » تسطع أشعتها الفاحصة على التصرفات التي كانت ترى في غيبش الجهل والإهمال أنها لا غبار عليها .

وبجانب شاطئ ذلك النهر اعترف الناس بخطيئتهم لا إلى الله فحسب بل أيضاً إلى بعضهم بعضاً وإلى يوحنا المعمدان نفسه . وهنا زالت الأحقاد القديمة وسويت النزاعات السابقة ، وتبدلت كلمات الاعتذار والصفح ، وصافحت الأيدي بعضها بعضاً بعد مرور سنوات من القطيعة والنزاع .

إن الاعتراف علامة أساسية للتوبة الصادقة ، وبدونها يصبح الغفران مستحيلاً . « من يكتم خطاياه لا ينجح . ومن يُقر بها ويتركها يُرحم » (أم ٢٨: ١٣) « إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم » (١ يو ١: ٩) طالما كنا ملتزمين الصمت فإن عظامنا تشيخ في آلامنا الداخلية ونحرقنا الحمى ببطء ولا يمكن أن نجد راحة ولو اضطجعنا على أريكة من حرير . لكن عندما نعتزف بخطايانا فإننا نجد الراحة في الحال « قلت اعترف للرب بذنبي وأنت رفعت أثام خطيئتي » (مز ٣٢: ٥) .

اعترفى لله بخطيئتك أيها النفس المتعبة التي قد حرمت من رؤية المسيح . الأرجح جداً أن خطية دفينّة أو خطية لم يُعترف بها تحجب أشعة الشمس الحقيقية . لا تلتمس المعاذير ، لا تهون شيئاً ، لا تترك شيئاً . لا تتحدث عن الأخطاء في الأحكام بل عن عدم استقامة القلب والإرادة . لا تكتفِ باعتراف إجمالي بل أذكر خطاياك بالتفصيل ، قدم كل تصرف خاطيء أمام محكمة الله العادلة ، أكشف الأسرار وتحدث عن الرواية

المظلمة الأثيمة . أبدأ من البداية ثم كمل اعترافك . وحالما تعترف بخطاياك فإنك تجد التأكيد بالغفران من ذلك الذى أحبنا وبذل نفسه كفارة لخطايانا وليس لخطايانا فقط بل لخطايانا كل العالم . حالما ننهى من الاعتراف ، بل حتى فى أثناء الاعتراف نسمع الصوت الإلهى يؤكد لنا بأن خطايانا الكثيرة قد أبعدت عنا كبعد المشرق عن المغرب ، وقد طرحت فى أعماق البحر .

لكن الاعتراف يجب أن لا يكون لله وحده أو للكهان وحده عندما تكون الخطايا قد أساءت إلى الآخرين . إن كان لأخينا شيء علينا وجب أن نبحث عنه — تاركين قرباننا على المذبح — ونصطلح معه أولاً . يجب أن نكتب خطاباً طالبين الصفح أو ننطق بكلمات الاعتذار . يجب أن نُصلح ما أفسدنا . اصلاًحاً كريماً ونعوض ما أتلّفناه . يجب أن لا نتخلف وراء صفوف خطاة العهد القديم الذين أمروا بأن يضيفوا تحمّساً عند رد الخسائر التى سببوها لإخوتهم . والخطية الوحيدة التى تنبّر فى الاعتراف بها لإخوتنا هى تلك التى ارتكبتها ضدّهم . وما عداها فيجب أن نعتز بها لله على يد كاهنه .

ب — أثمار تليق بالتوبة « اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة » هذا ما قاله يوحنا المعمدان بشيء من الغضب عندما رأى الكثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته . لقد أصر على أن المسيحية العملية ليست أقوالاً بل حياة . ليست المظاهر والطقوس بل المبادئ . وقرر بأن صدق التوبة يجب أن تشهد له الثمار المناسبة « هل يجتنون من العنب شوكاً أو من التين حسكاً » (مت ١٦: ٧) .

ولعل طلب المعمدان هذا هو الذى بعث زكا على اعترافه للمسيح لما دخل إلى بيته . كان هذا العشار يعيش فى أريحا التى كرز يوحنا بجوارها ، والأرجح أنه كان واحداً من العشارين الذين خلّبت ألبابهم خدمته . إننا نتخيل التعليقات التى جرت على ألسنة أصدقائه حينما رأوه فتهامسوا بعضهم إلى بعض . قال واحد منهم « أليس هذا هو زكا ؟ » وقال الآخر « ماذا يفعل هنا ؟ » وقال ثالث « لعله قد جاء الوقت لكى يعود إلى صوابه » وقال رابع « أرجو أن يستطيع المعمدان التأثير على حياته » .

وكان هنالك ما مس ذلك القلب المتحجر لقد نبت فيه إيمان عظيم وعزم أكيد . لعله اشترك فى الاعترافات السابق الإشارة إليها . لكنه فعل أكثر من ذلك . فإنه لدى وصوله إلى أريحا صار إنساناً جديداً . لقد أعطى نصف أمواله لإطعام المساكين ، وإن كان قد وشى بأحد رد له أربعة أضعاف . كثيراً ما شوهّد خادمه فى أحقر أحياء المدينة

باحثاً عن أفقر المساكين وموزعاً عليهم الصدقات بسخاء ، وسُر الكثيرون من الفقراء إذ وجدوا أن مبالغ محترمة تدفع إليهم مع قصاصة ورق موقع عليها من محصل الضرائب الغنى يقول فيها « لقد أخذت منك مبلغاً من المال منذ سنوات دون أن يكون لي الحق فيه ، وها أنا أعيده إليك مع تعويض أربعة أضعاف » . وإن سأله أحد عن سبب كل هذا أجاب « لقد نزلت إلى الأردن وسمعت المعمدان ورأيت المسيح واعتقد أن الملكوت قريب وأن الملك قد اقترب وأريد أن أستعد له حتى إذا ما أتى أمكنه أن يحك في يتي » .

إنك لن تستطيع أن تصطلح مع الله إلا إذا اصطلحت مع أخيك الإنسان . ولا يكفي أن تعترف بالإساءات التي اقترفتها بل يجب أن تكون مستعداً للتعويض عنها على قدر استطاعتك . ليست الخطية أمراً هيناً ويجب معالجتها من جذورها وفروعها .

ج — معمودية التوبة : واعتمدوا منه معترفين بخطاياهم » إن خاصية التطهير التي للماء قد اعطته أهمية دينية منذ الأجيال السحيقة . فالبشر نظروا إلى الخطية كتلوث في القلب وصاغوا طلباتهم لإزالتها في كلمات مشتقة من استعمال الماء : « طهرني بالزؤفا فاطهر اغسلني فأبيض أكثر من الثلج » .

لقد تافوا أن يشعروا بأنه كما يتخلص الجسد من الوسخ هكذا ينبغي أن تتحرر النفس من الدنس .

على أنه لم يكن في تعليم يوحنا شيء من هذا . فإنه لم ينادِ بمعمودية التطهير بل بمعمودية التوبة . كانت تعبر عن وترير إلى رغبة النفس وقصدها أن تعترف بخطاياها كشرط أساسي للحصول على الغفران الإلهي .

ليس أمراً جوهرياً أن نناقش الموضوع الخاص بالمصدر الذي استقى منه يوحنا معموديته . فالبعض يقولون إنه استقاها من عادات الأسينيين الذين كانوا يلزمون جميع المتهودين من الأمم بممارسة هذا الطقس . لكنه يكفي أن نذكر بأنه قد أرسل ليعمد ، وإن فكرة معموديته كانت « من السماء » ، وإن الطقس إذ وصل إلى يديه اتخذ شكلاً جديداً وأهمية جديدة . كان يعنى الموت عن الماضي ودفنه ، والقيامة إلى حياة جديدة أفضل .

من السهل أن نرى كيف أن كل هذا وجد قبولاً عند الشعب ومس قلوب الشبان بصفة خاصة . في ذلك الوقت كان هنالك بحوار بحر الجليل جماعة قليلة من الشبان

الغويين الذين تأثروا جداً بالتيارات الفكرية المحيطة بهم ، وكانوا يمتقنون حكم الرومانيين وعلى أحر من الجمر انتظاراً لحجى الملكوت .

عندما كانوا يقضون ساعات الليل في سفن الصيد كثيراً ما تحدثوا عن عهد الله القديم ، وعن مجيء المسيا ، وعن رجاسات خدمة هيكلهم المحبوب ، وإذا أتتهم الأنباء يوماً ما عن هذا الكارز الجديد الغريب تركوا كل شيء وهاموا على وجوههم حتى وصلوا إلى وادى نهر الأردن فوقفوا مبهوتين أمام كلماته .

تعرف يوحنا عليهم كلهم إما واحداً فواحداً أو جملة ، فأصبحوا أصدقاءه الحميمين وتلاميذه الموالين . نحن نعرف اسم واحد أو اثنين منهم (يوا: ٤٠) ، أندراوس وفيلبس وهذان تركا معلمهما السابق لإتباع المسيح ، لكننا لا نعرف شيئاً عن الباقيين سوى أنه علمهم أن يصوموا ويصلوا ، وأنهم التصقوا بمعلمهم العظيم حتى حملوا إلى القبر جثته عديمة الرأس . وبعد موته التصقوا بذلك الذى سبق أن نظروا إليه بشيء من الشك بأنه منافس له .

كان ذلك يعنى شيئاً كثيراً ليوحنا . فإنه لم يكن له أصدقاء قط . ولا شك في أن محبة وولاء هؤلاء الشبان النبلاء والتفافهم حوله بعثت في نفسه راحة جزيلة ، لكنه كان يحول أنظاره بصفة مستمرة عنهم أجمعين كأنه كان يتطلع إلى شخصية أسمى تبرز حالاً من الجماهير ، وإلى ذاك الذى يبعث صوته في نفسه أعظم فرح ويكمل فرحه لأنه سيكون هو صوت العريس نفسه .

وله المجد دائماً أبدياً ، آمين .

عظة إنجيل قداس الأحد الثاني من الصوم الكبير

تجربة المسيح على الجبل

ثم أوصد يسوع الى البرية ليجرب من إبليس (مت ٤ : ١)

نحن اليوم أمام الركن الثالث من الصوم الكبير . أمام يسوع المسيح الصائم . أمام آدم الثاني يبدأ من حيث انتهى آدم الأول .

كانت حرب في الفردوس بين الشيطان والإنسان وهزم الإنسان هزيمة كانت نتيجتها الطرد الى برية العالم ونحن الآن في البرية نرى حرباً ثانية .

١ - فتقدم إليه المجرب (مت ٤ : ٣) .

يظن بعض المفسرين أن التجربة كانت همسات من الداخل لعمل شيء مخالف لإرادة الله ، ويطبقون هذا التعليل على التجارب التي يقع فيها الناس . وهذا فكر خاطيء من أساسه لأن المسيح كلى القداسة ، ولا يمكن ان تأتيه أى ظلال من الهمسات الداخلية الخاطئة ، فالتجربة قد جاءت من الخارج . من شخصية حقيقية ولو أنها غير منظورة .. والذين يتوهمون أن الشيطان شخصية خيالية ليس لها وجود ينكرون وحى الكتاب المقدس الذى يثبت في مئات من المواضع أن الشيطان شخص حقيقى ، بل رئيس وله ملائكة وجنود يستخدمهم في الشر لإيقاع البشر في الخطية . إنها حيرة كان يقفها الشيطان باستمرار ، كلما نظر الى السيد المسيح . كلما يرى فيه قوة خارقة للطبيعة تشير الى لاهوته ، يتبع الرب ذلك بمظهر ضعيف يبلبل فكر الشيطان فلا يصدق أنه الله .

نرى الرب يخفى عظمته بولادته في مزود وبالهروب الى مصر وبعد ذلك المجد العظيم الذى ظهر به الرب في الأردن : بعد شهادة يوحنا المعمدان ، ثم شهادة الآب وحلول الروح القدس يبدو الرب على الجبل جوعانا ضعيف الجسد ، يتحير الشيطان في مظهره فلا يصدق انه الله . جاء الشيطان في شك الى الرب ، محاولاً أن يعرف من هو . جاء يجربه ويختبره ، ليزي ماذا تكون طبيعته . كانت حرب شديدة استعمل فيها الشيطان كل ما في العالم من أسلحة . « لأن كل ما في العالم ، شهوة الجسد . شهوة العيون . تعظم المعيشة » (١٦ : ٢) . وكانت نصرة عظيمة . انتهت بزجر الشيطان وطرده . إذهب عنى يا شيطان . وبنعمة الله سنتكلم عن النقاط الآتية :

التجربة الأولى : بعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً (مت ٤ : ٢)

١ - شهوة الجسد :

كان يسوع المسيح جائعاً . هى بعينها تجربة الشيطان لأبونا الأولين فى الفردوس . حارب الإنسان الأول بالشك أحقاً قال الله لا تأكلا ؟ أحقاً يجرمكما الله الحنون من الثمرة الشهية ! وهل هذا يتفق مع محبة الله وجوده وحنوه ؟ لم يقدر الإنسان الأول أن يصوم عن شجرة واحدة فى الفردوس . « نظرت حواء الى الشجرة فإذ هى جيدة للأكل . أكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل » (تك ٣ : ٦) . فسقط الاثنان معاً ، وكان سقوطهما عظيماً إذ سقط معها الجنس البشرى ، وكان تحت حكم الموت واقعا ومقيما . وإلى اليوم يسقط كثيرون منا فى هذه المعركة . لقد صرخ بنو اسرائيل نريد لحماً . أين قدور اللحم التى فى مصر ؟ فجاءهم الرب باللحم وطيور السلوى حتى صارت أكواما مكومة وأكدا سا مكدسة مسيرة يوم من هنا ومسيرة يوم من هناك . ويقول الكتاب المقدس إن الشعب الجشع الشو أكل اللحم حتى خرج من مناخرهم فسقط مئات الألوف موتاً . ومن تجارب البطون أيضاً ، الشراب الفاسد الذى قال فيه سليمان الحكيم : « لمن الويل لمن الشقاوة لمن المخاصمات لمن الكرب لمن الجروح بلا سبب لمن ازدهار العينين ؟ للذين يدمنون الخمر » (أم ٢٣ : ٢٩ - ٣٠) .

وكما حدث لموسى عند صخرة العبرانيين . لقد ورد فى (عدد ٢٠ : ١٠ - ١٣) ما يلى : « وجمع موسى وهارون الجمهور أمام الصخرة وقال لهم اسمعوا أيها المردة أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء . ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاة مرتين ، فخرج ماء غزير فشربت الجماعة ومواسيها فقال الرب : لموسى وهارون : من أجل انكما لم تؤمنا لى حتى تقدسائى أمام أعين بنى اسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة الى الأرض التى اعطيتهما إياها ، هذا ماء مريبة حيث خاصم بنو اسرائيل الرب فتقدس فيهم » (عد ٢٠ : ١٠ - ١٣) .

ومن هذا يظهر أن موسى جرب الرب فى مقدرته على ان ينبع من الصخرة ماء ، ولكن الرب أراد أن يتمجد ، فاستجاب وانبع ماء غزيراً . هذه هى التجربة فى قصاصها وعقابها . وليس أعظم من أسلحة الانتصار عليها إلا كلمة الله المكتوبة . كان يسوع جائعاً .. وكيف يجوع الإله ؟؟ إن يسوع الذى جاع هو الذى اشبع الخمسة آلاف من خمس خبزات . ولكنه آدم الثانى « الذى أدخل نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس » (فى ٢ : ٧) .

جاء ليعطينا من هذا الجوع دروساً روحية عميقة فيشبع نفوسنا بالنعمة . جاع ليعلمنا

أن آدم الأول هزم أمام شهوة الجسد أما هو فانتصر . صوب الشيطان السهم الأول : « إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً » (مت ٤ : ٣) . وكان السهم قويا ... ان يسوع الجائع ... ان يسوع الجائع يستطيع أن يحول الحجارة الى خبز ويأكل . إنه خلق الإنسان من تراب الأرض فكيف لا يخلق من الحجارة خبزاً ليأكل هو ويشبع وهل في هذا من شر ؟ ليس الشر في تحويل الحجارة الى خبز ولكن الشر أن يأخذ هذا الخبز من يد الشيطان . ينبغي أن نضع نصب أعيننا أن ابن الله أدخل نفسه آخذاً صورة عبد .. واجتاز آلام الحياة المختلفة ليكون معيناً للمجربين . فإذا استعمل لاهوته لإشباع الجوع فلم يكن بذلك قدوة للفقراء الجائعين . وهناك سبب هام للغاية وهو أن المسيح أخذ على نفسه أن لا يستفيد شخصياً من معجزاته فكانت كلها لخير الآخرين . حتى تم القول : خلص آخرين وأما نفسه فلم يقدر أن يخلصها من الصليب .. فقد تعب من الجوع والسفر وجلس عند البئر عطشاً في حاجة الى جرعة ماء وهو خالق البحار والأنهار .

احتسب ولا تأخذ لقمة العيش من يد الشيطان .

كلها بعرق جبينك خذها من يد الله ولا تخطفها من يد الفقير . إياك والطمع . « فالتقوى مع القناعة تجارة عظيمة » (١ تي ٦ : ٦) تمثل بمن قال : « أعرف أن أجوع وأعرف أن أستفضل » (في ٤ : ١٢) . الرب يسوع يرد على المجرب : « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » (مت ٤ : ٤) .

إن الإنسان لم يخلق من جسد فقط بل هناك الروح الجوهرية الغالية التي هي نفخة الله التي جعلت التراب نفساً حية . هل نذكر طعام الجسد الفاني وننسى طعام الروح الخالدة .. إن الروح عندما تشبع تقوى على الجسد فتتسبب جوعه وبالعكس عندما تترك للجسد العنان يتحول الإنسان الى حيوان يعيش ليأكل لا يأكل ليعيش ولذا قال الرسول : أكبح جسدي واستعبده لنذكر هذا وليذكره من لم يصم وقد نسي الكثيرون الصوم أمام شهوة أجسادهم . لقد فضلوا شهوة الجسد . حتى على عقائدهم ومجدهم في خبزهم » (في ٣ : ١٩) . حقيقته الوحيدة الباطلة في ترك الكنيسة الأرثوذكسية . إن أصوامها كثيرة .. وأنسته بطنه إن أعظم سلاح هزم الشيطان كان الصوم . « إن هذا الجنس لا يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم » (مر ٩ : ٢٩) . ونحن في حرب مع الشيطان فما أحوجنا الى الصيام الكثير .

إن حالنا اليوم غير حال الذين تمسكوا بالصوم لتتشبه برننا يسوع المسيح له المجد الذي هزم الشيطان . بالصوم .

التجربة الثانية : ثم أخذه إبليس إلى جبل عال جداً (مت ٤ : ٨) .

٢ — شهوة العيون :

أراه جميع ممالك العالم ومجدها .

نعم هي شهوة العيون التي كانت علة السقطة الأولى « نظرت الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون شهية للنظر » (تك ٣ : ٦) فعين حواء التي رأت بها الشجرة واشتهتها هي التي كانت مفتاح السقوط الأول للجنس البشرى . وعين داود هي التي اسقطته في خفية التعدي ، « فرأى من على السطح » (٢ صم ١١ : ٢) . ان وعود الشيطان منذ القديم للإنسان وعود مغرية : جميع ممالك الأرض ومجدها أعطيك . إن قتلي العين في التاريخ أكثر ممن قتلهم السيف والرمح ، إن آلافاً من الشباب أذلّتهم وافقدتهم حياتهم الأبدية ، لقد ذكر الكتاب المقدس عينات من هؤلاء ..

إن السيد المسيح كشف عن سر هذا فقال : « سراج الجسد هو العين فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً » (مت ٦ : ٢٢ — ٢٣) . عثرة العين .. عثرة قاتلة لهذا قال السيد المسيح له المجد : « إن كانت عينك اليمنى تعثر فاقطعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقي جسدك كله في جهنم » (مت ٥ : ٢٩) .

إن أفكارنا لا ترتبك بالعمل الشرير إلا بعد أن تحاربتا عيوننا ، ولذلك نسمع أيوب الصديق يقول : « وذهب قلبي وراء عيني » (أي ٣١ : ٧) ولكي يمتلك الله قلوبنا يطالبنا بأن نسلم إليه عيوننا ، يقول : « يا ابني أعطني قلبك وتلاحظ عينك طرق » (أم ٢٣ : ٢٦) . ما الذي أغرق العالم بالطوفان ؟ أليس نظر بنى الله الى بنات الناس أنهن حسنات ؟ (تك ٦ : ٢) وما الذي أذلّ شمشون ؟ أليس مشاهدته لجمال دليلا ؟ (قض ١٦ : ٤) . وما الذي أسقط داود ؟ أليس نظره الى جمال بتشبع ؟ (٢ صم ١٢ : ١٠) . وما الذي أضلّ سليمان ؟ أليس كل ما اشتتهه عيناه لم يمسكه عنهما ؟ (جا ٢ : ١٠) . من أجل هذا نسمع أيوب الصديق وقد اكتشف سر السقوط فقال : « عهداً قطعت لعيني فكيف انتطلع في عذراء ؟ » (أي ٣١ : ١) . ان الله يخاطب ملاك كنيسة اللاودكيين قائلاً : « كحل عينيك بكحل لكي تبصر » (رؤ ٣ : ١٨) . وهذا معناه أن يحتقر الانسان أباطيل العالم وأعجاده العالم وينظر الى رئيس الإيمان ومكمله الرب يسوع .

فلتكن « عيوننا بسيطة لكي يكون الجسد كله نيراً » (لو ١١ : ٣٤) . أقطع عهداً مع عينيك أن لا تنظر إلى أى شيء ليس لك لتشتهيه . لقد أرى الشيطان يسوع جميع

مالك العالم وهذا ليس بأمر غريب لأن ذلك كان بسماع منه ليعطينا دروساً في أسلحة الشيطان التي من أهمها أن يعلق قلوب اتباعه بحبة العالم . عرض الشيطان أمام السيد مجد العالم وجهاله تماماً كما يحاربنا كل يوم ويحلم العالم أماننا فتعبد للعالم ، ونسجد لرئيس هذا العالم ، ونسر في ركابه . « غير ناظرين إلى عالم أفضل وأجناد لا تفتنى ولا تتدنس ولا تضمحل (١ بط ١ : ٤) » كان الرد قوياً والسهم شديداً . « للرب إلهك وحده تسجد وإياه تعبد » (مت ٤ : ١٠) . كان تجاسر الشيطان في هذه التجربة كبيراً . في أن يطلب من ابن الله أن يسجد له . لذلك زجره الرب يسوع وقال له أذهب يا شيطان . حسبك كباقي البشر الذين يسبحونه ويتعبدون له ليعطيهم العالم ، والعالم كله باطل الأباطيل وقبض الريخ فيا من تسجد للشيطان وتتجدد في مملكته استيقظ من غفلتك وأعلم يا ابن إبليس أنك بمجبتك للعالم تعادى الله . حبة العالم عداوة لله . كلما ذهبت الى الكنيسة اصغ لما يقول قارئ الكاثوليكون في نهاية القراءة . « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم . العالم يمضى وشهوته (١ يو ٢ : ١٥ ، ١٧) » التجربة الثالثة : ثم أخذه إبليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل (مت ٤ : ٤)

٣ — تعظم المعيشة :

ان عدو الخير لا يتركنا حتى في أقدس الأمكنة « لأنه يحول دائماً ملتصقاً من يبتلعه » (١ بط ٥ : ٨) . « لقد مثل أمام الله بين أبنائه » (أى ١ : ٦) . وقال له الله من أين جئت فكان رده من الجولان في الأرض والتمشى فيها . إنه لا يترك مكاناً إلا ويدخله . اسمعه ماذا يقول للسيد : « إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فلا تصدم بحجر رجلك » (مت ٤ : ٦) . ما نوع هذا السلاح ؟ وماذا كان قصد الشيطان ؟ كان الشعب اليهودي يملأ الهيكل وخارج الهيكل وكانت تجربته مغرية إذ لو طرح إنسان نفسه من أعلى مكان في الهيكل الذى يرتفع ستين ذراعاً عن مستواه الأرضي . ونزل سليماً ورآه الناس هكذا يعظموه ويمجدوه . إذاً هي تجربة التعظم . تجربة الكبرياء والزهو ، ولما رأى الشيطان أن يسوع في التجربة الأولى والثانية قاومه بالمكتوب عزز كلامه بالقول « مكتوب أنه يوصى ملائكته بك » (مت ٤ : ٧) . « أما قائدنا الأعلى ورئيس خلاصنا » (عب ٢ : ١٠) . الذى سبق فحصننا بالتواضع وقال : تعلموا منى فأنى وديع ومتواضع القلب تجلدوا راحة لنفوسكم . هزمه في هذه التجربة بقوله : مكتوب لا تجرب الرب إلهك . أعنى إن السقوط من أعلى جناح الهيكل بقصد الزهو والخيلاء اتكالا على أن الله يوصى ملائكته . تجربة يقوم بها من ليس له إيمان في الله . ليكون لنا إيمان بالله

ونمشی بحذر ، وإن جاءت تجربة بدون قصد فالله يرسل ملائكته كما أرسلهم قديماً لدانيال « وخلصه من الأسود الكواسر وسد أفواههم » (دا ٦ : ٢٢) . إن هذه التجربة من أشد التجارب فهي السلاح القديم الذى شهره ابليس فى الفردوس . سلاح المجد والعظمة « تصيران كالله » (تك ٣ : ٥) .

إن العظمة كثيراً ما تتحدر بصاحبها الى أسافل الحضيض . بل هى التجربة التى سقط بسببها الشيطان . وإن الله الذى يفتح أحضانه لكل تائب يقاوم المستكبرين . ويعطى نعمة للمتواضعين . لقد حاول الشيطان وتآمر لخراب كنيسة الله فى بدء تأسيسها فأدخل فكرة العظمة فى التلاميذ فسألوا الرب من هو أعظم فى ملكوت السموات فضرب لهم مثلاً عملياً إذ مسك طفلاً وقال : « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » (مت ١٨ : ٣) . لقد تنازل السيد وغسل أقدام تلاميذه وقال لهم : « إن كنت وأنا السيد قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض لأنى أعطيتكم مثلاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً » (يو ١٣ : ١٤ - ١٥) . فلنحترس من هذه التجربة ولنعلم أن قبل السقوط تكون الكبرياء .

٢ - يسوع المنتصر :

لماذا يسمع ابن الله للشيطان أن يجربه بأخذه الى جبل عال ثم إلى المدينة المقدسة ؟ أن يسوع سمح ليعطينا دروساً فى كيفية الانتصار وهذه الدروس هى :

١ - أول سلاح للانتصار كان الصوم :

فاعلم علم اليقين أنك غالب للشيطان ومنتصراً عليه مادمت لا تعطى للجسد شهوته « لأن الجسد يشتهى ضد الروح » (غل ٥ : ١٧) . « صم بطهارة وبر وأنت تقوى وتغلب الشرير » (١ يو ٢ : ١٣) . « أما الروح فنشيط أما الجسد فضعيف » (مر ١٤ : ٣٨) .

٢ - السلاح الثانى مكتوب ... فى الثلاث تجارب :

نسمع صوت السيد مكتوب أنه ليس بالخيز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . مكتوب للرب إهلك تسجد وإياه وحده تعبد . قيل لا تجرب الرب إهلك . هذا هو السلاح القوى . سلاح المؤمن القوى البتار ، الذى يجب أن يتسلح به ليل ونهار ، حتى يستطيع الانتصار على ذلك العدو القهار « لأن كلمة الله أقوى من كل سيف نسلح ذى حدين » « هذا هو سيف الروح الذى هو كلمة الله » (أف ٦ : ١٧) .

الذى نقطع به رأس الحية القديمة . اقرأ كثيراً وفتش الكتب وتسليح بهذا السلاح وأشهره « كسيدك تنطفئ جميع السهام الشرير الملتبهة » (أف ٦ : ١٦) . لقد نجح تيموثاوس في قيادته للكنيسة : « لأنه كان منذ الطفولة يعرف الكتب المقدسة » (٢٢ : ٣ : ١٥) . حقاً إن « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر لكى يكون انسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح » (٢٢ : ٣٢ : ١٦ - ١٧) .

وكلمة الله هى العزاء لقلوبنا : « هذه هى تعزيتى فى مذلتى لأن قولك أحيانى » (مز ١١٩ : ٥٠) . وكلمة الله هى النور لطريقنا : « سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى » (مز ١١٩ : ١٠٥) . وكلمة الله حياتنا « يارب الى من نذهب وكلام الحياة الأبدية هو عندك » (يو ٦ : ٦٨) .

٣ - الامتلاء من الروح القدس :

أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس ، وكان أربعين يوماً يجرب من إبليس .

صل كثيراً لأنك امتلأت بالروح القدس بعد المعمودية ولكنك أطفأت هذا النور واحزنتم الروح القدس ببعده عن الله .

صل للرب يسوع ليملأك بهذا الروح . كل قداس ردد فى شرك مع الكاهن وقت صلاة الساعة الثالثة . روحك القدوس الذى أرسلته على تلاميذك الأطهار فى وقت الساعة الثالثة لانتزعه منى بل جده فى داخل روحاً طاهراً ومحياً روح القداسة والعدالة والسلطة أياً القادر على كل شيء . وما دام فيك روح الله فلن يغلبك الشرير .

٤ - اطلب مساعدة الأسد الغالب من سبط يهوذا :

وقد علمنا فى الصلاة الربانية أن نلجأ إليه عندما يهاجمنا الشرير . « نجنا من الشرير » (مت ٨ : ١٣) . « لأن ابن الله أظهر لكى ينقض أعمال إبليس » (١ يو ٣ : ٨) . ليعطنا الرب النصرة والغلبة على الشيطان وأتينا لا نجعل أفكاره فلنسلح بسلح الله الكامل . لننتصر كما انتصر سيدنا . تلك هى أهم الأسلحة الناجحة التى استخدمها الرب يسوع فى محاربة إبليس . بعدها أنصرف الشيطان مهزوماً يجر وراءه أذبال الخيبة والفشل .

ليعطنا الرب النصرة والغلبة على الشيطان . ولنسحقه فى كل جولاتنا ومعارك حياتنا منتهرين إياه إذذهب عنا يا شيطان . ولإلهنا المجد الدائم الى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس الجمعة الثالثة من الصوم الكبير الإنقسام

إن انقسم بيت على ذاته لا يقدر ذلك البيت ان يثبت (مر ٣ : ٢٥) .

البيت المتحد : يحدثنا عنه العهد القديم مفتخراً بثباته ، ومبتهجاً بسلامه هو بيت يشوع بن نون الذى قال : « أما أنا وبيتى فنعبد الرب » (يش ٢٤ : ١٥) وكما يحدثنا العهد الجديد عن بيت نظيره وهو بيت كرنيليوس القائد الرومانى الذى ذكر عنه بقوله « كان تقياً وخائفاً لله مع جميع بيته » (أع ١٠ : ٢) . وصفات ذلك البيت أن أساسه من الصخر ، وقوامه من جلمود ، وأبوابه من فولاز . يصارع عواقي الرياح ويقاوم أخطر الأنواء ، فاذا صدمت ذلك البيت لا تنال منه شيئاً بل يثبت الى الأبد . ذلك لأن الأساس الصخرى لذلك البيت هو الايمان ، وقوامه الجلمودية هى المحبة ، وأبوابه الفولازية هى البر والتقوى . البيت المنقسم : هو مقام على الرمال وحوائطه من قشور وأبوابه من قش فاذا هبت الرياح وصدمت الأنواء ذلك البيت فيسقط ولا يكون فيما بعد ، ذلك لأنه تسوده الكبرياء ، ويرتويه الطمع ، وتكتنفه الأنانية ، واسم الله ليس فيه .

وقد تنقسم المدينة على ذاتها عندما يحارب سكانها بعضهم بعضاً ، كما ينقسم الإنسان الواحد على ذاته أيضاً عندما تسوده الانفعالات المتضادة والمتناقضة ما بين الروح والجسد ، والعقل والعاطفة ، وعامل الخير والشر . فما لا يريد أن يفعله إياه يفعل ، لذلك صرخ النبی داود بقوله : « وحد قلبى يارب لخوف اسمك » (مز ٨٦ : ١١) . وطبعاً ان الخصام والشقاق فى البيوت والطوائف والكنائس والمدن والممالك يوردها الانحلال والدمار . على أن عوامل الانقسام ومعاول الهدم لذلك : البيت ، وتلك المدينة ، وذات الانسان ، كثيراً ما تكون كما يأتى :

أولاً - الكبرياء ومصدرها محبة العالم :

سئل شيخ : ما هى أعظم الفضائل ؟ فقال : إذا كانت الكبرياء أشد الخطايا حتى أنها أهبطت طائفة من السماء الى الأرض ، فمن البلديى أن يكون الانتضاع الحقيقى المقابل لها أعظم الفضائل ، إذ هو يرفع الانسان من الأعماق الى السماء ، وقد طوبه الله قائلاً : مغبطون أولئك المساكين بالروح . أى المتضعين بقلوبهم فان لهم ملكوت السموات . لذلك تولد الكبرياء فى الانسان المحب للعالم ، كما قال الوحى الإلهى : « ان محبة العالم عداوة لله » (يع ٤ : ٤) « وقبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشاغب الروح » (أم

١٦ : ١٨) . والانسان المتكبر يريد السيادة على الجميع ويجعل نفسه فوق الكل ، وينسى أنه من تراب ، والى تراب يعود . تأمل فى ذاتك : ماذا كنت ؟ وماذا أنت الآن ؟ وماذا تكون فيما بعد ؟ ألا تعلم أنك كنت عدما غير موجود ، وحين وجدت تكونت من مادة حقيرة دنية ، وأنت الآن جسد حقير بالي مفعم ببتانة ونفس مسكينة رازحة تحت أثقال لا حد لها .

تأمل فى الأزهار والأشجار فانها أجمل من جسدك ، أما تخرج الأشجار زيتاً وثماراً لذيدة شهية ورائحة عطرة أما جسدك فينتج أقداراً وأوساخاً . تأمل نهاية حياتك ألا يعود جسدك هذا الى تراب ، ورماد ، فعلام تفتخر وأنت تراب ؟ وبم تتعالى وتكبر وأنت رماد ؟ ما هى حياتك ؟ إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل » (يع ٤ : ١٤) . ما حياتك سوى سلسلة أتعاب وشقاء . فما أضعف الإنسان وأوهى قوته وأشد ذله . إنه ضعيف ذليل أسير لأماليه وعاداته . خاضع لإرادته وملكاته . ومع ذلك يتعالى ويظن أنه شئ . » تواضع قدام الرب فيرفعك » (يع ٤ : ١٠) . « لأن الله يقاوم المستكبرين . وأما المتواضعين فيعطيهم نعمة » (١بط ٥ : ٥) لأن الرب يكرم الذين يكرمونه . قالت السيدة العذراء : « تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى ، لأنه نظر الى اتضاع أمتة فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى » (لو ١ : ٤٦ — ٤٨) .

التواضع أفضل من العلم . رجل فقير قليل المعرفة ومتواضع أفضل بكثير من فيلسوف غنى متكبر . إذا الكبرياء مرض خطير ، لا علاج له . ويحدثنا العهد القديم عن ملك : جبار ، تكبر واستكبر وظن نفسه الهاً مقتدراً وعظيماً متسلطاً ، فسقط أخيراً ، وكان سقوطه قاسياً وأليماً ، ففى وقت من الأوقات كان نبوخذ نصر الملك يتمشى على قصر مملكته بابل وقال : « أليست هذه بابل العظيمة التى بنيتها لبيت الملك بقوة اقتدارى وجلال مجدى . والكلمة بعد فى فم الملك ، وقع صوت من السماء قائلاً لك يقولون يا نبوخذ نصر الملك : « إن الملك قد زال عنك ، ويطردونك من بين الناس ويكون سكنك مع حيوان البر ، ويطعمونك العشب كالثيران ، ويمضى عليك سبعة أزمنة حتى تعلم أن العلى متسلط فى مملكة الناس . وأنه يعطيك لمن يشاء » (دا ٤ : ٣٠ — ٣٢) .

ويحدثنا أيضاً العهد الجديد عن ملك آخر نسى أنه إنسان وجعل نفسه الهاً ، « فى يوم معين لبس هيرودس الملك الحلة الملوكية ، وجلس على كرسى الملك وجعل يخاطبهم فصرخ الشعب هذا صوت إله لا صوت إنسان . ففى الحال ضربه ملاك الرب ، لأنه لم يعط المجد لله ، فصار يأكله الدود ومات » (أع ١٢ : ٢١ — ٢٣) . وهكذا عوقب هذان

الملكان ، اللذان تجبرا واستكبرا بزوال ملكهما ، وخراب ديارهما .

ثانياً — الطمع ومصدره محبة المال :

نلاحظ الأفراد على اختلاف أجناسهم وتباين أديانهم وتنوع رتبهم في وسط هذا المجتمع الانساني يميلون إلى جمع المال بشتى الوسائل ويبذلون ما في وسعهم لنوال أكبر قسط منه فيجذبهم إليه فيجرون وراءه ويتخذونه معبوداً ثانياً لهم ألم يقل لنا عنهم السيد المسيح : « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » (مت ٦ : ٢٤) . فيجنون من وراء ذلك ثماراً رديئة رديئة .

فان المال يفتن كل بار وجمع المال أصل للبلاء في سبيل محبة المال يخسر الانسان الصداقة الأخوية ويدنس شرفه فيشكو غيره في المحاكم ويتسبب من وراء ذلك الخصام والنزاع في الحياة .

لو انصف الناس استراح القاضي وبات كل عن أخيه راضى يا من تحرق أموالك في تدخين السجائر وأنت يا من ترمى أموالك للماء جوفك بالخمر والمسكر . يا من تبغها على الملاذ والشهوات . اعلم علم اليقين ان الله سيحاسبك على كل قرش يصرف في غير محله . فمما لا شك فيه أن الطمع مصدره محبة المال . « ومحبة المال أصل لكل الشرور الذى اذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان ، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة » (اى ٦ : ١٠) . والنفس الجائعة لا شبع لها ، بل دائماً تطلب المزيد . ومن أحب الفضة لا يشبع من فضة . وكثيراً ما يكون الطمع هو محبة المال مجلبة للهلاك والخراب . كما حدث لجيحزى تلميذ أليشع النبي قديماً عندما طمع في مال نعمان السريانى الأبرص فسعى وراءه واشتبهى أن يأخذ مما قد رفضه سيده أليشع ، وكان متعطشاً للثراء مستعبداً لمحبة المال فأخذ من نعمان الشيء الكثير وادخله الى بيته وعاد يقف أمام رجل الله الذى سأله قائلاً : « من أين يا جيحزى ؟ فقال لم يذهب عبدك الى هنا أو هناك . فقال له : ألم يذهب قلبى معك حين رجع الرجل من مركبته للقائك ؟ أهو وقت لأأخذ الفضة ولأأخذ ثياب ، وزيتون وكروم وغنم ويقر وعبيد وجوار . فبرص نعمان يلصق بك وينسلك الى الأبد ، وخرج من أمامه أبرص كالثلج » (٢ مل ٥ : ٢٥ — ٢٧) ولعل هذا أيضاً يذكرنا بمحادثة يهوذا الاسخريوطى « الذى ذهب الى رؤساء الكهنة ، وقال : ماذا تريدون أن تعطوني من الفضة وأنا أسلمه لكم ؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه » (مت ٢٦ : ١٤ — ١٦) . وكان حبه للفضة أن يبيع سيده بهذه الدرهمات القليلة حتى سقط من درجته الرسولية ، وأخيراً صارت « داره خراباً وأخذ

وظيفته آخر » (مز ١٠٩ : ٨) . فكم كان الطمع وحب المال سببا في خراب البيوت ،
وانهيار الأسر الآمنة .

ثالثا — الأنانية ومصدرها محبة الذات :

قال الآب نستاريون : ان اللص كان على الصليب وبكلمة واحدة تركى ، ويوداس كان
من جملة الرسل ، وفي ليلة واحدة أضاع كل شيء ، من أجل ذلك لا يفخر أحد من
صانعي الحسنات ، لأن كل الذين وثقوا بذواتهم سقطوا . وتصدر الأنانية من محبة الذات
وهى من جوانب الكبرياء والأنانية ، تفقد الإنسان الأحاسيس والمشاعر نحو الآخرين وتركز
كل اهتمامه بذاته فقط وتجعل الانسان لا يعيش إلا لنفسه فقط ولقد قيل : ما استحق أن
يولد من عاش لنفسه فقط .

والانانية تجلب البغض . قال ماراسحق : الذى يبغض صورة الله لا يمكن أن يكون
محبوبا من الله . وتبذر عوامل الشر والكراهية . وتنتزع المحبة من القلوب ، فلا حساب
لصغير مع كبير ولا اكتراث للكبير مع الصغير . ويعيش الانسان بها مزهوا فخورا . يطلق
البخور للصنم أنا وليس أمامه إلا أنا صباحاً ومساءً دون أن يعلم أن ذلك سيقود الى
الخراب والانهيار . ويجدثنا العهد القديم عن جليات الجبار الذى وقف أربعين يوما يعير
صفوف الله الحى متفاخراً بقوله : « أى اله يخلصكم من يدى ؟ وهو لا يعلم أنه يحجر
صغير بكف مقلاع الفتى داود سوف يحطم كبرياءه وانانيته فيقتل ويقطع رأسه وينهزم
جيше . ويصير داره خرابا » (١ صم ١٧ : ١٦) .

هو ذلك البيت المتحد ، البيت القوى باتحاده ، الذى لا ينطفئ نوره ولا تختفى
سعادته . ليس فى العالم كله مكان يضاهى البيت السعيد جمالا وراحة . فأبنا سافرنا وأبنا
نزلنا ، لا نجد أفضل من البيت الذى يحيم عليه ظل السعادة . فالسعادة والبيت كلمتان
مترادفتان فى المعنى اذا عرف رباه — الأم والأب — ان يعيشا العيشة الهنيئة الصحيحة . إن
البيت هو البقعة المباركة العزيرة الحلوة فى كل الأرض أكثر من أى بقعة أخرى . قال أحد
المؤمنين لا تنسى أبداً ان حياتك البيتية هى الكتاب المقدس الذى يقرأه ابنك وابنتك
وزوجتك . إنهم يقرأونه بكل دقة . لنفتح لله بيوتنا حتى يدخل يتعشى معنا ونتعشى نحن
معه ولنصل دائما حتى يستطيع رب كل أسرة أن يقول ولله المجد من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الثالث من الصوم الكبير القلب والشيطان

« لأن من القلب تخرج أفكار شريرة ... » (مت ١٥: ١٩) .

يقوم القلب بدور خطير في حياة الإنسان الروحية والجسدية ، مرتفعاً به أو هابطاً به ، حياً أو ميتاً ، لذلك يقول الحكيم : « فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة » (أم ٤: ٢٣) . ولقد طلب سليمان الحكيم شيئاً واحداً لا غير « اعط عبدك قلباً فهِمماً لأحكم على شعبك وأميز بين الخير والشر » (١ مل ٣: ٩) واستجاب له الرب وقال له : « هوذا أعطيتك قلباً حكيماً ومميزاً حتى أنه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك » (١ مل ٣: ١١ ، ١٢) .

القلب هو ساحة قتال ومنطقة حرب بين الله والشيطان ، بين الخير والشر ، الحياة والموت . يقول السيد المسيح : « إذا خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز في أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة ولا يجد ، ثم يقول أرجع إلى بيتي الذي خرجت منه ، فأتى ويجده فارغاً مكتوساً مزيناً ، ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أخر أشد منه ، فتدخل وتسكن هناك . فتصير أواخر ذلك الإنسان أشد من أوائله هكذا يكون أيضاً لهذا الجيل » (مت ١٢: ٤٣-٤٥) .

إن يسوع المسيح يصور القلب البشري كساحة قتال تملؤه قوات الخير أو قوات الشر . ولا يمكن أن يكون هناك أرض محايدة دائمة ، وكذلك لا يمكن منع هذا الجانب من الاحتلال النهائي — إما الله أم الشيطان ، فلا بد أن يكون المالك للقلب هذا أو ذاك بهذا علم المسيح ، وهذا أيضاً ما تُعلم به المسيحية اليوم وغداً .

إن العلم الحديث يثبت وجهة نظر الكتاب المقدس عن الإنسان كشخصية رابطة الجأش وسيد مصيره ، بل كميّدان لقوات الخير والشر المتصارعة ، عرضة لاحتلال قوات إبليس من جانب ولغزوة النعمة الفادية من الجانب الآخر .

وليس معنى هذا أن الإنسان قضى عليه أن ينحاز إلى جانب الشر أو إلى جانب الخير ، ولكن ليعلن أنه يوجد طريقان وقوتان ومبدآن . فيوجد الطريق الصاعد إلى فوق ، والطريق المنحدر إلى أسفل ، كما يوجد قوة المسيح وقوة الشيطان ، ويوجد المبدأ الصالح والمبدأ الشرير .

فأى طريق نسلكه ١٩ .. وأى مبدأ سيملك علينا ١٩ ومن سيكون معنا ، المسيح أم الشيطان ؟ فعلياً أن نختار !! إن ميزاناً دقيقاً للمصير مسلّم لكل واحد منا ، والله لا يمسّه والملائكة لن تقربه وإبليس لن يستطيع أن يحركه . ولكن الإنسان وحده هو الذى يستطيع أن يقرر مصيره . نعم ، هو وحده الذى يمكنه أن يلتقى ثقله فى الكفة بنفسه ، يمكنه أن يقرر فى أى اتجاه تتحرك إبرة الميزان وأية قوة ستكون هى السائدة على قلبه وحياته كلها .

إن الشيطان إذا سُمح له بالدخول إلى الحياة أو إلى القلب ، ففى الوقت المناسب يسيطر على الإنسان كله « فدخل إبليس فى يهوذا الذى يدعى الإسخريوطى ، وهو من جملة الاثنى عشر ، فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه إليهم ، ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة » (يوحنا ١٣: ٢٧) .

إن ذلك التلميذ ، يهوذا ، الذى احتل الشيطان قلبه ، جعله يساوم أولئك القادة الدينيين الذين تسكن الشياطين قلوبهم وأسلم مخلص العالم إلى أيدي رؤساء الكهنة ، وكانت النتيجة صلب المسيح .

إن القديس يوحنا يضيف عبارة لها دلالتها « خرج (يهوذا) للوقت وكان ليلاً » (يوحنا ١٣: ٣٠) . نعم كان بالنسبة ليهوذا ليلاً طبيعياً ، وكان ليلاً روحياً دون أن يظهر فيه نجم رجاء واحد . فذاك الذى كان يملك أن يتألق كأبهى النجوم فى سماء الإنجيل الخالد قاده الشيطان ليضع حبلاً يلفه حول عنقه ، ففعل وخنق نفسه فى شجرة ، وتحت ثقل جسمه انقطع الحبل تاركاً جسماً مجندلاً ليكون ولجة للدود والنار التى لا تطفأ أبداً . هذا مثال ورمز صامت لعاقبة خدمة الخطية واللذات والشيطان وتسليم القلب له .

لكن كيف نستطيع أن نقهره ١٩

يمكننا أن نقهره ونغلبه عندما نستطيع أن نظرده من قلوبنا ، وبعد أن نغسله من آثاره الآثمة ونحرره من عبودية إبليس وهذا فى أمور كثيرة نذكر بعضاً منها :

الأمر الأول — بدم المسيح :

« وهم غلبوه بدم الخروف » (رؤى ١٢: ١١) . نعم فالجلجلة (الصليب) هى دائماً الجواب الأساسى . إن الشيطان حاول أن يجعل الجلجلة الهزيمة الأخيرة ، ولكن يسوع المسيح له المجد جعلها ساعة النصر المجيدة الظاهرة « لكى يبيد ذاك الذى له سلطان

الموت ، أى إبليس » (عب ١٢: ١٤) .

إن غضب الله المشتعل ضد الخطية قد أحرق ما هو حول الجلجثة ، حيث يمكنك أنت ويمكننى أنا أن نجتمع حول صليب الرب يسوع المسيح ، آمنين من نيران الهلاك .
ابداً سيرك إلى السماء عند صليب الجلجثة كن قريباً من الصليب والمسيح طول طريق سياحتك ، مواظباً على ممارسة الأسرار المقدسة التى تطهرك من كل إثم وخطية .

الأمر الثانى — بكلمة الله :

إن كلمة الله أكبر سلاح رادع لأسلحة الشيطان . والعجيب أن إبليس نفسه كان يستخدم هذا السلاح ، أليس هذا عجيباً !؟

لقد نصح الأسقف تيموثيوس فى قيادته للكنيسة لأنه كان « منذ الطفولية يعرف الكتب المقدسة ... » (٢٢: ١٥) . حقاً إن « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذى فى البر لكى يكون إنسان الله كاملاً متأهباً فى كل عمل صالح » (٢٢: ٣، ١٦، ١٧)

ويقول القديس بولس شاهداً لقوة الكلمة « لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والخصاخ ومميزة أفكار القلب ونياته » (عب ٤: ١٢) . ثم يقول أيضاً « خذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله » (أف ٦: ١٧) .

بعد أربعين يوماً أقضاها السيد المسيح صائماً ومصلياً كان ضعيفاً ومعيباً بالجسد كإنسان تام . ففى هذه الساعة ، ساعة الضعف الشديد ، جاء الشيطان إليه بتجربة قوية تكاد أن تكون قاهرة:

جاء أولاً المجرّب وقال له : إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً . فأجاب وقال السيد المسيح : « مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » (مت ٤: ٤) وفى المرة الثانية : أوقفه على جناح الهيكل وقال له : إن كنت أنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل ، لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك . فقال له يسوع : « مكتوب أيضاً لا تجرب الرب الهك » (مت ٤: ٧) أما فى المرة الثالثة : يقول الكتاب المقدس : ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له : أعطيتك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى . حيثئذ قال له يسوع : « اذهب

يا شيطان ، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد (مت ١٠: ٤) .

الأمر الثالث — وسائط النعمة :

النعمة الإلهية سلاح جبار لو حصل عليها الإنسان لاستطاع أن يقهر إبليس وكل قواته ، كما قال السيد المسيح : « هذا الجنس لا يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم » (مت ١٧: ٢١) .

إن الصلاة هي باب الانتصار ، كما يقول القديس يوحنا الدرجي « إن المحن والعثرات والعوز والضيقات التي تحمل بالإنسان لا يمكنه أن يحتملها أو ينتصر عليها إلا بمعونة الله التي تعطى للذين يسألونه في الصلاة » .

لقد انتصر آباؤنا فنقلوا جبل المقطم ، وغلبوا بذلك مؤامرة اليهودى الذى باع نفسه للشيطان ، فدير هذه المكيدة . ولكن الكنيسة غلبته بالصلاة .

وانتصر أبونا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس أبو الرهبان بالصلاة على قوات الظلمة في البرية . « أما منتظرو الرب فيجدون قوة ، يرفعون أجنحة كالنسور ، يركضون ولا يتعبون ، يمشون ولا يعيرون » (إش ٤٠: ٣١) .

يقول السيد المسيح : « اسهروا إذن وتضرعوا في كل حين لكي تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزعم أن يكون .. » (لو ٢١: ٣٦) .

لقد صعد موسى النبي إلى الجبل ، فانتصر شعبه بقيادة يشوع بن نون . وهكذا نحن حين نصعد على جبل الصلاة فلا بد لنا أن نتنصر على العدو .

فنشكر الله الذى أعطانا سلطاناً أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو (الشيطان) .

الأمر الرابع — الاتضاع :

لا شيء يغلب الشيطان إلا روح الاتضاع لأن الله « يقاوم المستكبرين أما المتواضعون فيعطيهم نعمة » (يع ٤: ٦) . سقط الشيطان عن طريق الكبرياء ، ولا يوجد طريق إلى غلبته والانتصار عليه إلا بمحاربة الكبرياء .

سئل القديس مقار الكبير عن أعظم الفضائل ، فقال « إذا كانت الكبرياء أشد الرذائل حتى أنها أسقطت طغمة بأكملها من الملائكة ، فالتواضع أعظم الفضائل » .

كان القديس أوغسطينوس يصلى دائماً ويقول « يا ليتنى أعرف ذاتى وأعرفك » ويقول أيضاً فى الانضاع : « إن الله هو أعلى » ، إن وضعت ذاتك ينحدر إليك وإن رفعت نفسك يهرب منك . فباتضاع الإنسان يمكنه أن يقهر إبليس ويتنصر عليه .

الأمر الخامس — مقاومته وعدم الخضوع له :

الذى علينا هو أن نقاوم الشيطان ولا نسمح له « قاوموا إبليس فيهرب منكم » (يع ٤:٧) . ولذلك ينبهنا الرسول بطرس فيقول : « اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يحول ملتصقاً من يبتله هو ، فقاوموه راسخين فى الإيمان » (١بط ٥:٨ ، ٩) . أما القديس يوحنا فيشجع المؤمنين ويشهد لهم قائلاً : « وهم غلبوه .. بكلمة شهادتهم » (رؤ ١٢:١١) .

إننا لا نستطيع أن نستلقى على ظهرنا أو ننام على الوسائد الناعمة حيث الراحة ثم ندخل السماء ونحن متكاسلون .

يجب علينا أن نتكلم ونشهد للمسيح . علينا أن نقف على أقدامنا إلى جانب الله ، آخذين ترس الإيمان وسيف الروح ، ونخرج لنجاهد جهاد الإيمان .. وهكذا نمسك بالحياة الأبدية » (١ ق ١٢:٦) .

إن أعظم ما يحتاجه العالم اليوم هو رجال ، رجال لا يشترون ولا يباعون ، رجال هم فى أعماق نفوسهم مخلصون وأمناء ، رجال لا يخشون أن ينادوا الخطية باسمها الحقيقى ، رجال ضميرهم مخلص وأمين كإبرة البوصلة ، رجال يقفون إلى جانب الحق ولو هوت السماء إلى الأرض ، رجال لهم قلوب من فولاذ لا تؤثر فيها حجة العالم ، قلوب انتصرت وملكت مع المسيح ولم يعد لإبليس أن يتسرب إليها ، قلوب تنقت من الخطية وتظهرت من الإثم وعانيت نور مجد الله « طوبى للأتقياء القلب لأنهم يعاينون الله » (مت ٥:٨) .

« إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم ، فإن خلاصنا أقرب مما كان حين آمنة . قد تنهى الليل وتقارب النهار ، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور ولنسلك بلياقة كما فى النهار ، لا بالبطر والسكر ، لا بالمضاجع والعهر ، لا بالخصام والحسد ، بل اليسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات » (رو ١٣:١١-١٤) .

وله المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الأحد الثالث من الصوم الكبير

الابن الضال

لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد (لو ١٥ : ٢٤) .

مر من الصوم الكبير المقدس أسبوعين والكنيسة تضع أمامنا اليوم مثلاً من أروع الأمثلة هو إنجيل في إنجيل هو بشارة للخطاة ورجاء عظيم للعصاة .

يظن البعض ان الله مثل بنى البشر الذين يمتنون الأشرار مقتاً ويتمنون لهم الهلاك والفناء سريعاً . هذا مخالف للحقيقة يا أحبة الرب . لا شيء يسر قلب الله ويهيج نفسه أكثر من أن يسمع أن إنساناً خاطئاً أظهر رغبته في التوبة والرجوع إليه والتقرب منه .

ابن يقف أمام أبيه بغير أدب ولا اعتبار ... لم يخطر بباله أن الوصية الأولى . فى اللوح الثانى من لوحى العهد : « أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض أول وصية بوعد » (أف ٦ : ٢) . « نسى أن الرب يسوع مثلنا الأعلى كان خاضعاً لهما » (لو ٢ : ٥١) . ولكن هو العقوق . هى الطياشة . هى محبة المال الذى ينسى الإنسان إلهه ووصاياه . الابن يشير بيديه ويرفع صوته « أعطني القسم الذى يصيبني من المال » (لو ١٥ : ١٢) . يريد أن يرث أباه الحى وكأنه كان ينتظر موت أبيه . ولكن عمر أبيه قد طال ولم يسرع الموت إليه بل يسير إليه بخطى بطيئة . وقف وكأنه ملاك الموت أمام الشيخ فى عناد وشر يطلب نصيبه من المال حماناً الله من عدم احترام الوالدين . « لأن العين اختقرة والدها والمستهزئة اطاعة امها يأكلها الدود وتقودها غريبان الوادى » (أم ٣٠ : ١٧) .

أخذ الشاب نصيبه من المال واستعجل فى السفر الى هذه الكورة البعيدة . كيف جرؤ ذلك الابن أن يضحى ببيته ويسافر الى كورة بعيدة ؟ كيف ضحى بخنان الأب وعطف الأم ، ذلكما الأبوان اللذان يركن إليهما الابن وهما جناحاً قوة ، وأماناً له . لقد عرف سليمان الحكيم قيمتهما فقال موصياً : « يا ابني احفظ وصايا أبيك ولا تترك شريعة أمك أربطها على قلبك دائماً ، قلدها عنقك ، إذا ذهبت تهديك ، إذا نمت تحرسك ، وإذا استيقظت فهى تحدثك لأن الوصية مصباح والشرعية نور » (أم ٦ : ٢٠ — ٢٣) . إنها روح التمرد والعصيان التى ساقطت هذا الشاب إنسياق وراء ما يسميه الكثيرون بالحرية ، إن الخاطئ يريد أن يبعد عن رقابة الله عن رقابة الضمير يبعد عن الكهنة والوعاظ .. « قال

الجاهل في قلبه ليس إله » (مز ٥٣ : ١) . ماذا في الكورة البعيدة . فيها . خمر والقمار والخلاعة . والاستباحة فيها الفساد والإلحاد . وفيها أيضاً الهلاك والجوع . « البعداء عنك يبدون » (مز ٧٣ : ٢٧) .

إن الابن الضال كرم مأساة عيسو فأستباح لنفسه الشر والعصيان وباع امتيازات البتوة ، ورفض حضن الآب . لقد انفصل الابن عن أبيه ، وهذا يمثل انفصال المؤمن عن الله . ولقد قال القديس أوغسطينوس : موت الجسد هو انفصال النفس عن الجسد ، أما موت النفس فهو انفصال النفس عن الله ، فالخاطيء يعتبر ميتا وإن كان حيا ، لأن أجرة الخطية هي موت . لقد بذر ماله بعيش مسرف وقد ألقى الابن الأكبر الضوء على حياة أخيه في هذه الناحية فقال لأبيه أكل معيشتك مع الزواني . إن صداقة هذا الشاب هي التي جنت عليه « فالعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة » (١ كو ١٢ : ٣٣) . والصداقة الفاسدة كثيراً ما تجر على أصحابها وبالا ولذلك قالوا :

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى
إن صداقة اصحاب الابن الضال لم تكن على أساس من الحب أو الاخلاص فبمجرد أن
نفذ ذهبه ، ذهبوا عنه ، وبمجرد أن انتهت فضته ، انفضوا من حوله . وصدق عليه قول
الشاعر :

ان قل مالي فلا خل يصاحبنى
فكم عدو لبذل المال صاحبنى
أو زاد مالي فكل الناس خلاني
وصاحب عند فقد المال خلاني

تلك هي الصداقة المغرضة النفعية .

هل غابت عنا صداقة يونان لدود ؟ هذه هي الصداقة العظيمة ، الحبة القوية كاللوت
التي لم يقف في طريقها أى عائق أو أى معطل ، لقد انتصرت على كل شيء ... يا لها من
صداقة صادقة ، ولذلك لمامت يونان رثاه داود بمرثاه خالدة بليغة يقول : قد تضايقت
عليك يا أخى يونان ، كنت حلواً لى جداً ، محبتك لى أعجب من محبة النساء . كيف
سقط الجبارة ؟ والصداقة الفاسدة المفسدة أوصلته الى الجوع والفاقة . لقد اشتبهى أن
يأكل الخرنوب طعام الخنازير فلم يجد . لقد أنفق كل شيء وحدث جوع شديد ، فابتدأ
يحتاج ويلسانه نسمعه يعترف ويصرح هذا التصريح كم من أجير لأنى يفضل عنه الخبز وأنا
هنا أهلك جوعاً ؟ ولكن ... ما الذى جعله يحتاج ؟ لقد بذر ماله بعيش مسرف ... ثم
... أكل معيشته مع الزواني . التبذير ... شر لا يضبط ، والسكر والمسرِف يفتقران الى
رغيف خبز .

ولما ابتداءً يحتاج لم يقبله أحد بل صار مخذولاً ومرذولاً من الجميع وطرد من الكورة ، ولم يجد له مأوى إلا أن يعيش مع الخنازير ، ويتمرغ في حماتها ، ويتلطخ بقذارتها ، وتشير الخنازير الى الشياطين الشريرة والأرواح النجسة ولم يكن له بد إلا أن يعيش معها ، ويبست في زرائبها ، ويأكل من أكلها ويشرب من شربها ، فتهرأت ثيابه وانكشف لحماته ، وضمير لحمه وعظامه ، وتقرحت يده وسيقانه ، وسقط على الأرض وليس له من مغيث ولا مجيب . لم يجد خبزاً ولا أى طعام ، يملأ به بطنه الخاوية ، إلا الخرنوب الذى كانت الخنازير تأكله ، وحتى هذا الخرنوب لم يستطع أن يشبع منه ، فعندما كان يتسلق الشجرة ويهزها ، ليسقط منها شيء يأكله كانت الخنازير تسرع إليه وتأكله ولم يجد لنفسه منه شيئاً وكما تشير الخنازير الى الأرواح الشريرة والشياطين ، هكذا يشير الخرنوب الى الاثم الذى يشربه الأشرار كالماء ، والنجاسة التى هى طعامهم وشرابهم .

الرجوع الى النفس هو أساس إصلاح النفس .

والرجوع الى النفس معناه استيقاظ الضمير ،

لقد رجع الابن الضال الى نفسه وقال : كم من أجبر لأبى يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعاً . لقد أمسك فى يده ميزاناً وضع فى إحدى كفتى الميزان العالم والمال والشهوة واصدقاء السوء والزواني وأخيراً الجوع . ثم وضع فى الكفة الأخرى البيت ورعاية الآب ، الخدم والحشم والأكل الوفير ، وبعد هذه المقارنة رأيناه وقد رجع الى نفسه . هذه صرخة الضمير الصاحى الواعى . ليتنا جميعاً نستيقظ من غفلتنا وتصحو فينا ضمائرنا .

قيل عن القديس أرسانيوس الذى كان يشتهي البطيريك أن يأتى إليه ويأخذ منه بركة ، أرسانيوس هذا كان يبكى على خطاياه حتى تساقطت رموش عينيه . لقد كان ضمير أرسانيوس القديس يقظاً جداً حتى أنه كان يبكى بمرارة وبصوت مرتفع على خطاياه حتى أن تلميذه كان يسمعه ، ومرة قال له تلميذه لماذا تبكى يا سيدى ؟ قال له القديس أرسانيوس أبكى على خطاياى وجهالاتى . فقال له تلميذه حتى أنت يا سيدى لك خطايا . فقال له الشيخ القديس صدقنى يا ابنى لو كشف الله خطاياى لما كان يكفى ثلاثة أو أربعة رجال ليبكوا عليها . إننا فى حاجة ماسة الى جلوسنا الى أنفسنا . وإلى يقظة ضمائرنا .

بعد أن رجع الى نفسه وقارن بين حالته التى آلى إليها وحالته التى كان عليها ، قرر الرجوع الى أبيه . وهكذا نحن علينا أن نفكر فى أنفسنا ثم نفكر فى الله والرجوع اليه . أقوم وأذهب الى أبى . قال الشاب أقوم الآن ، الآن وليس غداً أو بعد غد . الابن الضال

يقوم من نومه لا بل من موته : كان ميتا فعاش . استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح .

سئل يوماً أحد القديسين : متى أتوب يا سيدي ؟ عرف الشيخ نفسه ورغبته في حياة العالم ، فقال له اللعب الآن ، أعمل ما تشاء الآن ، ولكن في اليوم الذي يسبق مماتك تب . فابتهج الشاب ولكنه عاد يقول للقديس : ولكن يا سيدي لم تجربني بعد متى سأموت ؟ قال القديس ألا تعرف يوم مماتك ؟ قال لا . قال إذن تب اليوم . قال الوحي : « اسهروا وصلوا لأنكم لا تعلمون متى يأتي رب البيت أمساء أم نصف الليل أم صباح الديك أم صباحا لئلا يأتي بغته فيجدكم نياما وما أقوله لكم أقوله للجميع اسهروا » (مر ١٣ : ٣٣ — ٣٧) .

الى متى تنام أيها الكسلان ؟ متى تنهض من نومك ؟ إنها الآن ساعة لتستيقظ ؟ علينا أن نطلب رحمة الله حين نرجع اليه فيقبلنا . « يا أي أخطأت في السماء وقد املك ولست مستحقاً أن أدعى لك إنباً لإجعلني كأحد أجراك » (لو ١٥ : ١٨ — ١٩) . يا له من انسحاق عميق . يا له من اعتراف ذليل . ومنذ أن طرقت هذه الكلمات اسماع الأب الرحوم الشفوق الذي وقع على عنقه وقبله فرحاً قبل أيضاً توبته بعد اعترافه ، وكان هذا كافياً لرد اعتباره كأبن في بيت الأب وكانت التوبة مع الاعتراف سر من الأسرار المقدسة التي يحصل بموجبها الإنسان الخاطيء على غفران خطاياه . إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا ، ومن يكتم خطاياه لا ينجح . أليس هذا دليلاً على ما ينبغي أن يفعله كل خاطيء ؟ أليس هذا تأكيداً لحقيقة الاعتراف بالكنيسة ؟ إن آدم عندما أخطأ خطيئة المعروفة لم يتركه الله بل مهد له طريق الاعتراف بخطئته وسأله : « هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها » (تك ٣ : ١١) وهنا نستمع إلى أقوال القديسين أغريغوريوس وأوغسطينوس في هذا الشأن فيقولان : إن الله سأل الإنسان الأول والمرأة الأولى قبل أن يحكم عليهما لما خالفا ناموسه ، وذلك ليقدم لهما سبباً للاقرار بذنبيهما فينال الغفران باعترافيهما للذليل الوضع . ألم يقل السيد المسيح لتلاميذه : « الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء » (مت ١٨ : ١٨) . نعم إن الاعتراف بالخطية أمام كاهن الله العلي قد يخللك أيها الخاطيء ، وقد تعتذر وتحتج بأن حيائك يمنعك من الاعتراف . ولكن هذا الاعتراف له نتائج خلاصية وهي :

١ — غفران الخطية (مز ٢٢ : ٥) ، (اش ٥٥ : ٧) ، (يو ٢٠ : ٢٣) ، (١ يو ١ : ٩) .

- ٢ — محوها تماماً وعدم ذكر الله لها (اش ٤٤ : ٢٢) ، (خر ١٨ : ٢٢) .
- ٣ — خلاص النفس في يوم الرب والحصول على رجاء الحياة الأبدية في المسيح يسوع (لو ١٩ : ٩) ، (١ كو ٥ : ٥) .
- ٤ — التطهير من أذناسها والتبشير منها (مز ٥١ : ٢) ، (لو ١٨ : ١٤) .
- ٥ — النجاة من قصاصها المعد للمضْرين على آثامهم (مت ٣ : ٧ ، ١٠) ، (لو ١٣ : ٣ ، ١٩ : ٤٢ — ٤٤ .
- ٦ — المصالحة مع الله برنا يسوع المسيح الذى صالحنا بدمه ونقض السياج المتوسط أى العدواة (رو ٥ : ١) ، (أف ٢ : ١٤) ، (٢ كو ٥ : ١٥ — ٢١) .
- ٧ — الحصول على مرتبة البنوة التى يفقدها العصيان على أينا السموى (لو ١٥ : ١٨ — ٢٤) .

في اختصار نريد بنعمة الله ان نتنقل بمحدثنا الى الأب .
ماذا كان موقف الأب مع الابن الضال ؟؟

١ — ترقب وانتظار :

واذا كان لم يزل بعيداً رآه أبوه . إن دل هذا على شيء فإنما يدل على ترقب الأب منذ اللحظة التى غادر فيها ابنه المنزل . لم يهدأ له بال ، ولم يقر له قرار ، ولم تغمض له عين طالما كان ابنه بعيداً عن احضانه .

٢ — استقبال حار :

تحنن .. ركض .. وقع على عنقه .. وقبله .
لو رجعنا الى الورا قليلا نرى مشهداً جميلاً .
نرى يعقوب الأب الشيخ يعانق يوسف المحبوب صاحب القميص الملون . « وقع على عنقه وبكى على عنقه زمانا » (تك ٤٦ : ٢٨ — ٢٩) . لقد أظلم العالم في عيني يعقوب حين سمع أن ابنه مات ، فلما سمع خبر حياة يوسف تقول إحدى القصص أن ثوب يوسف طرح على عينيه فأبصر ، قال كفى يوسف ابني حى بعد . أذهب وأراه قبل أن أموت ، ولما ظهر يعقوب لابنه « وقع على عنقه وبكى زمانا ... » (تك ٤٦ : ٢٩) .
إنها دموع الفرح والبهجة بعودة الابن الضال يوسف . نفس المشهد ونفس الرواية .. إنها قصة الابن الضال في العهد الجديد : « رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله » (لو ١٥ : ٢٠) . حنان لا نظير له ... وقبله من الأعماق .

٣ - رد اعتبار :

« اخرجوا الحلقة الأولى وألبسوه واجعلوا خاتماً في يده وحذاء في رجليه ، وقدموا العجل المسمن واذبحوه فأكّل ونفّرح ، لأنّ ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد » (لو ١٥ : ٢٢ - ٢٤) . إن الحلقة الأولى : يراد بها رد اعتبار رد النعمة والمحبة والحكمة السابقة للابن الضال . « فرحاً أفرح بالرب ، تبتّهج نفسي بإلهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص كساني رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة ، ومثل عروس تتزين بحليها » (اش ٦١ : ١٠) .

حلة لم يدفع في ثمنها شيئاً . لأنّ يسوع وحده هو الذي دفع ثمنها . دفعه غالباً فوق عود الصليب » . « عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفتنى بفضة أو ذهب بل بدم كريم كما هو من حمل بلا عيب » (١ بط ١ : ١٨ ، ١٩) . أما الخاتم : فإشارة الى العودة للبنوة المفقودة ، وقد ذكر لنا الوحي بأنّ فرعون حين وثق في يوسف وشهد له قائلاً : « هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله . نراه يخلع خاتمه من يده ويجعله في يد يوسف ويلبسه حلة ملوكية جميلة ، كل هذا دليل على رضا فرعون على يوسف وقبوله لديه » (تك ٤١ : ٣٨ - ٤٢) .

أما الحذاء : الذي أمر الأب بإلباسه للابن فيشير الى الطريق الجديد الصالح ، لذلك نسمع بولس الرسول يوصي المؤمنين قائلاً « فائتوا منطقين أحقاءكم بالحق ولا بسين درع البر وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام » (أف ٦ : ١٤ - ١٥) .

وأما الذبيحة المسمنة : فإنما إشارة الى وليمة الخلاص التي قدمها حمل الله عن خطايا العالم . « وقدم ابن الله نفسه ذبيحة لكي كل من يأكل منه يحيا ولا يموت » (يو ٦ : ٥٤) .

فلنرجع الى الله عن طريق غوايتنا ، فهو يرقب رجوعنا وعودتنا ، وعندما نرجع اليه نرى القلب الكبير الرحيم يرحب بنا . ونسمع صوت الفرح والبهجة يعلن لنا افرحوا معي لأنّ ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد .

نرى الابن الأكبر يعاتب أباه ها أنا أخدمك سنيناً .. أراد أن يوغر صدر أبيه ويذكره بما جناه الابن الأصغر . ولكن حنان الأب ورحمته غلبا هذه الأقوال فما أعظم محبة الله للثائب . إن الابن الأكبر يرمز لأمة اليهود . الشعب الحسود الذي حسد الأمم لما رجعوا ولم ينظر الى البركات الكثيرة التي نالها ولم يقدرها . « الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله » (يو ١١ : ١) . أما الابن الأصغر فيشير إلى جماعة الأمم غير اليهود . الذين كانوا بعيدين عن

رعوية الله وعن شركة النعمة ، ومع ذلك فقد قربهم الله إليه . وأدخلهم حجاله ومتعهم في بيته ، وتم في هذا المعنى قول الوحي عن السيد المسيح له المجد : « وأما الذين قبلوه فقد أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنين باسمه » (يو ١٠ : ١٢) .

يا للبركات التى نلناها فلنحرص عليها ولا نبتعد عن أيينا مرة أخرى . الأب في سروره وفرحه يعلن لإبنه الأكبر ويكرر ما قاله للخدم « ينبغي أن نفرح ونسر لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد » (لو ١٥ : ٣١) . فلنذكر أننا في حالة البعد عن الله نكون أمواتاً . « كنا أموات بالذنوب والخطايا » (أف ٢ : ١) . وعند عودتنا لبيت الأب نعيش ونحيا . والآن نكتفى بهذا القدر ، فماذا بقى لنا من كلام ؟ لا شيء سوى أن نرجع كما رجع الابن الضال ، وأن نتوب كما تاب ، وأن نودع أصدقاء السوء ، وأن نعترف بخطايانا وننتغير عن أشكالنا بتجديد أذهاننا لنختبر ما هى إرادة الله المرضية الكاملة .

الرب قادر أن يردنا إليه ، ويقرب البعيدين الذين يعيشون في كورة الحرية الفاسدة ليجددهم ويحررهم . « إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً » (يو ٨ : ٣٦) .

وله المجد الدائم من الآن وإلى الأبد آمين .

ليكن لك كما تريد

يا امرأة عظيم إيمانك (مت ١٥ : ٢٨) .

لم نسمع في هذا العصر ، ولا العصور السابقة ، إنساناً احتاج لأمر ما ، سواء كان مرضاً أصابه ، أو عوز ألم به ، ذهب الى شخص بشرى يثق فيه أنه لا يرجعه خائباً وطلب منه هذا الأمر فأجابته هذا الشخص قائلاً : ليكن لك ما تريد . ولماذا ؟ لأنه ليس صاحب السلطان المطلق على كل شيء كالله . ولكن إذا كان هذا الشخص حكيماً ماهراً فيصف له الدواء ولكن ليس في استطاعته الشفاء . وإذا كان رئيساً عظيماً وسألته لأجل حاجة ما ، يعمل كل ما في وسعه لما يوصلك الى ما تبغيه من جهة حاجتك ، ولكن ليس في استطاعته أن يقول لك ليكن لك ما تريد .

وهكذا كل انسان تثق فيه أن عنده مرهما لجرحك ليس في استطاعته أن يقول لك ليكن لك كما تريد . لكن أتريد أن يكون لك كما تريد ؟ تعال الى يسوع صاحب العطايا الصالحة والمواهب التامة . الذى يهب لك ما تطلبه في أوانه إذ يقول : « اسألوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا ، أفرعوا يفتح لكم » (مت ٧ : ٧) . هو الذى يعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً » (رؤ ٢١ : ٦) . ذهبت اليه امرأة كنعانية يقول عنها معلمنا مرقس الإنجيلي أنها أمة فينيقية سورية وطلبت منه أن يتكرم عليها بشفاء ابنتها لأن ابنتها كانت مجنونة جداً . وقالت له : « يا سيد أعنى ، ابنتى مجنونة جداً . فقال لها : « ليكن لك كما تريد . فشفيت ابنتها من تلك الساعة » (مت ١٥ : ٢٨) . ولماذا أجاب يسوع هذه المرأة بهذا الجواب في الحال الذى هو كل ماتبغيه منه له المجد ؟ مع العلم بأنه كثيراً ما نطلب منه تعالى طلبات لا تعطى لنا في الحال كما أعطيت ونالت هذه المرأة ؟ الجواب على ذلك هو للأمور الآتية :

أولاً — شعورها بأن يسوع هذا هو الله :

لأنها لما أتت إليه قالت له أعنى يا سيد . وهذه كلمة لا تقال إلا للخالق العظيم ، لأنه هو المعين وحده وهو الذى « به نحيا ونتحرك ونوجد » (أع ١٧ : ٢٨) لأنها رأت أن كل الذين يصابون بأمراض مختلفة يأتون إليه فيشفون وجميع الأمراض العضالة التى عجزت الأطباء عن شفاؤها زالت بقوته فأنت اليه صارخة بصوت عظيم « يا سيد أعنى . فقال لها

ليكن لك ما تريد . مع ملاحظة أن هذه المرأة لابد أن تكون قد ذهبت إلى أطباء بابنتها فلم تفدها شيئا ، ولكنها لما رأت يسوع يقول كلمة للمريض فيشفى تركت أطباء العالم طارحة إياهم خلف ظهرها وأتت إليه جاثية لثقتها أنه هو الخالق العظيم وأنه بيده الحل والربط طالبة شفاء ابنتها . فبناء على هذه الثقة أجابها يسوع قائلا : ليكن لك ما تريد . فاذا وثقت في يسوع أنه هو الذى تجو له كل ركبة بما فى السماء وعلى الأرض وما تحت الأرض ، وإن يده أسست الأرض ، ويمينه نشرت السموات ، هو يدعوهم فيقفن معاً ، وهو أن لم يبنى البيت فباطل تعب البنائون . وأن الرجاء بالرب أفضل من الرؤساء فلا تضع ثقتك فى أحد من الناس مهما بلغت درجته ، فكل ما تطلبه باسمه يجيبك فى الحال ليكن لك ما تريد .

ثانياً — لأجل تواضعها :

قال التلاميذ ليسوع : اصرفها لأنها تصيح وراءنا . فقال الرب . ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويعطى للكلاب فقالت : نعم يا سيد والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها . فلم تقل كيف يدعوني كلبه ، وأنا نسى وحسى وأصلى وفرعى وعظمتى وجاهى معروفة كما يفتخر أهل العالم بل قالت : نعم يا سيد أنا كذلك . فلأجل تواضعها هذا أعطاها الرب سؤال قلبها بقوله لها : « ليكن لك كما تريد » (مت ١٥ : ٢٨) . فالتواضع هو الذى يرفع الإنسان ويجعل الله يعطيه سؤل قلبه .

قال الكتاب المقدس : « يقاوم الله المستكبرين أما المتواضعين فيعظمهم نعمة » (١ بط ٥ : ٥) . « تواضعوا تحت يد الله القوية لكى يرفعكم فى حينه » (١ بط ٥ : ٦) . فاذا أردت ان تستجاب طلباتك ، اطلب بتواضع ، بانسحاق قلب ، لأن الله يستجيب للمتواضعين .

يخبرنا القديس لوقا فى بشارته (الأصحاح الثامن عشر والآية ٩) أن السيد المسيح له المجد نظر الى قوم واقفين فى أنفسهم أنهم أعظم الناس جاها ومقاما وتقوى فضرب لهم هذا المثل قائلا : « إثنان صعدا الى الهيكل ليصليا ، واحد فريسى والآخر عشار ، أما الفريسي فوقف يصلى هكذا : اللهم أنا أشكرك انى لست مثل باقى الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار ، أصوم مرتين فى الأسبوع وأعشر كل ما اقتنيت وأما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع وجهه الى فوق نحو السماء بل قرع على صدره قائلا : اللهم ارحمنى أنا الخاطيء . أقول لكم أن هذا نزل الى بيته مبرراً دون ذاك . لأن كل من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع » (لو ١٨ : ٩ — ١٤) . أفتريد أن يكون لك كل ما

تطلبه من يسوع بواسطة صلواتك من أجل احتياجاتك الجسدية والروحية ؟ أطلب متواضعاً حاسباً نفسك أنك كلا شيء وأنت كالبخار الذى يظهر قليلا ثم يضمحل . ففى الحال تسمع الصوت الإلهى من السماء قائلا لك : ليكن لك كما تريد .

« قال الله العلى المرتفع ساكن الأبد القدوس اسمه . فى الموضع المرتفع المقدس أسكن ، ومع المنسحق والمتواضع الروح ، لأحى روح المتواضعين ولأحى قلب المنسحقين » (اش ٥٧ : ١٥) .

ثالثا — لأجل عظم إيمانها والثقة التامة فى يسوع أنه يستجيب لطلبها :

فعلا لما نظر له المجد أن هذه المرأة لها الإيمان العظيم فى شخصه أنه يسمع لها ويشفى ابنتها حسب سؤال قلبها ، ناداها « يا امرأة عظيم إيمانك ، ليكن لك كما تريدن : فشفيت ابنتها فى الحال » (مت ١٥ : ٢٨) . وهذا ما يعلمنا إياه تبارك اسمه ، وهو أن جميع ما نطلبه باسمه بإيمان ناله . وذلك بقوله : « وكل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تتألون » (مت ٢١ : ٢٢) . فيا أيها المسيحى ، يجب أن تكون طلباتك بإيمان لدى الله ، لكى يعطيك ما تطلبه ، لأنه بدون إيمان لا تكون استجابة . وعليه فأطلب بإيمان غير مرتاب البتة ، لأن المرتاب يشبه موجا من البحر تحبطه الريح وتدفعه ، « فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئا من عند الرب » (يع ١ : ٧) .

« الإيمان هو الثقة بما يرحى والإيقان بأمور لا ترى » (عب ١١ : ١) فلنتقدم دائما بثقة الى عرش النعمة ، لكى ننال رحمته ، « ونجد عوناً فى حينه » (عب ٤ — ١٦) .

رابعا — لأن طلبات هذه المرأة كانت طبق إرادة الله :

لم تطلب هذه المرأة الانتقام من أعدائها ، ولا الشر لجيرانها وأصدقائها ولا أن تكون غنية ذات ثروة كبيرة دون غيرها ، ولا أن يكون لها النسب والحسب العالمى ، بل طلبت شفاء ابنتها ، وهذا طلب يسر به الله لذلك لم يؤخر عن ابنتها الشفاء ، بل تبارك اسمه قال لها ليكن لك كما تريدن . ففى الحال نالت ابنتها الشفاء التام .

قال الكتاب المقدس : « وهذه الثقة التى لنا عنده ، أى عند الله ، أنه ان طلبنا شيئا حسب مشيئته يسمع لنا » (١ يو ٥ : ١٤) . فأجعل كل طلباتك تكون حسب قصد الله ومشيئته لا حسب أهوائك الجسدية ، فتسمع صوت الله العزيز من السماء الذى يفرح قلبك بقوله : ليكن لك ما تريد .

ترأى الله لسليمان الحكيم وقال له : إسأل ماذا أعطيك فلم يطلب سليمان من الله

أياماً كثيرة ولا غنى ولا أنفس أعدائه ، بل طلب الحكمة . نظر سليمان الى نفسه ، فوجد أنه في مركز عظيم ، وهو يحكم على ألوف من النفوس وهو يملك على شعب أعظم من كل شعوب الأرض ، وان عليه مسئولية عظيمة أمام الله نحوه .. أى نحو هذا الشعب . في حين أنه فتى صغير . فقال سليمان لله : « إنك قد فعلت مع داود أبى رحمة عظيمة ، وملكنتى مكانه ، فالآن أيها الرب الإله سيثبت كلامك مع داود أبى ، لأنك قد ملكنتى على شعب كثير كتراب الأرض ، فأعطينى الآن حكمة ومعرفه لآخريج أمام هذا الشعب وأدخل ، إذ من ذا الذى يقدر أن يحكم على شعبك هذا العظيم ؟ » (٢ أى ١ : ٨ — ٢٠) . فرأى الله أن كل ما طلبه سليمان هو حسب قصده ومشيئته لأن سليمان لم يطلب الحكمة لينفقها في شهواته وملذاته العالمية ، كلا ، بل لكى يعرف أن يدبر بها شؤون هذا الشعب العظيم ، ويميز ما هو خير وما هو شر في وسطه ، ويعطى كل واحد حقوقه لكى لا يقع تحت دينونة . لذلك أعطاه الله كل سؤل قلبه وأعطاه « غنى وكرامة لم يكن مثلها للملوك الذين قبله ولا للذين بعده » (٢ أى ١ : ١٢) . وهكذا ما يعمل الله من-نحونا في استجابة طلباتنا متى رآها أنها حسب قصده تعالى . ففى الحال يتنازل ويعطينا ما طلبناه منه ، لأنه هو قريب لمن يسأله ، وهو مستعد أن يعطى كل واحد حسب سؤل قلبه من غنى مجده ، « لأن ربا واحداً للجميع غنيا للجميع الذين يدعون به ، لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص » (رو ١٠ : ١٢ — ١٣) وهو « الذى لم يشفق على ابنه ، بل بذله لأجلنا أجمعين فكيف لا يهبنا أيضاً معه كل شئ » (رو ٨ : ٣٢) .

فأنظر أيها المسيحى الى هذه المرأة ، لما وجد يسوع له المجد هذه الشروط التى ذكرناها آنفاً متوفرة فيها أعطاها سؤلها . فكم بالحرى نحن المسيحيين المؤمنين باسمه . اذا وجد الله هذه الشروط فينا ؟ أفلا يتنازل جل جلاله ويعطينا ما نحتاج اليه في هذا العالم ؟ فالله يساعدنا جميعاً حتى نقوم باتمام هذه الشروط الأربعة لكى في جميع ضيقاتنا وأحزاننا وشدائدنا وتجاربنا يكون الله معنا ، إذ يقول :

وتطلبوننى فتجدوننى اذ تطلبوننى من كل قلوبكم . وله المجد دائماً أبدياً آمين .

عظة إنجيل. عشية الأحد الرابع من الصوم الكبير المسيح والطبيعة

« تأملوا الزناىب كيف تنمو . لا تعب ولا تفزل » (لوقا ١٧: ١٢) .

ألقى الرب يسوع موعظة الجبل ، وفيها وضع أسس الدستور للعهد الجديد . وقد ضمنها التعاليم والمبادئ الذى جاء من السماء — كالمعلم الأعظم — لينشرها بين الناس .

وفى هذه الموعظة تكلم يسوع عن أهم الأسس والمبادئ لعلاقة الإنسان مع الله ثم لعلاقة الإنسان مع الإنسان . وفى حديثه عن علاقة الإنسان مع الله لمس نواحي عديدة كان من بينها ناحية الاعتماد عليه فى مطالب الحياة . وفى هذا الحديث رأينا ناحية خاصة تتجلى فى حياة يسوع ، وتلك هى ناحية تقديره للطبيعة ونظرفته الخاصة إليها . فقد تكلم يسوع عن زناىب الحقل وعصافير السماء كلاً ما كان ينبىء عن أشياء كثيرة ، وجدير بنا أن ندرس هذه الناحية فى حياة يسوع .. يسوع والطبيعة .

وأول ما يستلفت أنظارنا هو أن يسوع قد تحدث عن الطبيعة حديثاً يشف عن تقديره لجمالها وتأثره بهذا الجمال . وقد ظهر هذا التقدير فى قوله عن زناىب الحقل : « أقول لكم إنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها » (لوقا ٢٧: ١٢) كم منا يمرون على الزناىب وينظرون إليها دون أن يحدث منظرها فى نفوسهم أى تأثير ؟ أما يسوع فقد أثبت فى حديثه هذا أنه أعجب بجماله وقدر ما أودعه فيها من روعه وبهاء .

وفى حياة يسوع نرى صورة بارزة لشغفه بالطبيعة وسعيه إليها ، يطلب راحته فيها ، فمعظم حياته كانت فى الجبال والبحر والبستان وبين الزروع . ومن شدة شغفه بالطبيعة اتخذ منها منيره يلتقى منها مواعظه — فتاره كان يجلس على الجبل ويتكلم ، وموعظته الشهيرة كانت موعظة الجبل ، ومرة أخرى يدخل السفينة فى البحر ، ومنها يلقى حديثه على الناس ، كما حدث عندما دخل سفينة بطرس ، وسأله أن يبعد قليلاً عن البر ، ثم جلس ، وصار يعلم الجموع فى السفينة .

وهناك كلمة قبلت تبين لنا بوضوح كيف اعتبر يسوع الطبيعة بيته الذى يخلد إليه وفيه يستريح ، وتلك هى « ومضى كل واحد إلى بيته ، أما يسوع فمضى إلى جبل الزيتون » ، ومعلمنا لوقا الإنجيلي يقول لنا عنه إنه « كان في النهار يعلم في الهيكل وفي الليل يخرج ويبعث في الجبل الذى يدعى جبل الزيتون » (لوقا ٢١: ٣٧) وخلوات يسوع الروحية كان يقضيها كلها في الطبيعة .. فقبل عمامه ، وقبل أن يضطلع بمهام رسالته ، مضى إلى البرية حيث بقى أربعين يوماً صائماً مصلياً . ولما أزمع على اختيار تلاميذه « خرج إلى الجبل ليصلى وقضى الليل كله في الصلاة » . وفي وقت آلامه لم يجد إلا جثسيماني في جبل الزيتون مكاناً يختل فيه مع أبيه ، يصلى إليه فيه ويناجيه .

تلك كانت حياة يسوع . إنها كانت الحياة التى تجد راحتها في الطبيعة ، في الطبيعة تهدأ وتستريح ، وتستخدمها كأمثال وحكم تقرب بها مفاهيم الملكوت ومحبة الله ورعايته إلى الناس في حديث لذيد مؤثر ومرع .

ولقد عنى يسوع بترويض تلاميذه في هذه الناحية ليرى فيهم الاحساس بجمال الطبيعة والتوجه إليها . فكان كثيراً ما يصحبهم إلى الجبال والبراى للاستجمام والراحة .

وفي حياة المسيحيين الحقيقيين تظهر هذه الناحية ، واضحة جلية . إن الناس يتمتعون بحياة التقوى بأنها الحياة الجامدة التى لا تمس بجمال في الحياة .. حتى جمال الطبيعة . والحقيقة هى على النقيض من ذلك . فبقدر ما يتعمق الإنسان في حياته المسيحية بقدر ما تصفو روحه وتسامى ، تنتبه فيه حساسيته بالجمال الذى أودعه الله في الطبيعة ، والجمال الذى أضفاه عليها ، والمسيحيون الحقيقيون هم الذين يحسون بهذا الجمال ويقدرونه ، ويعرفون كيف يتمتعون به ويجدون سرورهم فيه .

وعلى العكس ، أولئك الذين يعيشون في الجسد .. هم الذين تنحدر بهم شهواتهم إلى أسفل ويفقدون حساسيتهم بجمال الطبيعة النقية الطاهرة ، فلا يطلبون سرورهم منها ، ولكنهم يسعون إلى الناييع الملوثة القدرة .

والذى يحتاجه الناس هو أن تفتح عيونهم ليتأملوا الطبيعة البريئة فيتبين ما فيها من جمال صنعته يد الخالق بحكمة فائقة ، يرونه في زنايق الحقل وأمواج البحار وتمايل الأشجار ، وسحب السماء والوديان والتلال والجبال . فطوبى لمن أدرك ما في الطبيعة البريئة الطاهرة من جمال وراح يطلب سروره منها لا من الغرور الباطل والوهم والخيال .

إن أول ما نراه في حديث يسوع عن الطبيعة هو حديثه عن جمالها والبهاء الفائت الذي أضفاه عليها .

ثم تحدث يسوع عن نور الطبيعة وأثره في معرفة الله وإدراك محبته ففى حديثه عن زنايق الحقل « إن سليمان في كل مجده لم يكن يلبس كواحدة منها » قد أعلن لنا أشياء كثيرة عن الله .

وكان أول ما أعلنه هو وجود الله .. إن يسوع في كلامه عن جمال الزنبقة قد أعلن علامة القصد في الخليفة : أن هناك عقلاً مفكراً قد أبدع هذا الجمال الذي فاق في بهائه حُلل سليمان في كل مجده . ومن يكون هذا العقل المفكر غير الله القوى في قدرته والعظيم في فهمه وحكمته ؟

وعلامة القصد ظاهرة في خليفة الله بأسرها وفي كل ناحية من نواحيها .. في الطبيعة الصامتة ، وفي الكائنات الحية الناطقة وغير الناطقة ، في عالم النبات وفي عالم الحيوان وفي الإنسان ، في جميع الكائنات نرى أن كل شيء قد صُنِع بقصد ولغاية ، وكل ذلك في حكمة باللغة النهائية تنبئ عن وجود صانع حكيم قوى قادر .

وفي القديم هتف المزمع قائلاً : « ما أعظم أعمالك يارب . كلها بحكمة صنعت . ملائمة الأرض من غناك » (مز ١٠٤: ٢٤) وفي هذه الأعمال العظيمة المجيدة رأى كتاباً مفتوحاً يُخبر بوجود الله فقال : « السموات تحدث بمجد الله والفلك يُخبر بعمل يديه » (مز ١٩: ١) .

لقد أعلن يسوع في حديثه هذا عن وجود الله ، ثم تحدث في الوقت ذاته عن الله كقوة فائقة القدرة .. فكيف صانع كان يعمل في حُلل سليمان ؟ وكيف من الوقت كان يضيع في إعداد كل واحدة منها ؟ ولكن زنايق الحقل أكثر جمالاً من حُلل سليمان التي تزدان بها الحقول في كل مكان ، هذه الزنايق تتكون بمجرد الكلمة الآمرة دون يد تعمل ولا وقت يذل .

وفي هذه نرى الله في قدرته الفائقة ، وهذا الذي نراه في زنايق الحقل هو بعينه الذي نراه في عمل من صنع الله . لا ، بل نلمسه في تصرفات الله التي يُجريها معنا في حياتنا اليومية .

وفي القديم ظهر الله لإبراهيم وقال له : « أنا الله القدير . سر أمامي وكن كاملاً » (تك ١٧: ١) وهكذا عرفه جميع الآباء « كالإله القادر على كل شيء » ، وفي هذه المعرفة وجدوا سلام نفوسهم وطمأنينة قلوبهم .

الفنان الأعظم

إن يسوع في حديثه عن الزنبقة قد أعلن وجود الله وأعلن قدرته الفائقة ، ثم أعلن الله لنا ، كالفنان الأعظم ، أنه يصنع كل شيء جميلاً ، حتى عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويُطرح غداً في التنور يخلع عليه من جمال صنعه ما فاق سليمان في كل مجده .
إن الكتاب يُقرر أن الله عندما أبدع خليقته كان يرى ما صنعه فإذا هو حسنٌ وجميل . وحينما استعرض خليقته بأسرها عندما فرغ من صنعها رأى كل ما عمله فإذا هو حسنٌ جداً .

ومن يستطيع أن يجهل ما في الطبيعة من روعة وجمال .. في الأنهار والبحار .. في النباتات والأشجار .. في الشمس المشرقة والقمر المضيء والكواكب المتناثرة .. في الوديان المنبسطة وفي الجبال العالية؟! لقد كان جمال الطبيعة موضع تأمل القديسين لأنهم كانوا يرون فيه جمال الله كما يرون فيه عظمة فنه ودقة صنعه ، وفي هذا يقول المزمع : « بصنائع يديك أنا أتأمل » (مز ١٤٣: ٥) .

الله في عنايته

وفي حديث يسوع عن الزنبقة تكلم عن الله في وجوده وفي قدرته وفي عظمة فنه .. وأخيراً تكلم لنا عن الله في عنايته « فإذا كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويُطرح غداً في التنور يلبسه الله هكذا ، فكم بالحرى جداً بلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان .. فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس لأن أباهم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها » . وفي هذا الحديث مس يسوع ناحية من أدق نواحي الحياة وهي ناحية الخطر الذى يصيب الإنسان من الاهتمام والقلق ، فقلق الفكر كما يفسد إيماننا ويشوش على حياتنا الروحية فإنه كثيراً ما يصيبنا في صحتنا . ونفسيتنا بأضرار بالغة تعكر علينا صفو حياتنا ، وأحياناً تقضى علينا ، وقد أثبتت التجارب أن القلب هو أعدى أعداء الإنسان وأشدّهم خطراً .

ويسوع في حديثه عن الزنبقة إنما أراد أن يعلن لنا عناية الله الكاملة بنا ، والتي فيها ما يكفى لطمأنيتنا وإبعاد القلق عن نفوسنا .

لقد وعد الله شعبه منذ القديم قائلاً على لسان موسى النبي : « والرب سائر أمامك هو يكون معك لا يهملك ولا يتركك » (تث ٣١: ٨) . وداود يتحدث قائلاً :

« كنت فتى وقد شخت ولم أرَ صديقاً تخلى عنه ولا ذرية له تلتبس خبزاً » (مز ٣٧: ٢٥) ولهذا يقول أيضاً : « اتقوا الرب يا قديسيه لأنه ليس عوز لمتقيه . الأشبال احتاجت وجاعت أما طالبو الرب فلا يعوزهم شيء من الخير » (مز ٣٤: ٩ ، ١٠) ، هكذا يقول بولس الرسول أيضاً : « كونوا مكتفين بما عندكم ، لأنه قال لا أملك ولا أترك » (عب ١٣: ٥) .

لقد تحدث يسوع عن الطبيعة في جمالها ثم عن الطبيعة في رسالتها عن الله ، وأخيراً يتحدث عن نصحه للإنسان ليفيد من الطبيعة في جمالها ورسالتها . وهذا النصيح قد أودعه في هذه الكلمات « تأملوا زنايق الحقل » ، فهو يريدنا أولاً أن نستمتع بجمالها .. قال الرسول بولس إن الله « يمنحنا كل شيء للتمتع » . وفي خطابه في لسترة قال متحدثاً عن الله : « وهو يفعل خيراً يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مشمرة ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً » (أع ١٤: ١٧) .

وخلاصة القول أن الله قد وفر لنا في الطبيعة كل ما يلزم لسرورنا وأنه يمنحنا هذه الناحية كل شيء بغنى لنتمتع به وننعم بجماله .

وهنا يوجهنا يسوع ربنا إلى ضرورة الاستفادة مما قد أعده لنا إلهنا من الطبيعة الجميلة .. إنه يدعونا أن نتأمل فيها ونستمتع بجمالها . ويسوع يرى بهذا إلى أكثر من غرض واحد .. فهو في الوقت الذي فيه يريد أن يوفر لنا سرور الحياة وبهجتها يريد أيضاً أن يوجهنا إلى الطريق السليم للاستمتاع بالحياة ويدراً عنا شر الانحراف إلى السبل الخاطئة التي نطلب سرورنا منها ، فتجر علينا متاعب ونكبات تؤذيها في حياتنا الروحية ، كما تقضي على سلامنا وهنائنا .

إن في الطبيعة البرية ما يكفي لاستمتاعنا وسرورنا . وليس غدر لإنسان يطلب سروره من غيرها . والحكيم هو الذي يقصر مسراته على الطبيعة وجمالها ، مبتعداً عن ضروب اللهو الباطل ليجنب نفسه نتائجها المريرة التي يقاسمها كل من سار وراء أحلامها الخادعة الزائلة الفاشلة .

إن يسوع عندما قال : « تأملوا زنايق الحقل » أرادنا أولاً أن نستمتع بجمالها ، ثم أراد أن نستوحيا ونأخذ ما نستطيع أن نستخلصه من الدروس النافعة منها . إنه يريدنا أن نتأملها لتكشف لنا عن الله في قدرته وجمال فنه ودقة صنعه ، ثم في عنايته بخليقته . وما أشد حاجة المؤمنين إلى ساعات هادئة يقضونها في الطبيعة البرية ، يقرأون على

صفحاتها معاني الحب الإلهي للإنسان ودلائل عنايته الفائقة بخليقته ، فينشدون مع المرنم قائلين : إذ أرى سمواتك عمل أصابعك ... القمر والنجوم التي كونتها ... أहतف متسائلاً ... من هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده ؟ » (مز ٨: ٣، ٤) .

ثم ما أشد حاجة المؤمنين في ساعات الشك والضييق أن يستوحوا الطبيعة لتحديثهم عن عناية الله الفائقة ، فتدخل الطمأنينة إلى نفوسهم وتسكن ما فيها من خوف وهلع وتقهر الاضطراب والفرع .

هكذا كان رجال الله القديسون يفعلون ، فإنهم كانوا يقدسون أوقاتاً هادئة للتأمل في الطبيعة البريئة ، يستمتعون بما أودعه الله من جمال فيها ويطلبون سرورهم منها ، ثم يستوحونها ليتلقوا دروساً ثمينة في الحياة على صفحاتها .

فالمرنم يهتف قديماً قائلاً : « لهجت بكل أعمالك ، بصنائع يديك أنا أتأمل » (مز ١٤٣: ٥) وقيل عن إسحق إنه « خرج عند إقبال المساء في الحقل ليتأمل » (تك ٢٤: ٦٣) .

فإلى الطبيعة الهادئة البريئة .. فتأملها لنستمتع بجمالها وروعها ثم لتستوحيا ونفيد من رسالتها .

ولربنا المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الأحد الرابع من الصوم الكبير

السامرية

من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش الى الأبد (يو ٤ : ١٤) .

كنا فى الأحد الماضى نتكلم عن مثل فى رجوع الخاطيء ، واليوم نحن أمام نفس خاطئة ترجع . رجعت رجوعاً حقيقياً وكانت سبب بركة . نحن اليوم أمام حقيقة لا مثل . نرى ابن الله كم يتعب من أجل الخطاة ، كان متعباً من السفر وكان ظمآنًا وجوعاناً .. ومع هذا كل كانت محاولة طويلة . انتهت برحمته تلك النفس الخاطئة . طلب منها ماء ليشرب ولم ترد أن تعطيه بحجة العداوة القديمة التقليدية بين اليهود والسامريين . فكان اليهودى يتنجس إذا لمس سامرياً ولا يمر يهودى فى سفره بالسامرة إلا إذا كان مضطراً ، حتى صار اسم السامرى عاراً ومرادفاً لكلمة شيطان . قال اليهود عن المسيح : « إنه سامرى وبه شيطان » (يو ٨ : ٤٨) .

وقد صمم يسوع على المرور بالسامرة لينزع هذه الروح الخبيثة من قلوب تلاميذه ، وليفتح الباب لقبول الغرباء عن اسرائيل . لأنه جاء ليخلص الجميع ، والنفس ثمينة لديه بصرف النظر عن الجنس أو اللون أو أى أمر آخر . أطال أناته عليها حتى طلبت هى منه ماء الحياة . أعطاهما من ماء الحياة فتركت جرتها ونسيت ماء البئر . ارتوت وجرت من بطنها أنهار ماء حى . أروت مدينتها وكانت واسطة خير فرأى كثيرون من أهل مدينتها الرب يسوع المسيح ، من رآه لا يحتاج لسامرة تشرح له عنه . « لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن . لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم » (يو ٤ : ٤٢) . فاغلظت الجواب للسيد : كيف تطلب منى ماء لتشرب .. وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية واليهود لا يعاملون السامريين . وبنعمة الله وإرشاده نتأمل فى :

أولاً — السيد المسيح والمرأة السامرية :

أ — مواعيد مرتبة :

جلس يسوع المسيح على البئر متعباً . الساعة السادسة يعنى (الساعة الثانية عشر ظهراً) . وفى تلك الساعة جاءت امرأة من السامرة لتستقى ماء .

هل كان مجيء المرأة على سبيل الصدفة ؟

لو تقدمت فى الصباح أو تأخرت الى المساء ماذا كان جرى ؟

إنها لم تأت على سبيل الصدفة أبداً . ولو تأخرت أو تقدمت لضاعت منها تلك الفرصة الذهبية . إنها لم تكن تعلم أن الله رتب هذه المواعيد ، ولكنها لابد علمت بعد أن آمنت أن كل خطوة يخطوها الإنسان هي بترتيب من الله الذى عين أزمته كل شيء . رتب السيد المسيح له المجد أن تخرج المرأة فى تلك الساعة لتنال بركة الخلاص ولكي تكون سبب بركة لكثيرين .

ب - السامرية تجهل يسوع :

جهلته ورفضت أن تعطيه ليشرب وظنته يهودياً عدواً ولم تعرف أنه رب اليهود والسامريين بل هو السامرى الصالح الذى نزل من عرش مجده ليعالج المرضى بالخطايا ويشفى جراحاتهم . رفضت أن تعطيه ماء واستغربت كيف يطلب منها ماء وهو يهودى ، وهي سامرية . ثم نسمع يسوع يتحدثها عن الماء الحى فيقول لها : « لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذى يقول لك أعطني لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حياً » . (يو ٤ : ١٠) . ثم نسمع رد الغباء فتقول : « يا سيد لا دلو لك والبر عميقة فمن أين لك الماء الحى . ألعلك أعظم من أيننا يعقوب الذى أعطانا البئر ؟ » (يو ٤ : ١١ - ١٢) .

آن للسامرية أن تدهش من كلام السيد المسيح الذى يطلب منها جرعة ماء ليطفىء ظمأه وفى نفس الوقت يدعى أن لديه ماء حيا يعطيه لإياها إذا ما طلبت . وحقا أن العالم يدهش من يسوع وديانته . فهي ديانة قوة ومظهرها الضعف . ديانة غنى لا يستقصى فى مظهر من الفقر . ديانة تعزية عميقة مع أوجاع وأحزان . كما يقول بولس الرسول : « بمجد وهوان ، بصيت ردىء وصيت حسن ، كمضلين ونحن صادقون ، كمجهولين ونحن معروفون ، ككاثنين ونحن أحياء ، كمؤدين ونحن غير مقتولين ، كحزائى ونحن دائماً فرحون ، كفقراء ونحن غنى كثيرين » (٢ كو ٨ : ٦ - ١٠) .

وفى كثير من ظروفنا واحوالنا يظهر المسيح أمامنا كأن لا دلو له والبئر عميقة ولكن سرعان ما يغمرنا بمراحه وعطفه فيقوم وينتهر البحر والريخ فيحدث هدوء عظيم . لقد صدق الله يوم قال : « هلك شعبى من عدم المعرفة » (هو ٤ : ٦) . وأيضاً قول الرسول : « لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » (١ كو ٢ : ٨) . وجهلها وغبائها ولد فى نفسها التعصب المقيت . اسمعوها تقول للمسيح : كيف تطلب منى ماء لتشرب وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية لأن اليهود لا يعاملون السامريين . وقد استرسلت فى أسلوب تعصبها فقالت . أباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه . حل لها يسوع المشكل بأنه ستأتى ساعة لا يكون السجود فى هذا الجبل ولا فى أورشليم

« لأن الله روح والذين يسجدون لله فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا » (يو ٤ : ٢٤) .

وشعب السامرة مزيج من الوثنيين واليهود ، ولهذا تأصلت العداوة حتى رفض اليهود إشراك السامريين في ترميم الهيكل بعد الرجوع من السبي ، وانتقم السامريون من اليهود بتدنيس الهيكل بعظام الموتى ، فزاد الحقد بين الشعبين ، واختار السامريون قمة جبل جرزيم لتقديم العبادة لأنها أقدم من الهيكل وأقدس منه في نظرهم لاعتقادهم أن إبراهيم قدم اسحق ابنه على قمة هذا الجبل . والسامريون يرفضون كل الكتاب ما عدا الأسفار الخمسة الأولى لموسى النبي .

إن المسيح لم يتمشى مع السامرية في أسلوب تعصبها ، بل انتقل الى إيجابية النقاش فقال : « كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا لا يعطش الى الأبد بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية » (يو ٤ : ١٢ — ١٤) .

وهنا نرى ماء تعطيه بئر يعقوب وماء آخر يعطيه بئر يسوع . ان بئر يعقوب مأوها يشفى غلة تعود مرة أخرى . أما الماء الحى الذى يمنحه يسوع لطلابه فيطفىء ظمأ الروح التى لا تفتنى ويعطى راحة داخلية .

كان هذا الماء الحى يعطيه يسوع للمرأة وتشرب وهى لا تشعر بطعم هذا الماء . والماء الحى لا يحتاج الى حاسة الذوق لتستطعمه . بل هو ماء الروح القدس ينبع فى قلوب المؤمنين حتى يفيض على الآخرين . ماء ينسى صاحبه ماء الدنيا المالح فينسى من ارتوى بالنعمة . مال الدنيا ومجد العالم . ويذكر يسوع وحده . ولما ارتوت المرأة قالت أنا أعلم أن مسيا الذى يقال له المسيح يأتى فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء . « قال لها يسوع الذى يكلمك هو » (يو ٤ : ٢٦) . أخبرها بكل شيء . ومن غيره يخبر بكل شيء ؟ لذلك تركت جرتها ومضت الى المدينة تروى أهلها بما ارتوت وتدعوهم الى من قال لها كل ما فعلت إنه المسيح . إذ تركت المرأة جرتها ما أعظم التضحية فى سبيل المسيح .

ثانياً — سوخار تعرف المسيح :

كانت المرأة تجهل المسيح ، ولكنها بعد ان عرفته عرفت الناس به . وبعد أن أتوا ورأوه طلبوا منه أن يمكث فى سوخار ، فمكث يومين . وبعد اليومين قال : من آمن به للمرأة السامرية . لسنا بعد بنسب كلامك نؤمن . لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم .

لا شك ان المؤمنين من أهل سوخار مدينون للمرأة السامرية بدين كبير والمرأة يشهد عنها الكتاب أنها كانت السبب في إيمان كثيرين . « فآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة التي كانت تشهد أنه قال لي كل ما فعلت » (يو ٤ : ٣٩) . إن المرأة التي أفسدت مدينة السامرة كانت هي السبب في تقديسها . المرأة التي كانت رسول الشيطان في السامرة أصبحت رسول المسيح في نفس المدينة ويسببها آمن به كثيرون .
إن الله يدعونا جميعاً الى الكرازة به .

لقد أمر السيد المسيح بصراحة فقال : « اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » (مر ١٦ : ١٥) . ويأمر الرسول بولس تلميذه تيموثاوس : « اكرز بالكلمة ، أعكف على ذلك في وقت مناسب وغير مناسب » (٢ تي ٤ : ٢) . فالوعظ ضروري ، كيف يسمعون بلا كارز . والرب أمر تلاميذه أن يعلموا ويتلمذوا جميع الأمم ، وأن يكرزوا بالتوبة . وبولس الرسول كان دائماً يحث على التعليم والوعظ . « أعكف على القراءة والوعظ والتعليم . لأنك اذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً » (١ تي ٤ : ١٣) ، (١٦) . عظ ، وبخ ، انتهر في وقت مناسب وغير مناسب . والرسول يقول عن نفسه ويُلِّ إلى إن كنت لا أبشر . ولكن لماذا نرى الخدمة في هذه الأيام قليلة الفائدة . لأن المبشر يريد أن يظهر على حساب المسيح . لا يريد أن يعرف الناس بالمسيح ولكنه يريد أن يعرف الناس اقتداره في الخطابة والوعظ ، وأصبح الوعظ خطابة من واعظ سواء ارتوى أو لم يرتو ، شرب هو من الماء الحى أو لم يشرب .

إن المرأة كان كل همها أن تجعل الناس يأتون إلى يسوع ، وما دامت النفس وقفت أمام يسوع فما حاجتها بالمرأة . « لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن » (يو ٤ : ٤٢) . انها أول امرأة ارسلت رسول بين الأمم . ان كل التلاميذ الى تلك الساعة لم يتعدوا اورشليم أما هي فقد تعدت اورشليم وبشرت في مجموعها الخمس قارات ما عدا اورشليم .

با لفخر المرأة في مريم أم الله وفي السامرية أم المؤمنين . يا لفخر المرأة اذ عرفت كيف تستخدم مواهبها انها قلبت مدينة برمتها في أربعة وعشرين ساعة انها قالت لأهل وطنها هلموا انظروا لإنسانا قال لي كل ما فعلت . خرجت كل المدينة شيوخواً وكهولاً اطفالاً وشباناً نساء وعذارى سيدات محطمتات الجسم وناقهاات الصحة . المدينة برمتها بفضل تأثر المرأة .

أيها الأحياء ان القوة ليست فيها ولكن القوة في الذى آمنت به . ان الاتصال حصل بين الله والإنسان خذوا رجلاً مكهرياً روحياً وألقوه في المدينة بعد أيام قليلة تتحول المدينة . قال

ملك الهنود لتوما الرسول : كم مسيحياً عندك فقال له قل كم وثنياً بقى .

ثالثاً — المعلم والتلاميذ :

كل هذا .. وكل المناقشة التى كانت بين الرب والمرأة والتلاميذ فى المدينة يتناعون طعاماً . لم يرتض المسيح الحكيم العظيم أن يشهر بالمرأة السامرية أمام أحد ، بل عندما أراد أن يكشف حياتها وأسراها صرف تلاميذه ليحضرها طعاماً ، مع أنه لم يكن فى حاجة إليه بدليل أنه لم يشأ أن يأكل حيناً أحضروا الطعام لديه . ثم أتوا واستغربوا أنه كان يتكلم مع امرأة . كانت المرأة لا قيمة لها عند اليهود ، كان اليهودى يفضل أن تحرق الشريعة ولا تمسها يد امرأة ولم يرفع أحد من قدر المرأة إلا يسوع . طلبوا من السيد أن يأكل ... ولعله لم يشرب أيضاً .. لأن المرأة تركت الجرة ومضت . كان رد السيد : « طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتم عمله » (يو ٤ : ٣٤) .

إن رسالته هى أن يرد الضالين ويبشر المساكين ، ويرسل المأسورين الى الحرية . لكم كان شيع نفسه حين ملأ شبكة الملكوت بصيد عظيم ويا له من صيد دسم . المرأة السامرية وكل أهل مدينتها .

رابعاً — ان الحصاد كثير :

وهذا ما يجب على كل خادم للمسيح عليه أن يدعو الناس ليختبروا المسيح بأنفسهم .. تعال وأنظر . إن قوة الكرازة هى فى الشهادة الاختبارية كما قال داود النبى : « ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب . وكما قال يسوع لتلاميذه أن يكونوا شهوداً له الى أقصى الأرض . يجب على كل خدام الانجيل أن يدرسوا بكل تمنع هذه التعاليم . ويطلبوا من رب الحصاد أن يهبنا قوة ونعمة لنشعر بالمسئولية . ليحول أنظارنا من البحث الكثير عن لقمة العيش لنتجه بأنظارنا الى حقل النفوس وقد أبيضت . حقاً لقد أهتم يسوع بالفرد وعلمنا « أنه يكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب » (لو ١٥ : ٧) . « ويكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب » (لو ١٥ : ١٠) . لقد فرحت السماء والملائكة بالسامرية الواحدة التى خلصت وتقدست بفضل المسيح الواحد .

ما موقفك أيها المسيحي من مستقبلك ؟ هل تقبل ان تشرب من الماء الحى كما شرىته منه المرأة السامرية ؟ وهل تعزم ان تترك جرة خطاياك وتطرحها عند قدمى المسيح الخالص ؟ إسأل نفسك ... وليفتقدك الله برحمته كما افتقد السامرية فتصيح مع داود النبى قائلاً : قلباً نقياً أخلق فى ي الله وروحاً مستقيماً جدده فى أحشائى ولربنا المجد الدائم الى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس الجمعة الخامسة من الصوم الكبير

توعد الفريسيين بالموت في خطاياهم

إن لم تؤمنوا أنى أنا هو تموتون في خطاياكم (يو ٨ : ٢٤) .

بعد أن ألقى السيد المسيح له المجد خطابه عن نور العالم في أوائل هذا الأصحاح ، ختم هذا الخطاب بوعيد وجهه إلى من يصرون على رفض الإيمان ، ويتضمن الهلاك الذى ينتظرهم يوم الدين . وإنجيل قداس هذا الصباح المبارك الذى يتناول هذا الوعيد يبين فيه المخلص هلاك رافضى الإيمان ، وأن تفكيرهم الذى حملهم على رفضه تفكير أرسى . وأن مصدر هذا الإيمان سماوى يحتم الأخذ به .

أولا — هلاك رافضى الايمان :

بدأ رب المجد يحذر اليهود المُصرين على رفضه من أن تفوتهم فرصة الايمان به مدة إقامته بينهم وهى قصيرة فقال لهم في عيد المظال : « أنا معكم زماناً يسيراً بعد ثم أمضى الى الذى أرسلنى » (يو ٧ : ٣٣) . أى أننى بعد قليل سأصلب وأموت ، ثم أقوم وأصعد إلى أبى الذى أرسلنى ، وكل ذلك بحريتى ومحض إختيارى . ثم إنكم بعد ذلك ستطلبون مسيحا آخر عالمياً ، أو تطلبون عودتى ثانية فلا يكون هذا ولا ذاك لأنه لا يكون مسيح غيرى أو عبارة أخرى أنكم أيها اليهود ستظلون تتوقعون مجىء المسيح الموعود به ، وتتوقون إليه ، وتظنونه ملكاً زمنياً ، ومنقذاً عالمياً ، فلا تجدونه لأنه يكون فى السماء ، فتركون فى حال اليأس والعجز لأنكم تركتمونى أنا ابن الله ، ويمثل هذا نطق هوشع النبى على إسرائيل وإفرايم ويهوذا لما تعرفوا فى إنهم فقال : « يذهبون بغنمهم ويقرهم ليطلبوا الرب ولا يجدونه . قد تنحى عنهم » (هو ٥ : ٦) . وبعد أن قال لهم يسوع أنا أمضى وستطلبوننى فلا تجدوننى ابتداءً يقول وتموتون فى خطيتكم لإصراركم على الكفر وبغضكم لى ، وستطرحون فى جهنم لأنكم برفضكم لى ، وأنا الواسطة الوحيدة للخلاص ، تبقون بلا توبة ولا مغفرة ولا تمييز . وختم وعيده بقوله أنه بعدم التوبة والإيمان لا يمكنكم أن تشتركوا فى أفراح السماء وأمجادها حيث أكون أنا على الدوام مع أبى لأنى مساو له فى الجوهر .

ثانياً — تفكيرهم الأرضى :

أما هؤلاء اليهود ففسروا كلامه تفسيراً يدل على زيادة بغضهم له ، إذ قالوا ألعله يقتل نفسه ، فكأنهم أرادوا أن يقولوا له إن كنت قصدت بكلامك المضى إلى دار الموتى فلا نريد

أن ننتبعك إلى هناك بل سنذهب إلى السماء لأننا أولاد إبراهيم الذين مصيرهم لا محالة إلى السماء . وتفسير اليهود هذه المرة موافق لرغبة قلوبهم في قتله مع أن معنى كلامه ظاهر بأنه يعود إلى السماء حيث لا يمكنهم أن يأتوا كما بينه هو بقوله الآتي . أنتم أرضيون أصلاً وطبعاً . وهمكم في الأمور الجسدية . وترغبون في غنى العالم وأبجاده . فلا تستطيعون أن تدخلوا السماء إلا إذا ولدتم ثانية ، أما أنا فقد نزلت من السماء ولا أطلب هذا العالم ، وبعد موتى سأعود إلى السماء . ثم قال لهم قد قلت إنكم تموتون في خطاياكم التي منها الكفر ، إذ لا غفران إلا بالإيمان . فإن لم تؤمنوا أني أنا المسيح مخلص العالم ، وأنى الله المتجسد ، والحي منذ الأزل ، وواهب الحياة للمؤمنين ، والذي قيل عنه في نبوة إشعياء النبي « لكى تعرفوا وتؤمنوا أني أنا هو » (اش ٤٣ : ١٠) ، تموتون في خطيتكم .

ثالثاً — سمو مصدر الإيمان :

لم يفهم اليهود تماماً قصد السيد له المجد من قوله إني أنا هو ، فسألوه قائلين من أنت ؟ وعندئذ رد عليهم قائلاً : أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به . أى أننى منذ بدء خدمتى على الأرض أوضحت لكم تماماً الحق ، وذكرت مراراً ، وأقول دائماً إننى الأول والآخر ، وقد أوضحت لكم أننى الماء الحى ، ونور العالم ، وخبز الحياة النازل من السماء ، ولكنكم لم تفهموا لأن بغضكم لى وإصرارك على كفركم لى قد ختم على قلوبكم . ثم مضى يقول لهم أنه فى إمكانى أن أدينكم على أمور كثيرة وخطايا لا تحصى رداً على إهاناتكم ومقاوماتكم لى . فوق ما حكمت به عليكم من قبل ، ولكن مهما قاومتونى ومهما توقحتم فالله الذى أرسلنى صادق ، وأنا أتكلّم وأعلم بما سمعته منه ، وبناء على ذلك فكل ما أقوله صدق وحق ويجب على الجميع الإيمان به . ولكن بما أننى أتيت لخلاص العالم لا لدينوته فسأكتفى الآن بمخاطبتكم عن كيفية نوال الخلاص ، تاركا دينوتكم إلى يوم أجلس على كرسي الدينونة لأدين كل إنسان حسب أعماله .

ويقرر البشير بعد ذلك أنه رغم وضوح كلامه . لم يفهموا أنه كان يقول لهم عن الآب لأن جهالتهم وكبرياءهم حالتا دون ذلك ، وظلوا على ما هم فيه من ضلال . فهذا قد بينا لكم أن قلة الإيمان هى أصل جميع الشرور . والإيمان هو مصدر كل عمل صالح . فيجب علينا أن نكون راسخين فى الإيمان بنعمة وتعطف ربنا وإلهنا يسوع المسيح . الذى له المجد إلى أبد الأبد . آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الخامس من الصوم الكبير أنواع الناس إزاء المجيء الثانى

« متى جاء ابن الإنسان ألعله يجد الإيمان على الأرض » (لو ١٨: ٨) .

لقد تعلمنا من الكتاب المقدس أن السيد المسيح له المجد « لا يأتى إن لم يأت الارتداد أولاً » (٢ تس ٣: ٢) .

والارتداد — إما أن يكون إنكار الإيمان المسلم مرة للقديسين أو السلوك بروح أهل العالم الحاضر الشرير .

وفى هذه الأيام نرى روح الإرتداد ظاهرة : أولاً : فى ارتداد الناس عن الحق المقدس ، واتباعهم أرواح مضلة وتعاليم شياطين .

ثانياً : فى سلوك الناس ضد حق الإيمان فكثيرون لهم صورة الإيمان فقط ، كما قيل عن البعض : « لهم اسم أنهم أحياء ولكنهم أموات » ولهم صورة التقوى ولكنهم منكرون لقوتها » (٢ تي ٥: ٣) .

ومن ذا الذى تفوته صيغة الاستنكار فى سؤال السيد « متى جاء ابن الإنسان ألعله يجد الإيمان على الأرض » (لو ١٨: ٨) . وإذا نظرنا إلى ذواتنا بإمعان كما قيل : « جربوا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان . امتحنوا أنفسكم » (٢ كو ١٣: ٥) : ثرى ماذا يكون حكمنا على أنفسنا ؟ هل لنا حياة الإيمان الذى به نرضى الله ؟ هل لنا الإيمان الذى غايته خلاص النفوس ؟ الإيمان الواهب القوة ، الإيمان الحى المثمر ، العامل بالمحبة ؟ إن الكتاب المقدس قسم الناس إلى ثلاثة أقسام بالنسبة للمجيء الثانى للمسيح :

١ — الذين ينكرون المجيء الثانى إنكاراً تاماً :

هؤلاء يتكلمون عن المجيء الثانى بنوع من السخرية والهزاء « عالمين هذا أولاً أنه سيأتى فى آخر الأيام قوم مستهزئون ، سالكين بحسب شهوات أنفسهم ، وقائلين أين هو موعد مجيئه . لأنه من حين رقد الآباء كل شئ باقٍ هكذا من بدء الخليقة » (٢ بط ٣: ٣ ، ٤) .

ليس بغريب أن يتفوه هؤلاء بهذه الأقوال ضد هذا الموضوع الهام ، لأن بطرس الرسول سبق وتنبأ عنهم .

٢ — الذين يعترفون بمجىء المسيح ثانية ولا ينكرونه وإنما يقولون إن قدومه سيبطيء :

« ولكن إن قال ذلك العبد الردىء في قلبه سيدى يبطيء قدومه ، فيبتدىء يضرب العبيد رفقاهه ويأكل ويشرب مع السكارى ، يأتي سيد ذلك العبد في يوم ، لا ينتظره وفي ساعة لا يعرفها ويجعل نصيب مع المرائين . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » (مت ٢٤: ٤٨—٥١) .

إنها عبارات صريحة تدل على موقف من يقولون حتى في قلوبهم « سيدى يبطيء قدومه ولا يصرحون بذلك علناً . إنه موقف رهيب وخيف للغاية في نفس الوقت .. ينكر الفريق الأول المجىء الثانى ويقابلونه بروح السخرية والاستهتار ، ويعترف الفريق الثانى بالمجىء الثانى وحقيقته ، إلا أنهم يستبطفون مجيئه في قلوبهم . القسم الأول يصرح في كلامه بعدم عقيدته بالمجىء الثانى . والقسم الثانى يعتقدون ببطء قدومه في قلوبهم فقط . حكم الرب يسوع على مثل هؤلاء بأنهم أردياء ومراؤون — وقادهم هذا الاعتقاد إلى عدم التدقيق في الحياة الشخصية ومعاملة زملائهم معاملة سيئة — ليس الضرب بالعصا هو المقصود ، بل كثيراً ما تكون ضربات اللسان والقلم أقسى وأشدّ هولاً .

٣ — الذين يؤمنون ويرحبون بمجىء الرب ثانية :

ألم يكن الرسول بولس ومن معه منتظرين هذا المجىء ؟ (١ تس ٤: ١٣—١٨) . وهكذا كان يتوقعه كل القديسين في كل العصور . لماذا نتخوف من حقيقة صريحة كهذه ؟ إنها تدعو إلى السهر واليقظة والأمانة . وقد دعا الرب يسوع جماعة المنتظرين حكماء وأمناء ، وأنهم يستحقون المجازاة عند مجيئه .

مثل هؤلاء يشتركون مع يوحنا الرسول الذى عندما سمع آخر وعد كتابى « يقول الشاهد بهذا نعم . أنا آتى سريعاً » أجاب في الحال « آمين . تعال أيها الرب يسوع » (رؤ ٢٢: ٢٠) .

ولا غرابة إذا كان الرسول بولس سينال إكليل البر ، وكذلك جميع الذين يحبون ويرحبون بمجىء الرب ثانية .

قال أحد الكتاب « إن نوعين من يرحبون بمجيء المسيح ثانية ، وهم الروحانيون والمتأملون » — ويظهر لى أنه من مقاصد الرب أنه يسمح بوقوع هذه الحرب والضيق الشامل حتى تكون الكنيسة مستعدة ، وحتى تشترك فى هذا النداء قلبياً « آمين . تعال أيها الرب يسوع » .

موقف المؤمنين إزاء المجيء الثانى

١ — واجبنا أن نكون منتظرين وساهرين ومستعدين :

« لتكن أحقاؤكم منطقة وسرجكم موقدة . وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين . الحق أقول لكم أنه يتمنطق ويتكلمهم ويتقدم ويخدمهم . وإن أتى فى الهزيع الثانى أو أتى فى الهزيع الثالث ووجدهم هكذا فطوبى لأولئك العبيد . وإنما أعلموا هذا أنه لو عرف رب البيت فى أية ساعة يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب . فكونوا أنتم مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان » (لوقا ١٢: ٣٥-٤٠) .

٢ — علينا أن نطلب فى الصلاة سرعة مجيئه :

« منتظرين وطالبيين سرعة مجيء يوم الرب » (١٢: ٣بط) . « الروح والعروس يقولان تعال » (رؤى ٢٢: ١٧) .

إنه فى كل مرة سمع فيها يوحنا الرسول عن مجيء الثانى للمسيح أجاب من قلبه وبلفظة قائل « نعم آمين » فمثلاً عندما سمع الروح يقول : « هوذا يأتى مع السحاب وستراه كل عين ، والذين طعنوه ، وينوح عليه جميع قبائل الأرض » صلى وقال « نعم آمين » (رؤى ١: ٧) — ولما سمع آخر وعد كتابى فاه به الرب نفسه « يقول الشاهد بهذا نعم أنا أتى سريعاً » أجاب فى الحال وقال : « آمين . تعال أيها الرب يسوع » (رؤى ٢٢: ٢٠) وهذه هى آخر صلاة فى الكتاب المقدس .

إن الروح القدس يطلب سرعة مجيء الرب . وكذلك العروس تنتظر وتطلب سرعة مجيء الرب . ولماذا يطلب الروح سرعة مجيء الرب ؟ لأنه ساكن فىنا وبيننا — ساكن فى المؤمنين الذين يحزنونه بسبب أعمالهم وعصيانهم فى الملوك وفى الخدمة مدة عشرين قرناً كاملة . احتمال فيها ارتداد وضلال الكنيسة المنظورة . وكذا هو موجود فى وسطنا

يراقب كل ما يحصل من مفاسد ومظالم على الأرض وهو . فهو يطلب لهذه الأسباب سرعة مجيء الرب .

وتطلب العروس كذلك سرعة مجيء الرب لأنه طال الزمان وهي تنتظر عريسها آتياً . إنها تتوقع ذلك اليوم السعيد ، الذى فيه تنفض غبار القبر ، وتقوم بأجساد ممجده بل وتتوق بكل تأكيد إلى اليوم المجيد الذى فيه « يحضرها لنفسه » (أف: ٢٧: ٥) .

إن الروح والعروس يشتركان فى هذا النداء حتى يأتى المسيح ، ليس كما جاء فى المرة الأولى « وهو وديع وراكب على حمار » (زك: ٩: ٩) — بل سيأتى فى مجد أبيه مع الملائكة القديسين بقوة ومجد كثير وسترى هذا كل عين والذين طعنوه — إن الروح القدس نفسه هو الذى أضرم فى العروس هذه الرغبة المقدسة .

العُرس

« لنفرح ونتهلل لأن عرس الخروف قد جاء وامراته قد هيأت نفسها . وأعطيت أن تلبس بزاً نقياً بيباً . لأن البز هو تبررات القديسين » (رؤ: ١٩: ٨٧) .
وله العز والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس الأحد الخامس من الصوم الكبير

أحد الوحيد (المخلع)

ها أنت قد برئت : فلا تخطيء أيضاً لئلا يكون لك أشر (يو ٥ : ١٤)

الطبيب الحقيقي شافى أمراض الأرواح والأجساد يزور مستشفى بركة بيت حسدا وكان اليوم سبتاً ، ماذا عمل في هذه الزيارة السعيدة . إنه يقف أمام مريض ، ترمد على الله ، وترغ في وهدة المعاصي فعاث في الأرض شرّاً وفساداً ، وداس الشرائع السماوية . وانغمس في وحل الخطية . كانت علته شديدة الفلج وكان مطروحاً من مدة ثمانى وثلاثين سنة أنه أنعم عليه بنعمة الصحة والعافية .

وبنعمة الله نتأمل في هذا الموضوع في الخمس نقط الآتية :

أولاً - يسوع في زيارة مستشفى بيت الرحمة :

بيت حسدا : ومعناها بيت الرحمة لأن الله كان يظهر رحمته بالمرضى الذين يلقون فيها . وباب الضأن : سمى كذلك لأنهم كانوا يأتون منه بغنم الذبيحة الى الهيكل ، أما البركة فشيدها سليمان الحكيم لخدمة الهيكل إذ كانت معدة لغسل ذبائح الضأن . وهى ترمز لبركة المعمودية التى بحلول الروح القدس عليها تشفى من الخطية ، وكانت بركة لها خمسة أروقة تشير الى الحواس الخمسة وهم (النظر الشم السمع الذوق اللمس) .

كان المستشفى متسعاً . وكان مرضاه أمراضهم مستعصية عى ، وعرج ، وعسم . وكان طبيب المستشفى ملاكاً وقيل هو ميخائيل . ولم يكن بالطبيب المقيم . بل كان ينزل أحياناً في البركة ويحرك الماء . وكان الشفاء للمحظوظين . من ينزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من أى مرض اعتراه . أى أن ماءها لم يكن نافعاً ما لم يتحرك ، ويفيد هذا أيضاً أن قوة الشفاء التى لهذا الماء لم تكن طبيعية فيه بل كانت هبة من الله يودعها فيه على يد ملاكته .

وكان هناك إنسان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة . وأن مرضه قد استعصى على الشفاء طيلة هذه المدة وأن المخلص اختار مرضه العضال لإظهار قدرته على الشفاء . إن من أمر بإعطاء الأجر لعبادة المرضى وزيارتهم . « كنت مريضاً فزرتونى » (مت ٢٥ : ٣٩) . نراه اليوم في زيارة هذا المستشفى . ان يسوع الرحيم نراه اليوم في زيارة مستشفى بيت الرحمة . انه يعطينا الدرس العملى . في زيارة المرضى . وليست هذه هى المرة الأولى والأخيرة

التي زار فيها يسوع المرضى أو خلع نعمة الشفاء عليهم . إن حياته العملية كلها الشفقة بمرضى الأرواح والأجساد . وكل الجمع طلبوا أن يلمسوه لأن قوة كانت تخرج منه وتشفى الجميع » (مت ٩ : ٣٥) ، (مر ٣ : ١) ، (لو ٦ : ١٩) ، (يو ٤ : ٤٧) . ولقد لخص الكتاب المقدس عمل يسوع بالقول : « الذي جال يصنع خيراً ويشفى جميع كل المتسلط عليهم إبليس » (أع ١٠ : ٣٨) .

ثانياً — شفاء المفلوج :

أو لم يكن هناك مريض غير هذا المريض ؟ كانت الأروقة الخمسة مملوءة بأسرة المرضى . ولم شفى يسوع هذا المفلوج ولم يشف باقي المرضى . هل كان هذا المريض محظوظاً أو هل هناك استثناءات . حاشا لله من المحاباة فالجميع أولاده . ولكن حكمته العالية أن يشفى مريضاً ويبقى الآخر في علته . وينهض واحداً من مرضه ويسمح أن يموت الآخر بمرضه . فما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء . وكان الشفاء . والشفاء العاجل بعد ثمان وثلاثين سنة ، كانت العافية والعافية التامة . « قم احمل سريرك وأمشي فحالا برىء الإنسان وحمل سريريه ومشي » (يو ٥ : ٨ — ٩) .

مرض مدته ٣٨ سنة ... يعالج بكلمات قم .. أحمل .. وأمشي . والنتيجة حالا برىء . يا له من طبيب عجيب ودواء غريب . إن الأطباء اذا عاجلوا مريضاً وخففوا عنه وطأة المرض لا يسمحون له أن يزاوّل أعماله . ويتناول طعامه المعتاد إلا رويداً رويداً . أما يسوع اذا ما منحنا الصحة الروحية والجسدية منحنا معها القوة على القيام بواجباتنا على الوجه الأكمل في الحال . إن الله السخي في العطاء ، لا يعطى إلا بسبغاء ، وهب الرجل كمال الصحة حتى أن الذي كان ملقياً عند البركة مدة طويلة بلا حركة ، يقوم في الحال ولا تحمله أقدامه فقط بل ويحمل سريريه « مبارك إسم الرب إلهنا الذي قال أنا الرب شافيك » (خر ١٥ : ٢٦) .

ثالثاً — اليهود والذي شفى :

وكان في ذلك اليوم سبت . نسوا مرض المريض وطول مدته . نسوا أنهم لم يشفقوا عليه في أثناء مرضه ويحملونه ليلقوه في البركة متى تحرك الماء .

قدم المريض شكواه ليسوع من قساوة قلوبهم . ليس لى إنسان . وذكروا شيئاً واحداً . « أنه سبت . لا يحل لك أن تحمل سريرك » (يو ٥ : ١٠) يا للعجب في التمسك بحرفية الناموس — إن الرجل أجابهم بأن الذى شفاه . صاحب القوة والسلطان . هو الذى أعطاه

الحل في أن يحمل سريته يوم السبت . لقد كرر اليهود اعتراضاتهم على يسوع من أجل السبت . وكرر يسوع الشفاء يوم السبت . قالوا بعد شفاء المولود أعمى . « هذا الانسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت » (يو ٩ : ١٦) . واليوم يطلبون قتل يسوع لأنه عمل هذا في سبت » (يو ٥ : ١٦) . سبت ... ما هذا السبت ؟ هل يترك المريض في مرضه يشقى ويتألم لأنه سبت . « هل إذا سقط خروف واحد منهم في حفرة في السبت أفما يمسه ويقيمه ؟ فالإنسان كم هو أفضل من الخروف . إذا يحل فعل الخير في السبوت » (مت ١٢ : ١١ - ١٢) ولكن هذا المريض بالذات . كان مقطوعاً . ليس لى إنسان . فالمرضى الآخرون كان بجوارهم أهلهم وأقاربهم على أتم الاستعداد لحملهم بسرعة والقائهم في البركة متى تحرك الماء . ولكن مريضنا كان بينا هو آت . بعد جهد شديد في البحث عمن يليقه في البركة ، ينزل قدمه آخر ، أليس في هذا أعظم درس لمن تركه الأهل والأقارب وأصبح بلا سند ولا عضد .

ان يسوع معين لمن ليس له معين . انه رجاء لمن ليس له رجاء . (أوشية المرضى) . هذا المريض رآه يسوع مضطجعاً . طوى لمن وقعت عليه عين يسوع وهذه العين لا تقع صدقة ، بل عندما يصرخ المتضايق بقلب عامر بالايان وثقة وطيدة ، ينظر الله من السماء . هذا المريض بالذات ، طالت مدة علته . له زماناً كثيراً . ثمان وثلاثين سنة ! نحتاج إلى الصبر .. في تجاربنا . اللهم املأ قلوب المجربين بالصبر .

كانت المدة طويلة وكان الليل يطول وما من شئ . واليوم تغف « شمس البر وأشعة الشفاء في أجنحتها » (ملا ٤ : ٢) بعد طول غياب أمام هذا المريض فتجدد فيه الرجاء بعد اليأس « سمعتم بصير أيوب ورأيتم عاقبة الرب لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف » (يع ٥ : ١١) .

أبى هبنا مع التمسك بالناموس روحاً وعقلاً . « لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيى » (٢ كو ٣ : ٦) .

لقد أكل التلاميذ من السنابل .. يوم السبت . واعترض اليهود هل يتركون جوعى لأنه سبت ؟ ولما اعترضوا قال لهم يسوع : « أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه . كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذى لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط » (مت ١٢ : ١ - ٤) . قال اليهود للذى شفى إنه سبت لا يحل لك أن تحمل سريك . لقد ثار اليهود على المسيح من أجل كسره يوم السبت . فأراد أن يعلمهم أن الانسان لم يخلق من أجل السبت بل السبت من أجل الانسان . والى الآن لا يزال جماعة

السبتين يثورون من أجل حفظ يوم السبت دون الأحد وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن السبتين يريدون أن يعودوا بالمسيحية الى الأركان الضعفية التي عناها بولس الرسول يوم قال : « وأما الآن إذ عرفتم الله بل بالخرى عرفتم من الله فكيف ترجعون أيضاً الى الأركان الضعيفة الفقية التي تريدون أن تستعبدوا لها من جديد تحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين » (غلا ٤ : ٩ - ١٠) .

هذا وإن حفظ يوم السبت ما هو إلا دعوة الى التهود لأن السبت كان العلامة العظمى التي يتسم بها اليهودى على حد قول الله لموسى : « وأنت تكلم بنى إسرائيل قائلاً : سبوتى تحفظونها لأنها علامة بينى وبينكم فى أجيالكم لتعلموا أنى أنا الرب الذى يقدسكم فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم » (خر ٣١ : ١٣ - ١٤) . وقد تنبأ هوشع بصراحة ببطلان السبت « لا أعود أرحم بيت إسرائيل أيضاً ، بل أنزعهم نزعاً ... وأبطل كل أفراحها ورؤوس شهورها وسبوتها وجميع مواسمها » (هو ١ : ٦ ، ٢ : ١١) .

وهكذا نرى السيد المسيح يهيب الجوع كله ليوم الأحد ليحل محل السبت فيدخل كملك ظافر الى أورشليم يوم الأحد ، ويقوم من القبر يوم الأحد ، ويظهر لمريم المجدلية ، وللمريمات ولبطرس ، ولتلميذى عماوس ، وللتلاميذ ، ولتوما يوم الأحد ، ولأن المسيح أيضاً يملأ تلاميذه بالروح القدس ويمنحهم السلطان يوم الأحد ، والرسول أيضاً نراهم يصلون ويعبدون يوم الأحد . والمسيحيون الآن يرغم تعدد مذاهبهم وتباين عقائدهم نراهم بالاجماع يقدسون يوم الأحد . أليس كل أولئك تثبت لنا ضرورة تقديس الأحد .

رابعاً — مقابلة ثانية :

شفى المريض .. حمل سريه ومشى .. ولم يعلم اسم من شفاه . لأن يسوع اعتزل إذ كان فى الموضع جمع . يا لنكران الذات . وهذه ليست أول مرة : « أوصاه أن لا يقول لأحد » (لو ٥ : ١٤ ، ١٦) . يسوع لا يظهر نفسه . يعتزل . تعلم نكران النفس ولا تقف بعد أن تصنع خيراً . ليهتف لك الناس ويعلنوا عن اسمك ويعلموك . أعمل الرحمة للرحمة والخير للخير . « وأبوك الذى فى الخفاء يبارك علانية » (مت ٦ : ٤) . « أنا أصغر الرسل » (١ كو ١٥ : ٩) ، « أول الخطاة » (١ تي ١ : ١٥) « كسقط ظهر لى » (١ كو ١٥ : ٨) ، من هو هذا الرجل الذى يقول هذا ؟ بولس المجاهد الذى وهو الرسول العظيم يقول : لست مستحقاً أن أدعى رسولا لأنى اضطهدت بيعة الله . فمن أنت ومن أنا ؟!

بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل . انها مقابلة ثانية . في الهيكل هل تذكر أن تذهب الى الهيكل بعد أن يشفيك يسوع أو يخلصك من أى ضيقة . انها مقابلة ضرورية . انها مقابلة لاعطاء نصيحة وقائية . ودرهم وقاية خير من قنطار علاج . « ها أنت قد برئت فلا تخطيء أيضاً لئلا يكون لك أشر » (يو ٥ : ١٤) إذا سبب المرض . الخطية . وكما جرت وتجر الخطية الأمراض والأحزان . إن نظرنا الى شفاء الرجل والمدة التى قضاه مطروحاً لكرهنا الخطية . وهل هناك أشر من الشر الذى رآه الرجل ؟ نعم . هناك الجحيم المقيم والبعد عن الله . « فى البحيرة المتقدمة بنار وكبريت » (رؤ ٢١ : ٨) .

إن المرض يشفى . وإن لم يشف فراحة القبر خير عزاء للمتألمين . ولكن العذاب الذى ينتظر الأشرار لا نهاية له . « ويصعد دخان عذابهم الى أبد الآبدين ولا تكون راحة نهراً وليلاً » (رؤ ١٤ : ١١) . فلا تعد للخطية لئلا يكون لك أشر . أعترف بخطاياك . لك سنيماً طويلة مريضاً بالخطية . أرجع اليوم لكى تعيش بصحة جيدة روحية تامة فى عشرة يسوع الرحيم .

خامساً — اليهود مرة ثانية :

عرف الرجل من المقابلة الثانية اسم يسوع . فمضى وبشر بهذا الاسم العظيم . الذى أبرأه . وإذا بالنتيجة العكسية — بدل أن يؤمن اليهود بهذه القوة الخارقة ، يطردون يسوع ويريدون قتله .

إن القلب . يظل قاسياً حتى وإن رأى أعظم الآيات . « ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون » (لو ١٦ : ٣١) . أو لم يروا العيازر بعد أن قام من الموت . هل آمنوا . كلا بل طلبوا ان يقتلوا العيازر . وتأمروا على يسوع وقال كبير كهنتهم : « خير لنا أن يموت واحد عن الأمة ولا تهلك أمة بأجمعها » (يو ١١ : ٥٠) . اللهم خلصنا من قساوة القلب والتعصب الأعمى وأفتح عيون قلوبنا لئلا نؤمن بك إيماناً حقيقياً . رد يسوع عليهم بعد أن فكروا فى قتله ، أنى يعمل وأنا أعمل . أيها المؤمن : لا تهرب ثورة الثائرين أو شكايه المشتكين ، إن إيمانك القوى لا ترعزه الجبال وكنيستك أبواب الجحيم لن تقوى عليها .

كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه . كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله . كانت المؤامرة لقتل المسيح لسببين : الأول أنه نقض السبت ، والثانى أنه ادعى الألوهية ، وهذا ما سنيينه الآن .

هل كان المسيح هو الله حقاً ؟ نعم فمئات الآيات تثبت بذلك . المسيح هو الله لأنه القدوس المعصوم من الخطأ . « من منكم ييكتنى على خطية » (يو ٨ : ٤٦) . « قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات » (عب ٧ : ٢٦) .

إن عمل يسوع وعمل أبيه ، كله لخير البشرية . في السبت وغير السبت . فلنعمل الخير دائماً ولنواظب على عمله ما دامت فينا نسمة حياة ولنكن أمناء الى الموت . ولنتعلم من سيدنا له المجد الرحمة بالمرضى ولنكره الخطية سبب البلوى ونعيش في طاعته . نسأله أن يبعد عنا قساوة الرقاب ويهبنا الرحمة بأنفسنا . وله المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الجمعة السادسة من الصوم الكبير

الميلاد الثانى

ينبغى أن تولدوا من فوق (يو ٣ : ٧) .

فى إحدى ليلالى الربيع المقمرة بينما كان القمر يرسل أشعته على جبل الزيتون حيث يجثم الهدوء ويسود السكون ، جاء شيخ الى المسيح متقدم فى الأيام يدعى نيقوديموس رئيس لليهود ، ودار بينهما حديث هام .

كان نيقوديموس عضواً فى السندريم ، رجلاً مقتدرًا فى الأقوال والتعاليم ولكن كانت تنقصه الشجاعة الأدبية والاقدام ، إذ أنه أتى ليلاً الى المسيح خوفاً من اليهود . جاء يبتغى النور تحت جناح الظلام . نيقوديموس الذى جاء إليه ليلاً — حيث الليل يمثل ظلمة المعرفة المعتمة بحسب الناموس . « وهو واحد منهم » (يو ٧ : ٥) . جاء فى ظلام الليل ليبحث إلحاح اليهود بصفة عامة « نحن نعلم » (يو ٣ : ٢) — ومخاصة الهيئة الحاكمة والمتعلمة — على ضرورة مواصلة الناموس لعمله ، أى التمييز بأعمال الناموس كأساس لاسترضاء الله للخلاص واستعادة الملك لإسرائيل .

أتى إليه مُعجباً بتعاليمه ومعجزاته التى رآها فى أورشليم قائلاً له : يا معلم كما يدعوه كثيرون اليوم . « نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل إن لم يكن الله معه » (يو ٣ : ٢) . فسرعان ما حول المسيح نظره الى أمر أعظم وهو أنه مخلص قبل أن يكون معلماً ، وانتقل به من الملكوت الأرضى الى الملكوت السماوى مجيباً إياه الحق الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله .

كيهودى كان نيقوديموس يعتقد بحق ميلاده الطبيعى أن له مكاناً فى هذا الملكوت ، ولكن ما كان أشد اندهاشه لما أجابه المسيح : « ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو . روح » (يو ٣ : ٥ — ٦) . ثم قال له : لا تتعجب انى قلت لك ينبغى أن تولدوا من فوق . وهنا انتهى الحديث فى تلك الليلة الخطيرة بتعجب مزدوج . أتى إليه مُعجباً وتركه متعجباً . نيقوديموس يتعجب من السيد المسيح ويقول له كيف يمكن أن يكون هذا . والمسيح يتعجب من نيقوديموس يقول له : .أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا . يوجد اليوم

خلفاء كثيرون لنيقوديموس الذين هم معلمون وقادة في الكنيسة ولا يعلمون هذا . يجهلون أهم تعليم في الكتاب وأول مبدأ في الحياة المسيحية ألا وهو الميلاد الثاني ، الذى صلى من أجله داود قائلاً : روحاً مستقيماً جدد فى داخلى ، وتنبأ عنه حزقيال : أعطيك قلباً جديداً ، وأنشد عنه أشعيا : إلى أن يسكب علينا روح من العلاء فتصير البرية بستاناً . وكتب عنه يوحنا فى رؤياه : ها أنا أصنع كل شىء جديداً . هو رسالة العهدين القديم والجديد ، وأول خطوة نخطوها فى حياتنا الروحية ، فالكنيسة فى أشد الحاجة الى معرفة هذا التعليم واختباره علمياً فى حياة الكبير والصغير ولكى نخطط بهذا التعليم الخطير نتأمل فى ثلاثة أسئلة : سألها نيقوديموس وهى ماذا ؟ ولماذا ؟ كيف ؟ أيولد الإنسان وهو شيخ ؟

أ — لم يفهم نيقوديموس قصد المسيح فسأل ماذا ؟
ب — لقد شعر بعدم لزومه لأنه رئيس لليهود ومعلم لإسرائيل فقال لماذا ؟
هكذا يوجد بعض المسيحيين لا يرون ضرورة له لاكتشافهم بمحاثهم الأدبية فيسألون لماذا .

ج — أخيراً قال مندهشاً شاعراً بصعوبة هذا التعليم كيف يمكن أن يكون هذا ؟
واليوم نسمع الصوت من كل حذب وضوب ويسأل كيف . ثلاثة أسئلة ماذا . ولماذا .
كيف . وبعبارة أخرى ماهية الميلاد الثانى . ضرورته . كيفيته .

١ — ماذا — ماهية الميلاد الثانى وعلاماته :

ما هى الولادة الجديدة ؟

لو وجهنا هذا السؤال لبولس لرجع بنا الى تلك الموقعة الفاصلة فى حياته التى حدثت قرب مدينة دمشق ولصاح بنا قائلاً : ان كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة الأشياء العتيقة قد منضت وهذا الكل قد صار جديداً . فهو يميزنا من اختباره المسيحى الذى جاز فيه عندما ولد ثانية ، ويقول لنا تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم . إذا الميلاد الثانى هو عبارة عن تجديد القلب والشعور والعواطف والميول والارادة . هو تجديد وليس تهذيب . تغير وليس تطور ، هو بداية شىء جديد وليس اصلاح شىء قديم .

الميلاد الثانى هو بداية الحياة الروحية كما أن الميلاد الأول هو بداية الحياة الجسدية ، هو طبيعة جديدة بها نصير شركاء الطبيعة الإلهية ، هو انتقال من حالة الى حالة هو كراهية الشر والاتصاق بالخير . وهى تحويل الخاطئ الى مؤمن والشرير الى بار ، ورئيس اليهود نيقوديموس المعاند والمترقع الى تلميذ للمسيح متضع . وشاول المضطهد الى بولس المضطهد . وسمعان الضعيف الى بطرس القوى ، وأوغسطينوس الشاب الخليع الى ذلك القديس الرفيع .

كيف تعرف نفسك ان كنت ولدت ثانية أم لا ؟
ان يوحنا الرسول يبيننا على هذا السؤال موضعاً علامات :

أ — الولادة الجديدة فيقول « من هو مولود من الله لا يفعل خطية » (١ يو ٣ : ٩)
فلا يقصد بذلك عدم الوقوع في الخطية ولكن عدم الاستمرار فيها . المولود من الله لا يعيش في الخطية وغير المولود يعيش فيها فالفرق بينهما كالفرق بين الحروف والخزير . فالخزير لا يستطيع أن يعيش في الأوحال ، فعندما يسقط فيها يقوم ، يثبُّب الخنزير يتلذذ بالقرغ فيها . المتجدد يهرب من الخطية والخطاء يسقى وراءها ، الأول يكرهها والثاني يحبها ، الأول يقاومها والثاني يستسلم لها ، فهل أنت عبد للخطية أو عدو مقاوم لها .

ب — هنا علامة أخرى « المولود من الله يحب الأخوة » (١ يو ٣ : ٢٤) . كل من يحب فقد ولد من الله ، عندما نولد من الله فيشع قلبنا بمحبة الجميع ، الأصدقاء والأعداء ، الأخيار والأشرار .

ج — وعلامة ثالثة ظهرت في حياة بولس عندما ولد ثانية « هوذا يصلى » وهى العلامة التى عرف بها حنانيا . شاول المتجدد . فعلمة الحياة في الطفل عندما يولد هى الصراخ ، وعلامة الحياة في المولود ثانية هى الصراخ أو الصلاة .

أرسل الله روح ابنه في قلوبنا صارخاً يا أبا الآب . فياليتنا نرى علامة التجديد هذه في كثيرين منا فيقال عنهم هوذا يصلون في مخادعهم هنا وهناك . لنفحص ذواتنا الآن في نور الروح القدس والكلمة لنعلم إن كنا مولودين من الله أم لا . يجب أن تتأكد من ميلادك الثانى لأن من يولد مرة يموت مرتين ، الموت الجسدى والأبدى . ومن يولد مرتين يموت مرة واحدة . لأن الموت الثانى يصبح لا سلطان له عليه . إن كنت غير مولود من الله فالمسيح يقول لك : ينبغى أن تولد من فوق .

٢ — لماذا ؟ أو ضرورة الميلاد الثانى :

لما يقول السيد المسيح ينبغى فهذا هو الوقت الذى يجب أن نستيقظ فهو قلما يستعمل صيغة الأمر فلذا لما يستعملها هنا فهذا لأنه يرى ضرورة حاقمة لا مفر منها فيقول : ينبغى لجميعكم أن تولدوا ولادة جديدة . والمسيح يرى ضرورة مثلك للميلاد الثانى :

أ — فهو ضرورى لرؤية الملكوت :

ان كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) . فالغير مولود من الله هو أعمى لا يرى شيئاً . لأن عينيه الداخلتين مقفولتان فيصفه بولس برجل

مظلم الفكر له عين ولا يبصر كطفل قبل أن يولد له عين ولكن لا يرى بها إلا بعد الولادة ، فهو لا يرى جمال الملك الذى هو « أبرع جمالا من بنى البشر » كما رآه داود فقال : لكى أنظر الى جمال الرب . جمال صفات المسيح ، من محبة وتواضع ووداعة . الغير المتجدد لا يرى لذة فى الاقتراب من الله ولا يتمتع بجمال الشركة معه وذلك لأنه لم يحصل على القلب النقى الجديد لأنه « طوبى للانقياء القلب لأنهم يعاينون الله » (مت ٥ : ٨) . الغير مولود من الله لا يرى جمال الملكوت . لا يرى جمال المسيحية ومجدها فملكوت الله هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس .

ب — الميلاد الثانى ضرورى لدخول الملكوت :

هنا ضرورة أخرى يراها المسيح .

ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . العالم الطبيعى ينقسم الى أربع ممالك مملكة المعادن الجامدة ثم مملكة النبات ثم مملكة الحيوان وهى أرقى من النبات ثم مملكة الانسان وهى أسمى من الجميع . والطريق للدخول فى الممالك الحية لا يتم إلا بالولادة ، فلكى يدخل مخلوق ما فى ملكوت الحيوان يجب أن يولد من الحيوان ولكى يدخل فى ملكوت الانسان يجب أن يولد من الانسان . ولكن فوق ملكوت الانسان يوجد ملكوت خامس أعلى وهو ملكوت الله ، ولا يمكن الدخول إليه إلا عن طريق الولادة من الله ، لا عن طريق التدنيس الخارجى والرياء فهل دخلت الى هذا الملكوت الأعلى فبالميلاد الأول نحن ندخل فى ملكوت الانسان . وبالميلاد الثانى ندخل فى ملكوت الله . ومن لم يدخل ملكوت الله بالتجديد وهو على الأرض لا يقدر أن يدخلها عندما يصل الى السماء فعندما تصل إلى باب السماء يوجه إليك هذا السؤال هل تقدر أن تظهر علامة ولادتك الجديدة ؟ فإذا أظهرت ذلك تدخل السماء وإلا فتحرم منها . فالضرورة موضوعة عليك ينبغى أن تولد من فوق لتدخل السماء . إن لم تولد من الله فأنت لست إبناً لله وليس لك الحق فى الميراث الذى تكلم عنه بطرس قائلاً : « مبارك الله ... الذى ولدنا ثانية لرجاء حى لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم » (١ بط ١ : ٣ - ٤) .

ج — الميلاد الثانى ضرورى للطبيعة البشرية الفاسدة :

هنا ضرورة ثالثة للميلاد الثانى يراها المسيح فيقول لنيقوديموس ينبغى أن تولد من فوق لأن المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح . المولود من الجسد إنما هو جسد أى طبيعته فاسدة والمولود من الروح إنما هو روح أى طبيعته إلهية متجددة . لقد رأى

المسيح ضرورة تجديد نيقوديموس مع أنه رئيس لليهود ، معلم لإسرائيل ، حافظ للناموس ، خبير بالكتاب ، عضو بالمجمع ، متدين ، وبلا لوم ، له أخلاق فاضلة فضافته كانت سبباً كافياً لإغفائه من ضرورة الميلاد الثاني . بل اسمه كاف لأن يخلصه من تلك الضرورة الحاتمة واسمه ؟ نيقوديموس ، معناه النقى الدم الشريف الحب وكأننا نسمع المسيح يقول له مع نقاوة دمك وجمال صفاتك وتدينك يا نيقوديموس ، ينبغي أن تولد من فوق لأن المولود من الجسد جسد هو ، والذين في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله . الطبيعة البشرية فاسدة ساقطة لا تحتاج إلى إصلاح بل إلى تجديد ، إلى تغيير وليس إلى تقليد ، لأنها ميتة لا تحتاج إلى علاج بل إلى حياة .

٣ — كيف ؟ كيفية الميلاد الثاني :

لنأت الآن إلى السؤال الأخير : كيف ؟ كيف يمكن أن يكون هذا ؟ كيف أحصل على الميلاد الثاني ؟ ليس بالقوة ولا بالقدرة بل بروحي قال رب الجنود . ليس بالولادة الطبيعية من والدين مسيحيين ، فقد تولد يهودياً ولكن لا يمكن أن تولد مسيحياً ، فالمسيحي الحقيقي لا يولد من إنسان بل من الله . كيف ؟ أصغ إلى جواب المسيح لنيقوديموس على سؤال كيف يمكن أن يكون هذا فيجيبه المسيح قائلاً : أنت معلم لإسرائيل ولست تعلم هذا ألم تقرأ في حزقيال : أرش عليكم ماءً طاهراً فتطهرون من كل نجاستكم .

لكي تحيا حياة جديدة : ينبغي أن يموت ابن الانسان ، ولكي تولد من فوق : ينبغي أن يرفع ابن الانسان ، كل من يؤمن به يحيا ، فبالإيمان والأعمال تولد من الله . كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله . أى المؤمنون باسمه . فالإيمان هو القبول والقبول هو الإيمان ، فأقبل يسوع الآن مخلصاً لك تولد ثانية . التفتوا إلى واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض . فبدونه لانولد ثانية . كما أن المسيح ولد في الجسد من الروح . هكذا المسيحي يولد من الروح ولادة روحية ، فعندما يحل في قلوبنا يجدد طبيعتنا ويحرق أشواك الخطية بناره المطهرة .

ينبغي وفي ختام حديثي أترك لكم كلمة واحدة هي ينبغي فهي شعار المسيح في فجر الحياة وهو بعد غلام إذ قال : ينبغي أن أكون فيما لأنى . وفي نهار الحياة ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهار . وفي ليل الحياة قال وهو سائر إلى الجلجثة ينبغي أن يتألم ابن الانسان ينبغي شعار الصبي في صباح الحياة ، والشاب في ظهر الحياة ، والشيخ في مساء الحياة . شعار بولس الضرورة موضوعة على فهل هي شعارك ؟ ويوحنا في الأصحاح

الثالث من إنجيله يستعمل هذه الكلمة في ثلاثة مواضع يجب أن نتخذها شعار لنا :
أ — ينبغي أن تولدوا من فوق :

هذا شعار لك ان كنت خاطئاً إذ يجب أن تشعر أنك تحت ضرورة لازمة له . يجب أن لا تهدأ أو تسكت إلا بعد أن تتجدد . قل الآن ينبغي أن أولد من فوق ، ينبغي أن أرجع الى المسيح ، ينبغي أن أرى المسيح ، فتسمع الصوت يناديك كما نادى زكا قائلاً : ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك . في قلبك . اليوم حصل خلاص لهذا القلب . اليوم يوم خلاص لك أيها الشيخ ولك أيها الشاب ، لك أيها السيدة ولك أيها الشابة . سأل نيقوديموس أيولد الإنسان وهو شيخ ؟ ضعيف أو وهو شاب محاط بالتجارب والشروع . نعم أيها الشاب يمكنك اليوم بنظرة الى المصلوب أن تخلص وتتجدد .

ب — ينبغي أن ذاك يزيد وأنا أنقص :

شعار المتجدد بقدر ما ننقص نحن يزيد المسيح . ويقدر ما: نضع نفوسنا على الصليب بقدر ما يرتفع المسيح على العرش .

ج — ينبغي أن المسيح ينمو فينا ونحن ننمو في المسيح :

كأطفال مولودين الآن اشتهاوا اللبن العليل العديم الغش لكي ننمو به .

ان الكنيسة اليوم لم تشدد على الكرازة بالتجديد ولم تضعه كشرط أساسى للعضوية . فالمسيح جعل هذا الشرط أساساً ضرورياً للعضوية إذ قال لنيقوديموس إن أردت أن تنضم الى كنيسة وتدخل ملكوتى ينبغي أن تولد ولادة جديدة . ألا تضع هذا الشرط شعاراً لك ؟ ان عملنا ذلك فستكون الكنيسة ناهضة ومنتعشة لأنها تكون مكونة من أعضاء أحياء . نحتاج الى كنيسة أعضاؤها وخدمها مولودون من الروح ومثقفون من الصلاح . ولربنا وإلهنا المجد الدائم إلى الأبد أمين .

عظة إنجيل عشية الأحد السادس من الصوم الكبير

الباب الضيق

« اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق » (لوقا ١٣ : ٢٤) .

بعد أن شفى السيد المسيح المرأة المنحنية يوم السبت في بيرية ، أخذ يجتاز في مدن وقرى كثيرة وهو في طريقه إلى أورشليم للمرة الأخيرة . وهنا تقدم إليه واحد بالسؤال الذى انفرد معلمنا لوقا الإنجيلي بإيراده وهو « أقليل هم الذين يخلصون » وفصل الإنجيل الذى يتناول إجابة المخلص على هذا السؤال وما تلاه من تحذيره لسامعيه من هيرودس ، يبين فيه هلاكه للمتهاونين الذين لا يدخلون من الباب الضيق ، أى الذين لا يحتملون الضيقات المتعلقة بالحياة المقدسة ، وخلص المجاهدين الذين يحتملونها .

أولاً — هلاك المتهاونين :

على أثر شفاء المرأة المنحنية في بيرية أخذ السيد المسيح يتجه إلى أورشليم في طريقه إليها المرة الأخيرة . إلا أنه لم يذهب إليها رأساً في خط مستقيم ، بل أخذ يمر في مدن السامرة وبيرية وقراها . وفي خلال ذلك وجه إليه أحد الحاضرين سؤالاً قائلاً « أقليل هم الذين يخلصون ؟ » ولا بد أن الذى وجهه كان من غير التلاميذ ، وأن غايته كانت مجرد الوقوف على جليلة أمر مبهم بالنسبة له ، لا طلباً للفائدة .

ويبدو من السؤال أن موضوعه كان مثار خلاف بين اليهود ، ففريق منهم كان يرى أن الذين يخلصون هم كل أولاد إبراهيم ، في حين كان يرى الفريق الآخر أن أقلية منهم فحسب هى التى ستفوز بالخلاص ، استناداً إلى أنه لم يخلص من كل جنود الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر إلا اثنان هما يشوع بن نون وكالب بن يفنة . ورغم ما كان بين الفريقين من خلاف فقد كانا متفقين على أن الخلاص مقصور على اليهود . وقد أراد السائل أن يعرف رأى المخلص في هذه القضية عسى أن تؤكد إجابته كثرة الذين يخلصون ، فيزداد اطمئناناً إلى خلاص نفسه . ويظهر من عبارة « فقال لهم » أن السائل كان ناثباً عن كثيرين من الحاضرين ، وأن السيد وجه إجابته إليهم ، ويرى بعضهم أن الاعتقاد الناتج عن هذا السؤال كان عقيدة كل الجماعة ، وهذا ما جعله يوجه الإجابة إليهم جميعاً .

فقال لهم : « اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق » ، وهو قول مستعار من العرف الذى كان متبعاً فى الأعراس فى ذلك الوقت فقد كانت هذه تقام ليلاً ، وكانت تزين البيوت بالمصابيح ، ويدخلها المدعوون من باب صغير ضيق يُغلق عقب دخولهم جميعاً ، ثم يتمتعون بالأفراح ومشاهدة الأنوار أما الذين يرفضون فكان لا يُفتح لهم الباب مهما قرعوا ، فيقفون فى الظلمة الخارجية . وقد استعار السيد المسيح للسماء تعبير « الباب الضيق » ، ليس لأنه ضيق فى حد ذاته ، بل بالنظر إلى الضيقات المتعلقة بالحياة المقدسة لأنها تضاد الطبيعة الفاسدة . وبدى أن الشهوات الجسدية تمنع من الدخول فى ذلك الباب . ويرى بعضهم أن هذا مسيح بوصايا الله العشر ، فهو باب الإيمان والطاعة ، وهو مع ما يكتنفه من اضطهادات وصعوبات باب أمن وراحة ضمير . فهو ضيق فى الدنيا ، واسع فى الآخرة . فكأن رب المجد قال للسائل : لا فائدة لك من معرفة عدد الذين يخلصون ، كثروا أو قلوا ، فالمهم هو معرفة الكيفية التى بها يدخل الإنسان إلى ذلك الملكوت . وتتلخص هذه فى الدخول من الباب الضيق ، وذلك بحفظ أوامر الإنجيل والثبات على الإيمان فى الضيقات والشدائد وعدم الاستسلام للشهوات .

واستطرد المخلص يقول : « إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون » أى أن من لا يجتهدون فى الأعمال الصالحة ، ولا يدخلون من باب التوبة والإيمان وحمل الصليب حينما تكون الفرصة سانحة ، يطلبون دخول السماء بعد فوات الآوان ، فلا يقبل التماسهم ، ويطرحون فى الظلمة الخارجية ، وهم كما قرر السيد المسيح غير مرة كثيرين ، فقد سبق أن قال : « ادخلوا من الباب الضيق . لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدي إلى الهلاك . وكثيرون هم الذين يدخلون منه . ما أضيّق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدي إلى الحياة . وقليلون هم الذين يجدونه » (مت ١٣: ١٤) . وتتضمن الإشارة إلى كثرة الهالكين إنذاراً بأن خطر الهلاك محقق بنا ، وأنه لا سبيل إلى اتقانه إلا بالاجتهاد الكامل فى خلاص نفوسنا .

ثم يمضى رب المجد فى حديثه عن هؤلاء المتكاسلين المتباطئين ، فيقول إنهم حينما يشاهدون « رب البيت قد قام وأغلق الباب » أى حينما يشاهدونه قد ظهر وأدخل القديسين إلى ملكوته ، يشتاقون هم أيضاً إلى الدخول ومشاركتهم فى النعيم ، بدليل وقوفهم خارجاً يقرعون الباب « قائلين يارب يارب افتح لنا » وكلمة « رب البيت » يُشير بها السيد إلى نفسه ، كأنه صاحب بيت يقيم وليمة لأسرته وأصدقائه الذين يأتون فى الميعاد ثم يغلق الباب فى وجه الذين يحضرون بعد فوات الوقت ، ولكنه يرد عليهم قائلاً : « لا أعرفكم من أين أنتم » أى أن التماسهم الدخول يكون بغير جدوى ، لأن

الوقت الذى عينه لطلب الخلاص هو فرصة الحياة التى يُغلق بعدها الباب . ولكن كيف يتنكر لهم سيد الكل بهذه الإجابة القاسية وهو سيدهم وخالقهم ؟ وكيف لا يعرف مكانهم ؟ بل وكيف لا يعرف آثامهم وتصورات أفكارهم ، وهو علام الغيوب الذى لا تخفى عليه خافية ؟ إن المقصود فى الواقع هو أنه لا يعرفهم ورثة الملكة لأنهم لم يحفظوا وصاياه وأوامره .

ثانياً — خلاص المجاهدين :

ثم يمضى سيد الكل فيبين لمستمعيه خطأ استنادهم إلى دواعى واهية لتبرير دخول ملكوته فيقول : « حيثذ تبدئون تقولون أكلنا قدامك وشرنا وعلمت في شوارعنا » ، أى أنكم تأخذون في تذكير رب البيت بما كان بينكم وبينه من أسباب الألفة والمؤانسة والمجاسة ، كالأكل والشرب وتعليمه في شوارعكم والإشارة هنا إلى الزمن الذى كان فيه بينهم بالجسد ، وفاتكم أن كل هذا لا ينهض مبرراً قوياً لدخول ملكوته لأنكم لم تعملوا بوصاياه ، وذهبت تعاليمه بينكم صرخة في وادى ، بل ليتكم لم تسمعوها حتى لا تزداد دينوتكم ويرد عليكم قائلاً « لا أعرفكم من أين أنتم » أى أننى لا أعرفكم المعرفة المقرنة بالحبية ، فلقد عرفتمكم أشخاصاً ، وسمحت بانتسابكم إليّ كلاميد ، ولكننى لا أعرفكم خاصتى لأنكم لا تعرفوننى حقيقة . لقد خدعتم غيركم من الناس ولكنكم لا تستطيعون خداعى . ثم ختم كلامه القاسى بقوله : « تباعدوا عنى يا جميع فاعلى الظلم » فأعمالكم الشريرة هى علة طردكم ودينوتكم ، وبمثل هذا القول خاطب مستمعيه فى موعظة الجبل ، إذ قال : « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحيثذ أصرح لهم أنى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » (مت ٢٢: ٧ ، ٢٣) ، وبمثل هذا خاطب العذارى الجاهلات (مت ١٢: ٢٥) ، والذين عن يساره (مت ٤١: ٢٥) .

ويستفاد من كل هذا أن القرب من المسيح هو خلاصة أفراح السماء ، والبعد عنه هو أشد ما يقاسى المرء فى جهنم . وقد قرّق المخلص أمامهم بين حظ الأشرار وحظ الأبرار فى يوم الدين بقوله : « هناك يكون البكاء وصرير الأسنان متى رأيتم إبراهيم وإسحق ويعقوب وجميع الأنبياء فى ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجاً » ، أى أن الحزن والغضب واليأس سيكون من نصيبكم متى رأيتم هؤلاء الآباء وجميع الأنبياء فى ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجاً . فسوف ترونهم متمتعين بالقرب من سيدهم ،

فتزدادون شعوراً بالشقاوة والآلام . ويستدل من ذكر الآباء والأنبياء هنا أن قديسى العهد القديم سيشاركون قديسى العهد الجديد فى الأجداد السماوية ، لأنهم جميعاً أعضاء فى الكنيسة الواحدة التى هى عروس المسيح .

ولكى يوضح سيد الكل لمستبعيه أن الذين يخلصون لا يكونون من اليهود فحسب ، بل من الأمم أيضاً ، يمضى قائلاً : « ويأتون من المشارق والمغارب ومن الشمال والجنوب ويتكفون فى ملكوت الله » أى أن الأمم سيدعون إلى الكنيسة أيضاً ، ويشتركون مع الآباء والأنبياء فى فوائد الملكوت .

واختتم إجابته على سؤال سائله بقوله « وهذا آخرون يكونون أولين وأولون يكونون آخرين » (مر ١٠: ٣١) ويريد بالذين يصيرون أولين الخطاة من اليهود ومن الأمم الذين يقبلونه سيداً وفادياً ، وبالذين يصيرون آخرين من يرفضونه من اليهود ، ومن الأمم فى كل زمان ومكان ، وكذا من لا يثبتون على الإيمان به .
وله المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الأحد السادس من الصوم الكبير

المولود أعمى

فمضى واغتسل وأتى بصيراً (يو ٩ : ٧) .

رتبت الكنيسة المقدسة أن يتلى في يوم أحد التناصير فصل الانجيل الخاص بمعجزة شفاء المولود أعمى وهو التاسع من بشارة القديس يوحنا . وكما جاء في نبوة اشعيا القائلة : « قولوا لخائفى القلوب تشددوا لا تخافوا . هوذا إلهكم هو يأتى ويخلصكم حينئذ تفتتح عيون العمى وأذان الصم تفتتح » (اش ٣٥ : ٤ - ٥) .

وواضح سر اختيار هذا الفصل ومناسبته لمن يقبلون العماد في هذا اليوم . فهم عميان ، بالخطيئة ، وولدوا عمياناً بالخطيئة الأصلية ، من بطون أمهاتهم . وبنعمة المسيح يغتسلون في جرن المعمودية ، وهى لهم بمثابة عين سلوام الجديدة فينضون بعد الاغتسال فيها أطهاراً من خطاياهم الجديدة والفعالية السابقة على المعمودية وتفتتح عيونهم وبصائرهم الباطنية فيعاينون ما لم يكونوا قادرين على معاينته قبل المعمودية . إذا المعمودية هى مدخلهم الى الحياة الجديدة ، الى الكنيسة المسيحية بأسرارها وأمجادها وامتيازاتها الروحية ، والى ملكوت الله .

أماننا اليوم أعمى استنار قلبه بشمس البر قبل عينيه ، وبصبرون عميت قلوبهم وبصائرهم عن رؤية كوكب الصبح المنير . أماننا إنسان ولد من بطن أمه أعمى ، وكان من ترتيبات العناية الرحيمة أن أغدقت عليه من نعمائها ما جعل عينيه تبصران ، وقلبه يفتتح لرؤية نور الحياة .

إن هذا الأعمى يمثل لنا قصة البشرية الساقطة التى أعمتها الخطيئة وصارت فاصلة بينها وبين إلهها .

وبنعمة الله سنتكلم عن النقط الآتية :

١- كان إنساناً فقيراً :

ودلينا على فقره شهادة الجيران الذين قالوا : « أليس هذا هو الذى كان يجلس ويستعطي ؟ آخرون قالوا هذا هو ، وآخرون إنه يشبهه ، وأما هو فقال « إني أنا هو » (يو ٩ : ٨ - ٩) . والعجيب أن نرى يسوع ملك الملوك ورب الأرباب ينشغل بفقر متسول ويضيع وقته الثمين من أجل شحاذ فقير . ولكن لم نعجب ؟ أما اختار الله فقراء هذا العالم

أغنياء في الإيمان. وورثة الملكوت ؟ ألم يكن رسل المسيح فقراء وأكثرهم من الصيادين ؟ بل ألم يكن المسيح نفسه فقيراً . « للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار أما هو فليس له أين يسند رأسه » (مت ٨ : ٢٠) . بل وفي مولده لم يكن له موضع في المنزل .

ومن هنا نستخلص بأن الفقر ليس عاراً بل « عار الشعوب الخفية » (أم ١٤ : ٣٤) . ألم يكن أرسانيوس معلم أولاد الملوك مكسيموس ودوماديوس ابنا ملك الروم ؟ . ألم يكن هؤلاء العظماء جميعاً من أغنى أغنياء العالم ولكنهم عن طيب خاطر اشتبهوا بالفقر من أجل ذلك الذي « من أجلكم افتقر وهو غنى لكى تستغنوا أنتم بفقره » (٢ كو ٨ : ٩) . إن الفقر ليس عيباً ولا ذنباً ولذلك يقول الحكيم . « زينة الانسان معروفة والفقر خير من الكذب » (أم ١٩ : ٢٢) .

٢ - ثم أنه كان مؤمناً مطيعاً :

إن رجلاً غير هذا الأعمى ما كان ليسمح أبداً لشخص أن يصبغ وجهه بالطين وبطيعة ، ثم ينصت إليه وهو يأمره بالذهاب إلى بركة سلوام ليغتسل فيخضع له . ولكن هذا الأعمى كان على قدر كبير من الطاعة والإيمان . آمن بمن يتحدث معه ، ثم أطاعه . والإيمان والطاعة عنصران قويان في حياة الانسان . ان ابراهيم عميد المؤمنين لو لم يكن له الإيمان الفعال بإلهه لما خضع وأطاع أوامره القاسية بأن يقدم وليده ووحيدته اسحق الذى يحبه ذبيحة على الجبل ؟ ولذلك نقرأ في رسالة العبرانيين : « بالإيمان قدم ابراهيم اسحق وهو مجرب » (عب ١١ : ١٧) .

٣ - ثم أنه كان على خلق عظيم :

وأهم ما أعجبنى في اخلاق هذا الرجل الأعمى أنه لم يسمح لنفسه أن يدين غيره . فعندما أوقفوا هذا الإنسان أمام المحاكمة سألوه : « أعط مجداً لله نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطيء فأجاب ذاك وقال : « أخاطيء هو لست أعلم إنما أعلم شيئاً واحداً إني كنت أعمى والآن أبصر » (يو ٩ : ٢٤ - ٢٥) . إن هذه الكلمات إن دلت على شيء فعلى الأخلاق العظيمة ، إن هذا الأعمى كان بصير القلب ، مخلص النفس ، لم يشأ أن يدين غيره .

ولنا في قصة الأنبا موسى الأسود أكبر عظة ،

إن موسى دعى مرة الى مجمع عقد خصيصاً لإدانة أحد الرهبان ، فتأخر قليلاً ثم ذهب الى المجمع حاملاً فوق ظهره كيساً من الرمل مثقوباً في مؤخرته وتتقاطر منه ذرات الرمال

فقال له الآباء ولماذا تفعل هكذا ؟ قال الأنبا موسى إن خطاياى تسير ورأى ولا تفارقنى وأنا لا أبصرها ، وأنتم دعوتونى لكى أحكم على راهب مثلى لا يزيد عنى خطية ولا أقل عنه إنما . فنعجب الجميع وقرروا العفو عن ذلك الأخ المخطيء . وهكذا نحن علينا ألا ننظر الى خطايا الناس بل لنذكر خطايانا ونتبع قول معلمنا الصالح : « لا تدينوا لكى لا تدينوا لأنه بالدينونة التى بها تدينون تدينون وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم » (مت ٧ : ١ — ٢) .

٤ — ثم معترفاً بألوهية المسيح :

عدة اعترافات خطيرة صريحة أعلنها الأعمى تثبت ألوهية المسيح ، قال مرة : « إنه فتح عينى ونعلم أن الله لا يسمع للخطاة » (يو ٩ : ٣٠ ، ٣١) ثم استطرد يقول : « ولكن إن كان أحد يتقى الله ويصنع مشيئته فلهذا يسمع ، منذ الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عينى مولود أعمى » (يو ٩ : ٣١ — ٣٢) . إلى أن قال : « لو لم يكن من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً » (يو ٩ : ٣٣) .

بهذه الاعترافات يعلن الأعمى : قداسة المسيح ، وتقواه ، وعمله الإعجازى ، وألوهيته . أعلن هذه الاعترافات الصريحة الخطيرة وهو فى صدد المحاكمة والاحراج ، إنه يذكرنى باللص الجمين الذى وهو على الصليب فى أخرج الساعات يعترف بربوبية المسيح فيناديه ويناجيه أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك .

إن هذا الأعمى اعترف بلاهوت المسيح وهو يعلم أن « اليهود قد تعاهدوا على أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يخرج من المجمع » (يو ٩ : ٢٢) وهذا أسمى مراتب الاعتراف والشجاعة كل ذلك لأن المسيح وهبه نعمة البصر . ونحن المؤمنين الذين أنعم علينا رب الحياة بكل النعم المنظورة وغير المنظورة متوجة بنعمة الفداء ، لماذا لا يزال كثيرون منا يخافون الاعتراف به ويحاولون إنكاره . إن هذا الأعمى عرض نفسه لكل صنوف الضيق والاضطهاد من أجل المسيح الذى شفاه ، لم يخش فى إعلان الحق لومة لائم أو اضطهاد حاكم .

٥ — كان شجاعاً فى توبيخه :

لقد كان قوياً عفيفاً فى توبيخه لحكامه الظالمين ، قال لهم : « قد قلت لكم ولم تسمعوا ، لماذا تريدون أن تسمعوا أيضاً العلكم تريدون أن تصيروا له تلاميذ » (يو ٩ : ٢٧) . اغتاظوا وشتموه وقالوا له : « فى الخطايا ولدت أنت بمجملتك وأنت تعلمنا

فأخرجوه خارجاً » (يو ٩ : ٣٤) . قالوا له نحن تلاميذ موسى وأما أنت فتلميذ ذاك .
لقد كان جريماً في اعترافه وشهادته له مع أنه لم يكن قد رآه من قبل ودافع عنه أمام اليهود
الذين تعثروا به وبالرغم من جبن والديه عندما سئلا عنه فقالا : « أنه كامل السن إسألوه »
(يو ٩ : ٢١) . فلما سئل آمن به واعترف بمجد أعماله . حقاً ما أوجعنا في هذا
العصر الى روح الشجاعة في الحق ، هذا العصر الذى انعدمت فيه الشهادة لله .

٦ — أمانته وتبعيته للمسيح :

طرد المولود أعمى بعد تفتيح عينيه من المجمع ولكنه لجأ الى هيكل الله وحيداً .. فريداً
.. مغضوباً عليه : ففتش عنه السيد المسيح ووجده وواجهه أتؤمن بآبَن الله ؟ فقال له : من
هو ياسيد لأؤمن به ؟ فقال الذى يكلمك هو . وفى الحال سجد وآمن . وأعطاه المجد
والحمد والشكر على فضله ومعروفه . فبلا أدنى شك عندما واجه النور الحقيقى الذى جاء
الى العالم . واشرق فى قلبه وعينه . فكيف يتحول عنه : لو تحول القمر قليلاً عن الشمس
لا نطفأ لأنه يستمد نوره من الشمس ، ولما أشرق النور فى عيني هذا الانسان علم أن
يسوع هو شمس البر والشفاء فى أجنحتها .

٧ — فريسون منافقون :

حقاً ما أجدر الفريسيين بالألقاب التى تبرع بها يسوع ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون
المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين
يدخلون ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون ... الخ تلك بعض من كل اللعنات التى صلبها
السيد المسيح على رؤوس الفريسيين المرائين المنافقين ، الذين جاءوا اليوم يضايقون الأعمى
ويضطهدونه لأنه اعترف بالمسيح الذى شفاه . لقد كان نفاق الفريسيين منصّباً على أن
المسيح ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت . إن ما صنعه يسوع من شفاء لا يعد كسراً
ليوم لأن عمل الرحمة لا يدخل ضمن نطاق الأعمال الدنيوية التى من شأنها تكسر
الوصية . ولذلك نراهم وقد انقسموا على ذواتهم ، هذا يقول : إن المسيح خاطيء لأنه لا
يحفظ السبت ، وآخر يقول : وكيف يقدر إنسان خاطيء أن يعمل مثل هذه الأعمال .

٨ — ثم ... هم عميان يتخبطون :

إن من يقرأ بإمعان محضر المحاكمة الذى حرره الفريسيون للمولود الأعمى يحكم بغير
صعوبة على عمى قلوبهم وظلام أفكارهم ، لقد فتح الأعمى عينونه على منافذ كثيرة أمامهم
لقد حدثهم عن المسيح نور العالم .

كانت حياته على الأرض نوراً من نور . قال له المجد : ما دمت في العالم فأنا نور العالم فحيثما كان بين الناس فهو نور الناس ، لأنه باعث النور الحقيقي » (الذى يضىء لكل إنسان) . وعن المسيح الطبيب العجيب قالوا للسيد عن المولود أعمى أأخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى . فأجاب يسوع له المجد : « لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه » (يو ٩ : ٣) . وعن المسيح القدوس الذى بلا خطية ، وعن المسيح الذى لم يسمع منذ الدهر أن أحداً غيره قد فتح عينى مولود أعمى . لقد وضع أيديهم على عدة حقائق بارزة ، وأوقفهم على عقائد قوية لا يدخلها الشك من بين يديها ولا من خلفها ، ومع ذلك أهملوا هذه الفرص ، واغفلوا هذه الحقائق . وأطفأوا الشموع التى أنازها لهم الأعمى . وأخذوا يتخبطون في ظلام أفكارهم ، وعمى قلوبهم .

وهكذا كم من فرص ثمينة تضيع منا في سبيل خلاص نفوسنا . لقد سأل الأنبا بموا القديس العظيم الأنبا انطونيوس عما يصنعه من أجل خلاص نفسه فقال له : لا تتكل على برك ، ولا تصنع شيئاً تندم عليه . وأمسك لسانك ، وبطنك ، وقلبك . وهكذا كان عناد الفريسيين هو الذى أغلق عيون قلوبهم فلا ترى ؟ وتم فيهم قول الرب يسوع في نفس الموضوع : « لديتونة أتيت أنا الى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون » (يو ٩ : ٣٩) .

ونحن في أيامنا هذه ما أكثر الذين يدعون البصر وهم في حاجة الى من يعودهم الى الطريق السوى ويرشدتهم الى نور الهداية ، وإلا ما معنى أولئك الذين يتعثرون في وضوح النهار كما يعثرون في الليل البهيم ، أن البصر لا يفيد صاحبه ان لم تهديه بصيرته فتتير له السبيل فيأمن من شر الغتار والزلق . ليقل كل من استنار بنور الإيمان وحصل له ضوء الحق فاعتصم به ما قاله الضرير كنت أعمى والآن أبصر . ليقل الذين كانوا في أودية الضلال هائمين ، والذين يحرقون الفضيلة وعمالها ثم ارتدوا الصواب واكتجلبت أعينهم بنور السماء ونعمة الرجاء كنت أعمى والآن أبصر . حقاً ان فاقد البصر ولم يفقد البصيرة فهو العاقل الحكيم . ولربنا المجد دائما الى الأبد آمين .

عظة أنجيل قداس الجمعة السابعة من الصوم الكبير

حتى تقولون مبارك الآتي باسم الرب

قال السيد : هوذا ييتكم يترك لكم خرابا .. حتى تقولون فيه مبارك الآتي باسم الرب (لو ١٣ : ٣٤ - ٣٥) .

البيت هو الهيكل العظيم المشهور الذى بناه سليمان الملك فى مدة لا تقل عن سبع سنوات . وقال اليهود أنه أعيد بناؤه فى مدة لا تقل عن ٤٦ سنة على يد رزبايل عامل ملك فارس وهو يتألف من قسمين : القدس و قدس الأقداس .
فالأول : يحتوى على مذبح البخور ومائدة خبز الوجوه والمنارة .
والثانى : يحوى تابوت العهد وعصا هرون التى أفرخت ويدخله رئيس الكهنة مرة واحدة فى السنة يوم عيد الكفارة .

ويرمز قدس الأقداس والقدس الى السماء وطن الملائكة المقربين والتابوت الى الله موضوع عبادة الخلائق أجمع . والمذبح الى ذبيحة المسيح فوق الجلجثة ، والمرحضة الى المعمودية ، والمائدة الى العشاء السرى ، والمنارة الى بشارة الإنجيل ، والبخور الى بركات الفداء . ويعنى السيد بقوله لليهود : لن تروننى حتى تقولون مبارك الآتي باسم الرب : أى حتى ترجعوا الى وتؤمنوا بى مسيحاً وفادياً وموضوع عبادة مع الآب والأبن والروح القدس . والمقصود ببيتكم فى النص بيت اليهود الذى كان فى سالف الزمان بيت الله ولكن بسبب رفضهم المسيح وعدم قبولهم له ملكاً ومخلصاً أبى المسيح أن يدعو الهيكل بيت الله فدعاه بيت اليهود وحكم عليه بالخراب فخرّب بعد الصلب بأربعين سنة عن يد جيوش الرومان وقادهم تيطس .

وهذا يقودنا الى التأمل فى نقطتين هامتين وذلك حسب التقسيم الطبيعى للآية الأولى الخراب والثانية البركة .

فالأولى : لماذا يترك لهم بيتهم خراباً ؟

لأنهم أعموا عيونهم عن الحق وقتلوا البرىء كقول أشعيا النبى : « أعمى عيونهم وأثقل آذانهم وأغلق قلوبهم حتى لا يرجعوا ليشفيهم » (اش ٦ : ٩ - ١٠) . لما أراد ييلاطس أن يفتن اليهود بأن المسيح برىء وأن الأولى بهم إطلاقه فى فرصة العيد والحكم على باراباس اللص القديم . صرخوا فى وجهه قائلين : أصلبه . أصلبه : ولما تضايقوا من الحاجه فى آخر

الأمر قالوا : دمه علينا وعلى أولادنا : كلمة سهلة على الأقواء قالها اليهود ولكن لسوء حظهم لم يتروا في عواقبها ولم يظنوا أنها تنفذ عليهم وعلى أولادهم حرفياً وقد تنبأ المسيح على خراب الهيكل (مت ٢٤ : ١٥) وهذا هو الأصحاح الهام الذى يشرح لنا العلامات التى تسبق القيامة وخراب أورشليم ضمناً .

قال السيد له المجد : « لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله » (مت ٢٤ : ٣٤) وقد كان ودمرت أورشليم وأحرق الهيكل بواسطة الرومان . وقد مات نحو مليون نسمة من أولادهم بالجوع والسيوف والصلب قال يوسيفورس المؤرخ اليهودى الذى كان شاهداً لتلك الحوادث . أنه لم يبق محل فى أورشليم للصلبان ولا صلبان للناس . وقد ظل اليهود من ذلك الزمن الى الآن نحو عشرين قرناً وهم تائهون ومفروقون فى أنحاء العالم وتحت الضغط فى كل مكان ولم تستطع أمة سواهم أن تحتمل ما احتملوه ذلك قصاص قولهم : دمه علينا وعلى أولادنا .

صحيح أن دم المسيح البرى قد وقع عليهم وعلى أعقابهم وسيكون وقعه أمر ما داموا مبتعدين عنه وغير معترفين به رباً ومسيحاً . قال صاحب الرؤيا : « هوذا يأتى مع السحاب وتظهره كل عين ويكفى عليه الذين طعنوه وينوح عليه جميع قبائل الأرض » (رؤ ١ : ٧) . وأسباب ذلك أولاً : وقوع الدينونة عليهم . ثانياً : لرفضهم يسوع مخلصاً لهم .

أيها الأحياء ليس اليهود وحدهم هم الذين ينوحون عليه لأنهم طعنوه فعلاً يوم الصلب بل ينوح معهم الذين طعنوه من كل أمة وجنس ومن المسيحيين أنفسهم الذين طعنوه ويطعنونه كل يوم بآثامهم ورفضهم إياه لأنهم يقبلونه إسماعاً ويرفضونه فعلاً (عب ٦ : ٦) . وتوجد أمور كثيرة نطعن نحن بها يسوع المخلص الحبيب كل يوم :

- ١ — عدم محبتنا لبعض
- ٢ — عدم سماع كلمة الله وهجر الكتاب المقدس
- ٣ — تفضيل الذهاب إلى الملاهى والجلسات المستهزئة على الذهاب إلى الكنيسة والجمعيات .
- ٤ — عدم التأمل من الأسرار الإلهية المقدسة .
- ٥ — التغافل عن الفقير والألمة واليتيم فتقصيرنا فى هذه الواجبات المقدسة يعد طعناً فى جنب يسوع الذى قال : الحق الحق أقول لكم ان ما فعلتموه بأحد أخوتى . فى قد فعلتم .

والثانية : حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب :

ان بيت اليهود بقى خرابا وآلامهم واضطهاداتهم وتفرقهم على سطح الأرض ما زالت ولكن الى حد محدود . وهذا الحد هو الوقت الذى يعترفون بأن المسيح هو ابن الله الحى وأنه هو هو المبارك الذى أتى باسم الرب وهو الذى صلبه . نعم وليس ذلك فقط بل يتألمون وينوحون عليه كما ينوح الأب على وحيد له . وهنا يشترك كل واحد أن يسأل سؤالا وهو هل يا ترى يأتى وقت لليهود فيه يقبلون المسيح الحبيب وللأجابه على ذلك أقول نعم لأن الكتاب المقدس يقول فى (رو ٩ : ٢٧) : « وإن كان عدد بنى إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص » .

وانى أورد هنا بعض من النبوات التى لم تتم بعد ولكن إتمامها لا مفر منه فى المستقبل على أن اليهود سيرجعون وذلك من الكتاب المقدس نفسه :

١ — عندما أضيق عليك وتصيبك كل هذه الأمور فى آخر الأيام ترجع الى الرب الهك وتسمع لقوله (تث ٤ : ٣٠) .

٢ — لأن بنى اسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال وبلا أفود وترافيم ولكن بعد ذلك يعودون ويطلبون الرب الههم وداود ملكهم ويعترفون بالرب ويحبونه فى آخر الأيام (هو ٣ : ٤ — ٥) .

٣ — فأفيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات فينظرون الى الذى طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيد له ويكونون فى مراة عليه كمن هو فى مراة على بكره (زك ١٢ : ١٠) .

٤ — فأنى لست أريد أيها الأخوة ان تجهلوا هذا السر . لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء — إن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل الى أن يدخل ملء الأمم وهكذا سيخلص جميع إسرائيل ... فإنه كما كنتم أنتم مرة لا تطيعون الله ولكن الآن رحمتم بعضيان هؤلاء هكذا هؤلاء أيضاً الآن لم يطيعوا لكى يرحموا هم أيضاً برحمتكم (رو ١١ : ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١) . حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب . وهذه العبارة مقتبسة من (مز ١١٨ : ٢٦) وقد وردت أيضاً فى (مت ٢١ : ٩) وهى الترتيلة المشهورة التى رتلها بعض التلاميذ والشبان والأطفال عند دخول يسوع بموكبه الحافل الى أورشليم عقب اقامته لعازر من بين الأموات . وسيترتلها كل اليهود ذات يوم عن يقين بأن يسوع هو المسيا أى المنتظر المسيح ابن الله وسيرحبون به أى ترحيب ويأسفون ويكونون ويندمون على رفضه وطعنه والتمثيل به فى الأيام السابقة هذا من جهة

اليهود . ولكن ماذا تكون حالتنا نحن الذين ولدنا من آباء وأجداد مسيحيين وعائشين
في وسط مسيحي ؟

هل نحن نقبل يسوع قبولاً حقيقياً .

هل نقبله مخلصاً وفادياً لنا فعلاً ؟

هل نصرخ بأعلى أصواتنا قائلين مبارك الآتى باسم الرب . وكأني اسمع همساً في الآذان
— وكأني أسمع البعض يقول نعم نحن نقول مبارك الآتى باسم الرب ساعة التوزيع . صحيح
نحن نقول ذلك ولكن هل نحن فاهمون لماذا نقول ذلك ؟ هل نحن فاهمون أن في تلك
اللحظة يكون ملك المجد مشرفاً المذبح المقدس ؟ وقد تحول الخبز والخمر إلى جسده ودمه
الأقدسين حتى نقول المجد لله في الأعلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة . ورش
الكاهن الماء الى أعلى دليل على أنه له المجد في الوقت نفسه موجود في السماء لأن السماء
كرسيه والأرض موطئ قدميه .

ان كان الأمر كذلك فلماذا لا يحلو لنا السلام والكلام والحكايات وضرب المواعيد إلا في
هذه اللحظة عينها وقت التوزيع ؟

آه . يا أحبائي انكم تجلبون عليكم لعنة بدل البركة في تلك الساعة إذ كان من الواجب
ان نقف في الكنيسة بأدب وخوف ورعدة أثناء القداس الإلهي فمن باب أولى ان هذا
الاحترام وهذا الخوف وهذا الأدب يكون أضعاف ذلك وقت التوزيع حتى نقول مبارك الآتى
باسم الرب على حق . وحتى نكون فاهمين معنى ما نقول . ان العبادة التي يطلبها الله منا
هي عبادة القلب المنكسر والروح المنسحق كما قال داود النبي في تراتيله . القلب المنسحق
والمنكسر يا الله لا تحقره . وان تكون عبادتنا مع السكون والمهدوء والنظام وعظم الكلام
والحركة قطعياً في الكنيسة حتى تتصل الأرواح بخالقها وتصفو الأفكار من كدرها ويتم
الشركة السرية مع الله وخصوصاً وقت التوزيع . وله المجد والاكرام والسجود من الآن وإلى
الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد السابع من الصوم الكبير لماذا سعف النخل ؟

« فأخذوا سعف النخل وخرجوا لاستقباله » (يو ١٢: ١٣) .

باكر ، إن أراد الرب وعشنا ، سنحتفل بدخول السيد المسيح أورشليم راكباً جحشاً ، رمزاً لتواضعه وأنه ملك السلام . ولذلك حملوا في موكبه أغصان الزيتون . ولكنهم حملوا أيضاً سعف النخل . قال الإنجيل : « ولما كان الغد سمع الجمع الكثير الذين جاءوا إلى العيد أن يسوع آتٍ إلى أورشليم . فأخذوا سعف النخل وخرجوا لاستقباله وهم يهتفون قائلين : « المجد لمخلصنا : مبارك الآتى باسم الرب ملك إسرائيل » (يو ١٢: ١٣) .

إذا كانت أغصان الزيتون ترمز إلى دعوته إلى السلام ، من حيث أن المسيح هو ملك السلام ، فإن سعف النخل — يرمز إلى سيرة المسيح وسيرة الذين يتبعونه في طريق السماء . سعف النخل — يؤخذ عادة من قلب النخلة — يتميز ببياض لونه — ونصاعته . وفي بياضه يرمز إلى طهارة المسيح ونقاوته ، في قلبه النقى وسيرته الطاهرة . ليس في السعف ما يشين نقاءه وصفاء لونه . وكذلك « المسيح لم يصنع خطيئة ولم يوجد في فمه مكر » (١بط ٢: ٢٢) ، بل « ولم يغرف الخطيئة » (٢كو ٥: ٢١) . وقد قال جهراً « من منكم يكتنئ على خطيئة » (يو ٨: ٤٦) . ثم أن سعف النخل يتميز أيضاً باستقامته . وفي هذا يرمز إلى المسيح ، ملك السلام ، وإلى استقامته في سيرته وتعليمه وفي طريقه . « فإن طرق الرب مستقيمة » (هو ٩: ١٤) . وقد شهد عنه القريسيون وتلاميذهم مع الهيرودسين قائلين : « ياعلم ، نحن نعلم أنك صادق ، وتعلم طريق الله بالحق ، ولا تبالي بأحد ، لأنك لا تحاي وجه إنسان » (مت ٢٢: ١٥ ، ١٦) .

وكما يتميز ، سعف النخل باستقامته يتميز أيضاً بمجده . وهذه الحدة في جوانب السعف وفي طرفه المدبب الدقيق ، ترمز إلى دقة التعليم المسيحي وتدقيق السيرة المسيحية في التزامها بالمشيئة الإلهية بغير عوج أو انحراف ، وبعبارة أخرى ، أنها تُشير إلى أرثوذكسية الإيمان المسيحي وأرثوذكسية السيرة المسيحية معاً ، وهو ما تقتضيه الأمانة .

التامة للسائرين في طريق المسيح وعدم التساهل في الحق الإلهي ، وكما يقول الرب يسوع في سفر الرؤيا : « فكن أميناً حتى الممات ، وأنا أعطيك إكليل الحياة » (رؤ ٢: ١٠) وكما يقول أيضاً بفمه الطاهر : « ولكن تمسكوا بما هو عندكم إلى أن أجي » (رؤ ٢: ٢٥) .

إن أغصان الزيتون وسعف النخل يرمزان إلى فضيلتين عظيمتين تكمل إحداهما الأخرى .

الفضيلة الأولى : هي فضيلة المسالمة والعمل على إيجاد السلام ، والسعى إلى صنع السلام في كافة المجالات — الإلهية والإنسانية ، الروحية والاجتماعية .

ثم الفضيلة الثانية : هي استقامة السيرة — واستقامة القصد واستقامة التعليم .

وإذا كان السلام يقتضى التسامح في الحق الخاص ، فإن الاستقامة تقتضى التدقيق وعدم التساهل في الحق الإلهي ، والحق العام وحق الغير . وإذا كان السلام ينطوى على الرقة والرحمة ، فإن الاستقامة تنطوى على الحزم والدقة والعدل . وإذا كان المسيح الملك أعلامه أعلام الزيتون وسعوف النخل ففيه له المجد التقت الرحمة بالعدل في وحدة متكاملة من غير تعارض أو تنافر أو تناقض « فقد جعل الاثنين واحداً » (أف ٢: ١٤) . « الرحمة والحق تلاقيا . العدل والسلام تلاثما . الحق من الأرض أشرق ، والعدل من السماء يطلع » (مز ٨٥: ١٠ ، ١١) .

هذا هو المسيح ، بل هذا أيضاً هو المسيحي السائر على درب المسيح — يجمع في حياته وسيرته وتعليمه الرحمة والعدل معاً ، السلام والاستقامة معاً : يجمع التسامح على قدر طاقته في حقه الخاص مع التشدد في حق الله وحق القريب . يقرن اللطف في غير ضعف مع الحزم في غير عنف . يجمع في شخصه الاثنين معاً دون أن يقع في تناقض . يسير نظراً وعملاً في طريق السلام مع الاستقامة والتدقيق ، في انسجام وتكامل ، واتزان وتوازن .

المسيح ملك ، لكن أين مملكته ؟ والآن ، وفي باكر اليوم العظيم ، في عيد أحد الشعانين ، دخل المسيح أورشليم معلناً أنه ملك . نعم . إنه ملك روحاني . ولكنه ملك ولكن فأين مملكته ؟

لقد قال المسيح إن مملكته ليست من هذا العالم ، وذلك حتى لا يزعم ملوك الأرض ولكي يطمئنهم أنه لم يأت لينافسهم بمالكهم الأرضية ، ولا جاء لينزع منهم سلطانهم

الزمنى ، موضحاً أنه ملك على صعيد آخر ، على مستوى آخر ، على طراز آخر .
وإذن فقد جاء ملكاً ، وليؤسس لذاته ملكاً ، وإن كان ملكاً على صعيد روحانى ،
لا مادى ، وعلى مستوى سماوى لا أرضى ، وعلى طراز أبدى ، لا زمنى .

جاء ليكون ملكاً فى الأرض ، كما هو فى السماء . لم يكن من الأرض لأنه نزل
من السماء ، والذين يتبعونه يصيرون منتمين للسماء وإن كانوا من الأرض . قال
لتلاميذه وللمؤمنين : « لستم من العالم بل اخترتكم من العالم . لأجل هذا يبغضكم
العالم » (يوحنا ١٥ : ١٩ ، ١٧ : ١٤ - ١٦) .

وإذا كان المسيح ملكاً ، فأين مملكته ؟ مملكته فى السماء . لكنه قد جاء من السماء
ليمد نطاقها إلى الأرض ، « ليصير ملك العالمين لربنا وللمسيح » (رؤى ١١ : ١٥) . وهذا
هو سر الحرب التى أثارها الشيطان وجنوده بين الناس ، ضد المسيح ومملكته . وليست
المؤامرات التى حاكها اليهود للمسيح ، والمشاورات والمداولات والمحاکمات التى عقدها
له ، إلا تعبيراً عن الحرب التى أعلنها الشيطان « كرئيس لهذا العالم »
(يوحنا ١٣ : ١٢ ، ١٤ : ٣٠ ، ١٦ : ١١) ، على المسيح ، كرئيس للمملكة الجديدة التى نزل
من السماء ليؤسسها على الأرض ، حيث عرش الشيطان (رؤى ١٢ : ٣) وقاعدة مملكته .
بل هذا هو سر التعارض الذى صار بين العالم ، بما فيه من شهوات وأطماع وشرور ،
وبين المسيحيين كأتباع المسيح . أمسى العالم حرباً على المسيحيين ، وصاروا فيه
مضطهدين ومكروهين ، وعاشوا فيه أمناء أو ماتوا شهداء .

قال المسيح له المجد : « إن كانوا اضطهدوني فسيضطهدونكم » (يوحنا ١٥ : ٢٠) .
ويقول بولس الرسول : « وجميع الذين يريدون أن يحيا حياة التقوى فى المسيح يسوع
يضطهدون » (٢٢ : ١٢) . وكذلك أمسى المسيحيون حرباً على العالم والشيطان ،
يشهرون به وبمبادته ، ويقاومونه ، ويناقضونه ، ويعارضونه ، ويفضحونه .
وبالإجمال ، أمسى المسيح والشيطان على خطين متعارضين متعامدين . أحدهما رأسى
من فوق إلى أسفل ، والثانى أفقى من اليمين إلى اليسار . وكذلك أمسى أتباع المسيح
متعارضين مع أتباع الشيطان والعالم . وفى هذا يقول الرسول بولس : « قد صلب
العالم لى وأنا صلبت للعالم » (غلا ٦ : ١٤) ، إذن ، فإن كان المسيح ملكاً ، فالكنيـ
سة مملكته . والصليب هو علم مملكته . ولذلك يردد المسيحيون فى الكنيسة وينادونه
بالمسيح ويلقبونه ربنا وإلهنا ومخلصنا وملئنا كلنا يسوع المسيح . وأما الكنيسة فهى
مملكة المسيح . وإذ صعد المسيح إلى السماء بعد صلبه وموته وقيامته ، فقد أصبحت

الكنيسة هي سفارة المسيح على الأرض ، وهي لذلك تمثله وتنب عنه وتتحدث بلسانه ، وفيها مستودع أسرارهِ . والسفارة تنتمي إلى البلد الذى هي منه ، لا إلى البلد الذى هي فيه . ونحن الذين آمنّا بالمسيح ، فقد قبلناه مخلصاً وفادياً ، فانتزعنا من فم الأسد ، فصرنا له ، إذ اشترانا بدمه ، وصار المسيح ملكاً علينا ، وصرنا نحن مُلكاً له . ساد علينا كمخلص وفادٍ ، وامتلكنا بحق الشراء .

فما أسعد المسيحيين المؤمنين بالخلاص من الشيطان ومملكته ، وبالاتضمام إلى المسيح ومملكته ، فصاروا به مقدين ومخلصين ومحبيين ومقدسين . وقبل أن يدخلوا إلى جرن المعمودية جحدوا الشيطان ، معلنين انفصالهم عن مملكة الشيطان وانضمامهم إلى مملكة المسيح الرب . أما وسوف سنعيد باكر في يوم أحد الشعانين للمسيح ملكاً روحانياً سماوياً ، ملكاً علينا وملكاً لنا ، فلنذكر في هذا اليوم رسالة مخلصنا وملكنا ومبادئه ، وأنها تتعارض في صميمها وتتعارض مع رسالة الشيطان ومبادئه . ولا ننسى أننا لم نعد نتسب إلى العالم والشيطان ، بل صار اسم المسيح هو الذى يُدعى علينا ، وقد أصبحنا للمسيح ، « وصارت أعضاؤنا للمسيح » (١كو٦: ١٥) (أف٥: ٣٠) فلا ندنسها بالخطيئة والشر . ولا نخلط بين المسيح ولبيعال — أى الشيطان — ولا نُدخل روح العالم إلى الكنيسة ، حتى تبقى الكنيسة للمسيح عروسه الطاهرة ، « لا شائبة فيها ولا وصمة ولا ما شابه ذلك » (أف٥: ٢٧) ، ولتبقى كل نفس في الكنيسة « عروساً للمسيح طاهرة نقية عفيفة » (٢كو١١: ٢) . وإلهنا الذى تفضل وقبلنا إليه في مملكته ، نسأله أن يحفظنا من شر العالم وذنس الخطيئة ، وينصرنا على الشيطان وكل جنوده الخفيين . والظاهرين ، حتى نظل دائماً في يد المسيح ، ملكنا ولا يَحْتَفِظُنَا الشيطان من يده (يو١٠: ٢٨ ، ٢٩) .

« فإذا جاء في مجده وجميع ملائكته القديسين معاً » (مت٢٥: ٣١) ، أوقفنا على عيِّنه في يوم الحساب العظيم ، ونادانا مع الأبرار والصادقين الذين يقول الملك الديان لهم : « تعالوا أيها المباركون من أبى لتراثوا الملكوت المُعد لكم منذ إنشاء العالم » (مت٢٥: ٣٤) . والآن ، فلنجدد عهدنا معه . ولنعلن فرحنا ورضانا بأننا من أعضاء مملكته ، ولنشكره لأنه قبلنا إليه وضمنا إلى زمرة ، ولنحرص على كرامة مليكنا ونسبتنا إليه ، فلا يجدف عليه بسيرتنا « ولنرفع علمه فوق رؤوسنا بحجة » (نش٢: ٤) ، ولنرسم صليبه علينا بفخر قائلين مع الرسول بولس : « أما أنا فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صلب العالم لي وأنا صلبت للعالم » (غلا٦: ١٤) . وإلهنا السجود والإكرام والتسبيح الآن وكل أوان أمين .

عظة إنجيل قداس الأحد السابع من الصوم الكبير

عيد أحد الشعانين

مبارك الآتى باسم الرب . أوصانا فى الأعلى (مت ٢١ : ٩) .

جاء مخلصنا الى هذا العالم فى أبسط مظاهر التواضع . وعاش حياته بعيداً عن كل ما يؤول الى الفخر والتمجيد . وتجنب كل تصرف ينتظر من ورائه مجد . ولكنه الآن اتخذ طريقة مخالفة لتصرفاته السابقة . فكان قبلاً يدخل أورشليم « لا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته » (مت ١٢ : ١٩) أما الآن فقد أراد أن يدخل علانية . محاط بموكب عظيم مجدداً كملك آتٍ ليفتقد رعاياه وذلك لأنه أراد أن يرفع عن مجد ملكوته الحجاب الذى أخفاه فى حياته ، وأن يعلن بذلك الاحتفال أنه المسيح ملك العالم الروحى الذى ينتظره اليهود ملكاً لهم .

+ لقد بين فيما مضى وظيفته النبوية بالوعظ والتعليم والإنذار .

+ والآن وظيفته الملوكية .

+ كما أنه سيظهر عند صلبه وظيفته الكهنوتية .

لقد سبق وأعلن أنه ملك ولكن لم يعلن ذلك فى أى مظهر من مظاهره .

ألم يكن يحذر من صنع معهم المعجزات لكى لا يقولوا لأحد ؟

ألم يخشى فى الجبال بعد إطعام الخمسة الآلاف لما طلب الناس أن يجعلوه ملكاً ؟ وذلك لأنه كان يخشى أن تتعطل خدمته بتمجيده . أما الآن فقد دعت رغبته أن يعلن نفسه للعالم بأنه المسيا الى تحريك عواطف الجمهور ليهللو له ويعلنوا سمو سلطانه لأن ساعته كانت قد جاءت . بينما كان الكتبة والفريسيين يحاولون تقويض مركزه وإبادة هيئته إذا به يظهر فى مثل تلك الهيئة والمجد السامى ، حتى ، ارتجت المدينة كلها وأخذ الجميع إندهاش حتى قالوا : هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل . وهكذا أعطى العالم درساً بأنه لا يستطيع أحد أن يخفى مجد الله . لأن يسوع الهادى الوديع استطاع أن يهيب نفسه احتفالاً فاحراً ابتداءً من جبل الزيتون حتى الهيكل من جمهور التلاميذ والجموع المزدهمة والأطفال . وقد أحاط به الكل وهم يحمون تحية الملوك ، وبالغوا فى إكرامه حتى فرشوا ثيابهم أمامه فى الطريق وأمسكوا بأيديهم سعف النخل وأغصان الزيتون التى هى رمز النصر وشارة الفرح (رؤ ٧ : ٩) وهى رايات النصر وأعلام السلام ولن ترفع رايات السلام ان لم ترفع

« لرئيس السلام » (اش ٩ : ٦). هكذا جعل هيئة دخوله الى اورشليم مناسبة لازالة كل أوهم اليهود وتلاميذه في ما يتوقعونه من سلطان أرضى ومجد عالمى وذلك فانه بالرغم عن صراخ الجماهير الذين تقدموا والذين تبعوا القائلين هوشعنا فان طبيعة ملكوته الروحية ظهرت في كون تابعيه لم يحملوا سيوفا أو رماحا بل سعف النخل . وهو ذاته لم يركب جواداً كملك حرنى بل جحشاً ابن اتان وذلك علامة السلام والوداعة . يقول الشاعر :

قد جاء لا سيف ولا رمح ولا
فرس ولا شيء يساع بدرهم
دخل المخلص في ذلك الموكب الجليل ، وقبل تلك المظاهرات الفخرية ، ليرى خصومه شيئاً من عظمتهم واقتداره على اكتساب تكريم الجمهور إياه وعدم مبالاته بقوة خصومه وعدوانهم وأوامرهم ، وأنه قادر أن يخلص ذاته من بهكتهم إن شاء ذلك . فيكون إستسلامه لتعذيبهم وصلبهم إياه باختياره ليتم قصده من نزوله من السماء : « لأنه إذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (في ٢ : ٨) .

وكان دخول المسيح اورشليم في يوم الأحد العاشر من نيسان (وهو في أوائل الشهر الأول عند العبرانيين كان فيه اليهود يشترون الحملان الخالية من العيوب ليقدموها ذبائح بعد خمسة أيام ، فأراد المسيح أن يوجه أنظارهم إليه بوصفه حمل الله المزمع أن يذبح عن العالم كله . وأيضاً لأن هذا اليوم كان يتفق مع عيد المظال وعيد الفصح الذى فيها كان اليهود يهرعون الى اورشليم للاحتفال بهذه الأعياد فأراد المسيح أن يوجه أنظارهم أيضاً بوصفه فصحنا الجديد الذى سيذبح من أجلنا ، حتى تطابق الحقيقة المثال . لأنه يجب أن خروف الفصح ، الرامز ليسوع كان يفرز في اليوم العاشر من شهر نيسان القمري ليؤكل بعد خمسة أيام (خر ١٢ : ٣ ، ٦) .

فليس عبثاً أن نرى يسوع حمل الله الذى يرفع خطية العالم يفرز علانية في اليوم ذاته مع الأغنام الكثيرة الرامزة إليه . ثم يذبح على الصليب وقت ذبحها في الهيكل بعد خمسة أيام (عب ١٠ : ٢٩) فلنشكر الله الذى دبر بحكمته أن يدخل اورشليم علانية ليصلب حتى لا يستطيع أحد فيما بعد أن ينكر أنه مات في اورشليم . فافرحى يا اورشليم فها قد أتاك مخلصك راكباً على أتان كما قال زكريا . وهذا يذكركنا بموكب قديم حدث (١ صم ٦ : ٧) إذ قال فالآن خذوا وأعملوا عجلة واحدة جديدة وبقرتين مرضعتين لم يعلمها نير وأربطوا البقرتين الى العجلة وأرجعوا ولديهما عنهما الى البيت وخذوا تابوت الرب واجعلوه على العجلة وضعا أمتعة الذهب التى تردونها له قربان أثم في صندوق بجانبه وأطلقوه فيذهب « فالعجلة القديمة التى لم يعلمها نير أى لم يركبها أحد كان يمتطيها تابوت العهد : الذى كان رمزاً الى الرب يسوع (عب ٩ : ٤ — ١١) .

يذكر يوسفوس المؤرخ المعروف أنه عند دخول السيد المسيح أورشليم ركباً على جحش ابن أتان كان حوله مليونان ونصف مليون نسمة بلغ هتافهم عنان السماء ، هذا الجمهور الفقير كان قد حضر من كل مكان ليحتفل بالفصح وكانوا يهتفون : أوصنا في الأعلى يا ابن داود . مبارك الآتى باسم الرب . ذاك الذى قضى حياته وديعاً أعلن بدخوله أورشليم بذلك الاحتفال الملوكى أنه هو بعينه الذى قيل عنه قديماً أن أباه السماوى خاطبه قائلاً : « أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصى الأرض ملكاً لك » (مز ٢ : ٧ ، ٨) وقيل له أيضاً : « أجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك » (مز ١١٠ : ١) يقول عنه داود النبى : « يسجد لك كل الملوك وكل الأمم تتعبد له » (مز ٧٢ : ١١) .

لقد بهت الكتبة والفريسيون عندما شاهدوا الجماهير تحبى المسيح تحية الملوك الظافرين ، لأنهم اعتبروه أقل شأنًا منهم نظراً لوداعة حاله . وفاتهم ان ملوك العالم العظماء قد بادوا ونسيت أسمائهم أما اسم يسوع فانه يهتف بمجده كل لسان كان يهتفون له قائلين : « أوصنا لابن داود . مبارك الآتى باسم الرب . أوصنا في الأعلى » (مز ١١ : ١٠) هذا المزمور الذى قال عنه بعض المفسرين ان اليهود رتلوه لأول مرة في حفلة تدشين الهيكل الثانى . ومعنى أوصنا أى خلص وهى مأخوذة من (مز ١١٨ : ٢٥) . آه يارب أنقذ ، مبارك الآتى باسم الرب . باركتكم من بيت الرب . فهو المخلص الوحيد الذى دعى اسمه : « يسوع » لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » (مت ١ : ٢١) . وفى كل جيل وجد ألوف فى يسوع خير مخلص لهم من أحلامهم الثقيلة : « يسوع هو وحده القادر أن يخلص أيضاً الى التمام الذين يتقدمون به الى الله . إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧ : ٢٥) .

بقى سؤال فى هذا المقام : هل خلاص المسيح يعمل فيك وفى حياتك اليومية وفى بيتك ليظهرك من كل خطية ؟ هل حياتك تعلن عن حصولك على الخلاص حقاً وهل حركاتك وسكناتك ونظراتك ولساتك ، كلها تعلن عن بركات هذا الخلاص ؟ اسأل نفسك !!

حينما أراد يسوع أن يدخل أورشليم كملك فما هو السلطان الذى استعمله لجذب الجماهير إليه لتهتف له ؟ ليس بقوة وعنف ساق إليه الناس لاحتفل به . انه له المجد لم يستخدم أية قوة أو حيلة للأتيان بالجموع ، بل هم الذين شعروا بجاذبية غريبة لأنهم نظروا القوات التى صنعها يسوع وآمنوا به وقتل بنوع خاص فيسوع مع أنه يملك كل قوة يستطيع أن يجذب بها الجمهور لكنه لم يستخدم غير لطفه ومحبه . فجعلهم فى تلك

الساعة يتمثلون فضائله ومعجزاته وخيراته . ويقوة خدمته لهم ومحبة إياهم جعلهم يهتفون له . وكان هتافهم منبعثاً من قلوب شاعرة بفضله . ومن أفدة مملوءة بالاحساس بجميله واحسانه .

يسوع هو الملك الوحيد الذى بنى ملكه على المحبة . فلم يستخدم أى سلاح لتحويل الأنظار إليه إلا سلاح المحبة . لهذا نجد ملك المسيح دائماً يتسع ويمتد ويبقى لأن الرهبة لم تكن يوماً سلاحه لتأييد ملكه . ولم ينبغى أن نفرح نحن لأن ملكنا على هذه الحال من الحب لنا . قال زكريا النبی عنه مخاطباً أورشليم : « هوذا ملكك يأتى اليك . هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وجحش ابن اتان » (زك ٩ : ٩) . فالصفة التى وصف بها ملكنا هنا هى أنه وديع . ان الملوك عادة يوصفون بالعظمة والكبرياء والجيروت . ولكن هذا الملك الفريد علمنا ان الوداعة صفته كملك . لأنه حتى فى هذا الاحتفال الذى أراد فيه أن يكشف الحجاب عن حقيقة ملكوته أثر أن يأتى وديعاً راکباً على جحش ، وقد كان فى قدرته أن يحمل على أجنحة الرياح أو جفيف أجنحة الملائكة لكى يبید أعداءه بنفخة من فيه . ولكنه لا زال ميالاً الى السكينة والهدوء ، جاعلاً نفسه تحت سلطة أعدائه فى الوقت الذى أراد أن يظهر فيه سلطانه المطلق .

+ دخل أورشليم على صورة تحفظ هيئة الاتضاع الموافق لوظيفته الفدائية . فما أعظم هذا الاتضاع الذى يبدو من ملك الملوك ذاك الذى رآه الأنبياء : « جالساً على كرسي عظمته يتعظم فى السحاب على مركبة الكارويم على كرسي عال ومرتفع واذياله تملأ الهيكل » (أش ٦ : ١) . لنعلمنا أن العظمة لا تقوم فى المظاهر الفاخرة بل فى التواضع والوداعة . لأن العظيم عظيم بنفسه لا بما يحيط به . ان كثيرين يحاولون بلوغ العظمة بالتربع فى المراكز الرفيعة . ولكن ليست العظمة فى المناصب بل فى من يتقلدونها . فيسوع سکن المذود ، وركب الجحش ، وصعد الى الصليب . ومع ذلك لم يزل بمجده ملء كل الأرض . التواضع يرفع المتواضعين . وهكذا نرى يسوع فى حياته على الأرض فى أقل مظاهر تواضعه كان يثق بانتصاره النهائي . أنظروا إليه وهو يدخل أورشليم كملك تراه يبكى . لم يعبأ بذلك المظهر المفرح لأنه كان يرى المستقبل . والذين هتفوا له يوم الأحد قائلين أوصنا صرخوا يوم الجمعة أصليه . أصليه .

إن كلمة الهتاف التى رتلوها أمامه يوم دخوله أورشليم قائلين مبارك الآتى انقلبت بدسائس الكهنة الى الصراخ أمام الوالى فقالوا له عن يسوع خذه أصليه ولكنه لم يبال مطلقاً ، كأنه فى يوم الأحد لم يسمع الهتاف وفى يوم الجمعة لم يسمع الصراخ . كان فى سلام سواء فى المدح أو فى الذم . وما دام يقدر لنفسه الانتصار فإنه لا يعبأ بالمظاهر

الخارجية . لذلك لما أوقف أمام ييلاطس كمنذب صرخ أمامه قائلاً أنا ملك . والذي يراه حينئذ في مظهر دعتة وضعفه يهزأ بقوله هذا ولكن الذي يرى ملكه الآن ممتداً من أقاصي المسكونة الى أقصائها يهتف قائلاً : المجد لك أيها الملك الصالح .

أنظروا إليه وهو داخل أورشلیم . من هم الذين استقبلوه وهتفوا له ؟ لم تكن عساكر والى اليهودية ، أو ملك اليهود . أو الكتبة والفريسيين بل أطفال صغارهم الذين أعددهم وهياً منهم سبباً كما قالت النبوة : « من أفواه الأطفال والرضع أسست حمداً بسبب أضدادك لتسكت عدو ومنتمك » (مز ٨ : ٢) لقد فرحت أورشلیم وتم بما قاله زكريا : « رابطا بالكرمة جحشيه وبالجفنة ابن أتاناه » (تك ٤٩ : ١٠) .

هل قلوبنا اليوم مخلصه عابدة . ونفوسنا متلهلة هاتفة للمسيح أوصنا مبارك الآتى باسم الرب ؟ سدت أفواه الكتبة والفريسيين ولم يمجّدوا واكتفى بهتاف الأطفال ، سكت الرؤساء والشيوخ لأنه أعد منهم هتافاً آخر وهو قولهم ليليلاطس أصلبه . فهو لا يريد أن ينطق الأشرار باسم جلاله ، أو يتحدثوا بعهدته على أفواههم » (مز ٥٠ : ١٦) . ولا يرغب أن يقبل التمجيد من قوم إسودت قلوبهم وامتلأت افئدتهم اثماً وفساداً . أنه في غنى عن تسييح الشفاعة المتعودة التكلم بالكذب والمكر والرياء والخذاع . فهو ممجّد من كل خليقته « السموات تحدث بمجد الله . والفلك يخبر بعمل يديه » (مز ١٩ : ١) . من المسلم به ان مخلصنا اختار الفقراء والأولاد ليرغموا بتسييحه لأن بساطة القلب المملوء حب هي أفضل صفة تجعل تسييحنا مقبولا لديه . فيجب أن نبذ الكبرياء والانفخاخ اذا أردنا أن نعبد الله فان المتواضعين وحدهم هم الذين يستطيعون تسييحه .

دخل المسيح أورشلیم ، وهرع الشعب لاستقباله بفرح وبساطة قلب . رحب به المرضى الذين شفاهم ، والحزاني الذين عزاهم ، والجهال الذين أنار عقولهم . وبين هؤلاء كان جماعة الفريسيين وكانت قلوبهم المملوءة حسداً وحقداً اسمعهم يقولون للرب أن ينتهر تلاميذه واسمع رد الرب عليهم « إن سكت هؤلاء فالحجارة تنطق » (لو ١٩ : ٤٠) .

يقول مفسر شرح بشارة لوقا وهو يعلق على هذا الكلام فيقول : اذن كانت الحجارة أفضل من قلوب الفريسيين ، فالحجارة جامدة ، لكن قلوبهم جاحدة ، وكَم من مرات تشهد فيها أحجار أثرية قديمة لمجد المسيح وصدق رسالته فيتم فيها هذا القول حساً ومعنى !! هل في هذا القول إشارة ضمنية الى ما جاء في حبقوق : « لأن الحجر يصرخ من الخاطئة » (حب ٢ : ١١) . إن غيظ الفريسيين أكل قلوبهم كنار حين شاهدوا الآلاف المؤلفة تتهتف للمخلص ، ومن غيظهم نسمعهم يقولون بعضهم لبعض « انظروا انكم لا تنفعون

كان الشعب فى سرور وكأنه الطير يغرد ولا ينظر الى السهم الذى سيسوب نحوه بعد قليل ليرديه الى الأرض ميتاً . ما لنا لا ننظر الى مستقبلنا . ان مستقبلنا ومستقبل أولادنا فى حاضرننا . نعيش فى فرح وسرور وبإليته فرح فى الرب حقاً . « افرحوا فى الرب وأقول أيضاً افرحوا » (فى ٤ : ٤) ، (١ تس ٥ : ١٦) . ولكن حتى فى أعيادنا وافراحنا فى أعياد الرب ننسى الرب . لو كنا فى هذا اليوم نفرح الرب ونتناول باستحقاق . إن يسوع لا يهتمه المظاهر والافراح التقليدية . إنه ترك الهاتفين يهتفون ... ونظر الى المدينة وبكى عليها . انه دخل الهيكل ولم يسر بكثرة الناس فيه . ولكنه ثار ثورته الكبرى وطرد الذين كانوا يبيعون ويشتررون فى الهيكل قائلاً لهم : « مكتوب يبنى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » (مت ٢١ : ١٣) لقد أكلت قلبه نار الغيرة على بيته الطاهر « غيرة بيتك أكلتني » (يو ٢ : ١٧) . إن حمل الله الوديع الذى لم يطفىء فتيلة مدخنة يقلب موائد الصياغة وكراسى باعة الحمام ويطرد الأشرار من بيته لأن بيته تليق القداسة . أيها الاحياء ربما تظنون ان التشخيص أو التمثيل الذى تمثلونه فى الكنيسة اليوم يكون فيه شرف وفخر لكم . أنظنون ان الله يقبل صلواتكم وصراخكم عندما تقولون مبارك الآتى باسم الرب أوصنا يا ابن داود أوصنا فى الأعلى . بهذه الضجة وذلك التشويش ؟ الا فاعلموا ان هذه الحالة تقضب الله كثيراً ولا تجلب علينا بركة ما لأننا نمثل هيئة سوق بالتمام فان الرجال والنساء يتكلمون والبعض يضفرون الخوص والأطفال يجرون كأنه على مسرح تمثيل . ولا يمكن لأى إنسان أن يتصور أن تلك الهيئة تدل على العبادة ولا يعتقد أن الله يقبلها .

أيها الاحياء انها ساعة لنستيقظ من النوم قد آن الوقت الذى فيه نعبد الله بخوف . ان الله لا يقبل منا الصلوات الشفوية التى نتلوها بدون عقل . قال السيد له المجد للمرأة السامرية : الله روح والساجدون له بالروح والحق ينبغي أن يسجدوا . ان العبادة التى يطلبها الله منا هى عبادة القلب المنكسر والروح المنسحق كما قال داود فى ترتيلة القلب المنسحق والمنكسر يا الله لا تحتقره وان تكون عبادتنا مع السكون والهدوء والنظام وعدم الكلام والحركة قطعياً فى الكنيسة حتى تتصل الأرواح بخالقها وتصفو الأفكار من كدرها وتم الشركة السرية مع الله وخصوصاً وقت التوزيع . ولكن للأسف الشديد فإن كثيرين يغيظهم صوت الحق ، ويصرون على عنادهم . غير مكثرين ببناء مخلصهم .

كلنا يعرف الشقاء والعناء الذى يتكبد به اليهود منذ رفضهم للمسيح الى الآن . فليحذر كل منا لئلا يجلب على نفسه غيظ التقدير برفضه إياه . الرب يحبنا كما أحب تلك المدينة التى نظر إليها وبكى بهذه الطريقة يطلب قلوبنا . يظهر يسوع لتلك القلوب كضيف

وكملك واقف على الباب فأى شيء تريد أن تقول له ؟ هل تفتح له الباب قائلاً تفضل مرحباً بك يا سيد ، أم تقول له أخرج لا تريد أن هذا الانسان يملك علينا » (لو ١٩ : ١٤) . الرب بجيوش الخلاص يحتفل كل يوم بدخول قلوب المؤمنين . أما إذا كان فينا قلب أورشليمى تعود أن يرفض دعوته فإنه يرجع عنه حزينا باكيا مهددا إياه بالهلاك الأبدى . أما القلب الذى يفتح بسرور قائلاً : مبارك الآتى باسم الرب . فإنه يصبح مركزاً لحلوث ابن الله ، كقوله له المجد : « هأنذا واقف على الباب وأقرع . ان سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه واتعشى معه وهو معى » (رؤ ٣ : ٢٠) . وقال أيضاً : « ان أحببني أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى واليه نأتى وعنده نصنع منزلاً » (يو ١٤ : ٣) .

ان دعوة المسيح للخلاص هى دعوة فردية لكل إنسان . فهو يأتى لكل إنسان قارعا بابه كما جاء لأورشليم . انه أعطى فرصة لليهود ليقبلوه ولكنهم رفضوا . وهو يعطينا هذه الفرصة الآن فماذا نقول ؟ التلاميذ فرحوا فرحاً عظيماً يوم دخول سيدهم إلى أورشليم . على أن فرحهم هذا لا يذكر بالنسبة إلى فرح وابتهاج شعبه فى يوم مجيئه الثانى ليملك الملك الأبدى جهاراً . لأن فرح التلاميذ المشار اليه كان وقتياً زائلاً وتحول بعد فترة قصيرة إلى حزن وبكاء ولكن فرح المؤمنين فى يوم مجيئ سيدهم الأخير سيكون أبدياً لا نهاية له ولا يشوبه حزن . وحين يأتى يسوع بمجده وجلاله ويقم ملكوته المجيد لا يجسر أحد أن يتفوه بكلمة على ملك الملوك بل سيترف كل لسان أن يسوع المسيح رب مجد الله (فى ٢ : ١١) . وله المجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية تذكّار ظهور الصليب المجيد حياة التلمذة

« إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي » (يوحنا ٣١: ٨) .

إن الحياة المسيحية هي حياة تلمذة . وكل الذين آمنوا بالمسيح تسموا تلاميذ للرب .
والسيد المسيح لما ألقى العظة على الجبل ألقاها لتلاميذه ، إذ يقول الكتاب المقدس :
« تقدم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلمهم قائلاً » (مت ٢: ٥) .

والذين آمنوا عن طريق يوحنا المعمدان تسموا تلاميذ يوحنا . والسيد المسيح ، لما
أرسل الرسل ، قال لهم : « اذهبوا ، وتلمذوا جميع الأمم » .

ذلك أن الحياة المسيحية هي حياة تلمذة . « فالولود أعمى » عندما دافع عن المسيح
له المجد قالوا له : أنك تريد أن تصير له تلميذاً . بل إنهم شتموه وقالوا له : أنت
تلميذ ذاك ، ونحن تلاميذ موسى .

إن الذي يتبع المسيح هو تلميذه . وفي عهد الرسل يقول الكتاب المقدس : « كان
عدد التلاميذ يتكاثر جداً » بمعنى عدد المؤمنين . مفروض أن الإنسان يتلمذ على حياة
المسيح والتلمذة ليس معناها أن تسمع محاضرات وكلاماً أو دروساً . إنما التلمذة معناها
أنك تتلمذ على حياة وتعاليم تمتصها وتعيش فيها ، وليس مجرد سماع فقط ، فكل المؤمنين
يسمعون الإنجيل في القداسات والصلوات ، لكن هل بهذا صاروا تلاميذ للمسيح ؟
للإجابة على هذا السؤال نبحت الشروط . فإن المسيح قد أعطى شروطاً معينة للتلمذة ،
إذ قال في يوحنا (٣١: ٨) « إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة أنتم تلاميذي » بمعنى أنه
ليس لمجرد سماع كلامه قد صرت تلميذاً له . لكن المهم أن تثبت في هذا الكلام
وتتدرب عليه وتحوله إلى حياة . هذه هي التلمذة .

والمسيح أيضاً يقول إن هناك أنواعاً من الناس لا يمكن أن يكونوا تلاميذ له ، منهم :

+ من لا يترك أباه وأمه .

+ من يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء .

+ الذي لا ينكر ذاته ولا يحمل صليبه .

التلمذة إذن ليس معناها مجرد أن تسمع كلاماً . فإن لم تنكر ذاتك وتحمل صليبك وترتك كل شيء من أجل المسيح ، لا تستطيع أن تكون له تلميذاً ويضع المسيح قاعدة أخرى أمام الرسل — للتلمذة — حين يقول لهم : « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي ، إن كان لكم حب بعضكم نحو بعض » (يوحنا ١٣: ٣٥) . والتلمذة إذن حياة معينة ، يتعلم فيها الإنسان على تعاليم وعلى وصايا ، ويقتبس شيئاً ليحيى به . ونحن نريد أن نرى أنواع التلمذة .

أول هذه الأنواع — الإنسان الذي يتعلم على الكلام :

على معلم يأخذ منه إرشادات ونصائح وتعاليم . ومن هذا النوع كان كثير من الرحالة يسافرون البر والبحر ليأتوا إلى آباء البرية ليأخذوا من أحدهم « كلمة منفعة » هذا النوع من الناس ، يأخذ الكلمة ، ويبدأ يدرب نفسه عليها ، ويجعلها دستوراً للحياة . كل كلمة طيبة يسمعا يحفظها في قلبه ولا ينساها . هذا تلميذ طيب . أما الذي ينسى الكلام والمعلومات فهو تلميذ فاشل .

وهناك أشخاص يتعلمون طول العمر نتلمذ على وصايا الله وكلماته ، والروح الذي نأخذه من المثل العليا مهما نال الإنسان من مركز ومهما بلغ من العمر . إننا في ذلك نسمع أن البابا ثاوفيلس الثالث والعشرين — كان يذهب إلى البرية للرهبان ليتعلم وليسمع كلمة منفعة ، والكتاب المقدس في ذلك يقول : « إن الاستماع أفضل من التكلم » (١ صم ١٥: ٢٢) .

ونحن نسمع عن القديس مكاريوس الكبير الذي نشر الرهبة في الأسقيط وله آلاف من أبنائه الرهبان . هذا القديس يقابل الصبي زكريا . ويقول له يا ابني يا زكريا ، قل لي كلمة لكي انتفع . فسجد أمامه الصبي زكريا وقال له : يا أبى أنت سراج البرية ونورها وتطلب مني كلمة . وتساءلني أنا ماذا أفعل لكي أخلص ؟ فأجابه القديس قائلاً يا بني أن الروح القدس الساكن فيك أعلن لي أنه يوجد عندك شيء ينقصني ، أريد أن أعرفه .

لقد كان القديس العظيم مثلاً لإنسان يريد أن يتعلم والشخص الذي يريد أن يتعلم ويتعلم ، يستفيد من أى معرفة روحية ، أياً كان مصدرها . تماماً مثل الأنبا أفرام السرياني . قابلته ذات مرة امرأة خاطئة وظلت تنظر إليه فقال لها يا امرأة أما تستحي أن تنظري إلي بهذا الشكل ، فقالت له : أنا أخذت من رجل ، فأنظر إلى الرجل

الذى أخذت منه ، وأنت أخذت من التراب ، فانظر إلى التراب الذى أخذت منه ، واستطاع القديس أن يأخذ حكمة من كلامها .

بل أن سبب سكن القديس الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان فى البرية امرأة خاطفة . فقد كان يسكن إلى جوار النهر . وجاءت امرأة وخلعت ملابسها ونزلت لتستحم . فقال لها القديس : أما تستحين أن تخلى ملابسك أمامى وأنا راهب ؟ فقالت له : لو كنت راهباً لسكنت الجبال والبرارى وقد كان .

إن الشخص الذى يريد المنفعة والتعليم يلتقط الكلام أينما وجد ويستخرج منه الدروس لروحه التواقة إلى التلمذة .

كان ذلك أول نوع من التلمذة . التلمذة على الكلام .

النوع الثانى — هو التلمذة على الحياة :

وهذا النوع معناه ، أن يمتص المتعلم الحياة من الناس دون أن يتكلموا . حدث ذات مرة أن زار البابا ثاوفيلس الدير ، وقال الناس للأنبا بافلوتوس . وكان مشهوراً بالصمت . قل كلمة — لكى ينتفع البابا — فأجابهم قائلاً : إذ لم ينتفع من سكوتى ، فمن كلامى أيضاً سوف لا ينتفع ، وكان درساً .

والأنبا شيشوى ذات مرة أتوا إليه بتلميذ جديد طالب رهبنة لكى يعلمه . فمكث التلميذ مدة كبيرة والقديس لا يقول له شيئاً . لا أوامر ، ولا إرشادات ولا توجيهات . فشكاه للشيوخ الذين ذهبوا للقديس يستفسرون عن سبب ذلك الموقف ، فقال لهم القديس : أنا لست رئيساً ، ولا مديراً حتى أمره أمراً من الأوامر . إنما أنا أشتغل أمامه وأعيش فما يراه يستطيع أن يفعل مثله ويتعلم .

لا تظن أن المعلم هو الشخص الذى يعطيك كلاماً كثيراً . أبداً . وإنما تتعلمونوا على الأمثلة الحية الطيبة التى ترونها أمامكم .

هكذا كان القديس أنطونيوس العظيم فى بدء رهبته ، لم يكن هناك مرشدون لكى يسترشد بهم ، وإنما عاش فى وسط النساك يتعلم منهم . يأخذ من واحد فضيلة الصمت ، ومن آخر فضيلة الوداعة ، ومن ثالث فضيلة الزهد . وهكذا . حتى لقد قيل عنه أنه كان كالنحلة التى تمر على الزهور المختلفة تأخذ من كل زهرة رحيقاً .

عينا أننا نريد أن نأخذ جميع الفضائل من شخص واحد . كل واحد يقابلك خذ منه صفة طيبة . هذا لمن يريد أن يتلمذ . أن يمتص الحياة .

ذات مرة ذهبت مجموعة من الناس إلى أينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس لتتعلم منه وأخذ كل من أفراد المجموعة يوجه إلى القديس أسئلته . إلا شخص واحد أمضى الجلسة كلها صامتاً يستمع . ولما سأله القديس عن سبب ذلك قال له : يكفيني النظر إلى وجهك يا أباي . ذلك أن هذا الشخص أراد أن يتعلم مما يراه من قسامة وجه القديس الأنبا أنطونيوس وسماحته وبشاشته هل تظن أن أذنك فقط هي الوسيلة الوحيدة للتعلم والتعليم . عيناك أيضاً وسيلة جيدة لهذا الغرض ، فانظر ، وتعلم ، وتعلم من الحياة .

إن القديس أرسانيوس الكبير لم يكن يتكلم إلا نادراً ، وكان الناس يتعلمون منه وهو صامتاً . كانوا يتعلمون من سكوته ومن هدوئه ومن اجتهاده في العمل الروحي .

وهكذا كان المتوحدون الصامتون . كانوا هم أنفسهم عظات ودروساً . بل أننا نأخذ دروساً من حياة الذين رقدوا أيضاً . وليس فقط من الأحياء . ومن أجل هذا نقرأ سير القديسين لتتعلم من حياتهم . ومن ذلك لابد أن نذكر قول السيد المسيح أن ملكة التيمن ستقوم في اليوم الأخير وتدين هذا الجيل ، لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان وهوذا أعظم من سليمان ههنا . درس ملكة التيمن أنها جاءت من بعيد لتسمع الحكمة وتتعلمها من سليمان . وهكذا ، فإن الله أعطانا في الكتاب المقدس صوراً من حياة الأنبياء ، ومن حياة الرسل لكي نتعلم من حياتهم ونتعلم . والكتاب المقدس يقول لنا : « انظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بهم » (عب ١٣ : ٧) .

إذن . أنتم في حياتكم على الأرض ، رأيتم وترون أناساً صالحين كثيرين ، فإذا لم تستفيدوا وتتعلموا من هؤلاء الصالحين الذين رأيتموهم في حياتكم . فسيدينكم الله في اليوم الأخير وسيكون هؤلاء الصالحون دائنين لكم ، تماماً مثل ملكة التيمن التي قال السيد المسيح أنها ستدين هذا الجيل .

والتلمذة ليست مجرد قراءة ، وإنما هناك تلمذة على الحياة . كالأطفال الذين لا يقرأون ولكنهم يتعلمون ويتعلمون من الحياة . ولذلك فإنك ستدنا في اليوم الأخير إذا قدمت للأطفال دروساً ضارة تتلف حياتهم وإذا لم تقدم لهم القدوة الصالحة والمثل الطيب خذ درساً من كل صفة فاضلة تراها في إنسان ما . مثلما دعانا السيد المسيح له المجد أن نأخذ درساً من « قائد المئة » الأعمى الذي قال السيد المسيح عنه : « لم أجد في إسرائيل كله إيماناً مثل هذا الرجل » (لو ٧ : ٩) . ومثلما دعانا السيد المسيح لنأخذ درساً من « السامرية » ومن « المرأة الكنعانية » . خذ درساً . وتعلم على الحياة . الحياة التي تحياها وتراها ، والحياة التي تقرأ عنها .

أخيراً النوع الثالث من التلمذة — هو التلمذة على الكتب :

ومنها الكتب التى فيها كل الفضائل والإرشادات والسير الحسنة ، فاقروا الكتب وتعلموا منها وتعلموا عليها . إن لم يوجد من يعلمكم . فتعلموا من الكتب . والشخص الذى يريد أن يتلمذ ، عليه أن يقرأ كثيراً ويتأمل ما يقرأ ، ويلتهم المعرفة كالجائع الذى يقول عنه الكتاب المقدس : « طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون » (مت ٦: ٥) .

لقد كان أوريجينوس العلامة الكبير ، يستأجر المكتبات ليبيت فيها يقرأ حتى الصباح . لدينا كثير من الكتب . فلماذا لا نقرأ .

إن هذه المطبوعات الكثيرة ، والكتب الوفيرة سوف تدبنا فى اليوم الأخير ، لأننا رفضنا أن نتلمذ وأن ندرس وتعلم ونعرف . اقرأوا كثيراً ... وتعلموا وليكن تدريباً روحياً لكم أن تقرأوا كثيراً .

ولربنا وإلهنا المجد إلى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية تذكّر البشارة

موقفان

« وإذا امرأة في المدينة كانت خاطئة » (لوقا ١٧: ٣٧) .

كان معلمنا لوقا كاتب الإنجيل الثالث بشيراً ونذيراً ، وطبيباً ماهراً ، ويقول تقليد قديم إنه كان فوق ذلك رساماً مبدعاً ، ومصوراً قديراً .

فلا عجب إذا تميزت بشارته عن سائر البشائر بالصور الجميلة التي أضفاها عليها الوحي المقدس . وبين تلك الصور ، بل في مقدمتها ، تلك الصورة الخطيرة التي أرانا فيها الطفل يسوع مولوداً من عذراء ، فملاً هذه الصورة بدقائق فنية رائعة خلا منها كل إنجيل آخر . مما يدل على أنه استقى هذه المعلومات رأساً من القديسة مريم العذراء .

ولمّا اليوم لم ير العالم صورة تحاكي في بعض جمال صورة البيت الذي هجرته السعادة لأن « الابن الضال » قد هجره ، ولم يبق فيه إلا الابن الأكبر ، يمشى في رحبته بكل عجب وخيلاء ، يستران من خلفهما كتابة صامته خرساء ، لأن أباه ترك الدار ، أو كاد ، فلا يقضى فيه إلا بعض الوقت في أطراف الليل والنهار ، منتظراً خارج البيت حتى يرى أن ابنه الأصغر إليه قد عاد .

ومن ينسى تلك الصورة الرائعة في جمالها التي رسمها في نهاية الأصحاح السابع من بشارته الخالدة ، فأرانا فيها شخصين على طرفي نقیض — أولهما رجل مغتر بیره الذاتي غارق في لجج هذا الغرور ، لدرجة أن يياض رداء بیره الذاتي قد طفح على جسمه فتحول إلى برص ، فخلع عليه الناس لقب « سمعان الفريسي » لكن ، من خلال يياض بیره الذاتي توسوس شياطين فساده وكبريائه وحسده ، وترقص أفاعى المكر والدهاء في رحبات قلبه الجاحد وتلمع عيناه الزجاجيتان نظير كرتين من الثلج ، لا تزيههما حرارة أنوار « شمس البر » الذي أضحي منهما قاب قوسين أو أدنى ، فلا شيء يعادل غلظ القلب في جحوده مثل العين في جهمودها .

مقابل هذا الشخص المعتد بیره الذاتي ، أبرز معلمنا لوقا الإنجيل في صورة بشارته الخالدة شخصاً آخر يقف من هذا الشخص الأول موقف النقيض من النقيض .

فإذا كان الأول رجلاً ، فالثانى امرأة . وإذا كان للأول اسم هو علم من الأعلام ، فإن الثانى بغير اسم — وكل ما قاله فيها الوحي إنها « امرأة خاطئة » . وإذا كان الرجل قد غرق فى لجج البر الذائق الثلجى ، فإن المرأة قد غرقت فى حمأة الرذيلة .. وإذا كان الرجل قد نظر إلى المسيح بعينين جامدتين جاحدتين ، فقد تعذر على المرأة أن ترفع نظرها إلى المسيح ، لأن عينها كانتا غارقتين فى لجج من دموع الاعتراف والندامة والشكر . وإذا كان الرجل قد قدم للمسيح شيئاً من الطعام ، فإن المرأة سكبت عند موطئ قدميه الطاهرتين طيباً خالصاً كثير الثمن .

ومع أن شخصية هذه « المرأة الخاطئة » غير معروفة بالضبط ، وقد قامت حول التحقيق من اسمها الحقيقى مناقشات ومجادلات ، إلا أنه يحلو لنا أن ننظر إليها فى موقفين .

الموقف الأول — المرأة الخاطئة فى توبتها وندمها :

يضيف معلمنا لوقا الإنجيلى فى هذه الصورة الرائعة ندم تلك المرأة الخاطئة وصفاً دقيقاً ، لا يقوى عليه إلا شاهد عيان « إذ علمت أن المسيح متكئ فى بيت الفريسي ، جاءت بقارورة طيب ، ووقفت عند قدميه من ورائه باكياً ، وابتدأت تبل قدميه بالدموع ، وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب » (لوقا ٣٧: ٣٨) .

فى إباحيتها ، كانت مواضع القوة فيها مواطن الضعف ، فاضحت مواهبها العالية علة سقوطها .

لكن فى ندامتها وتوبتها ، قد جعلت من مواضع فخرها وإعجابها أداة لاتضاعها وتوبتها وندامتها . فعيناها اللتان اجتذبت بهما أناساً ، فأغوت ، وأغرت وأسقطت وقرحتهما دموع التوبة والندامة . وشعرها الذى كان لها فى وقت مجيئها تاج مجدها وجلالها ، قد اتخذت منه أداة للاتضاع عند موطئ قدمى المسيح ، فمسحت به قدميه . ومجدها الذى تفاخرت به فى أيام زهوها ، قد وضعته سكيناً عند قدمى الفادى المجيد .

هذا ما حدا بإحدى القديسات الثابتات أن تقول فى ذل واتضاع أمام الله : « إن وجهى هذا الذى خدعت به العالم ، فكان يوماً معبودى ، وحاولت أن أخلع عليه زينة الدنيا ، ها هوذا اليوم يغطيه الخزي والحقيل أمام مجدك وجلالك » . وفى هذا

الصدد يقول جريجورى بلسان المرأة الخاطئة فى ندامتها وتوبتها : « ليزبل أمام بهاء قدسك جمالى الفانى . ولتصبح عيناي منذ اليوم ينبوعين للدمع المنهمر . وليكن شعر مجدى موطئاً لتقديمك الطاهرتين » .

الموقف الثانى — المرأة الخاطئة فى تكريسها وتعبدها :

لقد ظهر تكريسها فى كسر قارورة الطيب الكثير الثمن وسكيه عند موطىء قدمى المسيح . فسواء أكانت قد اكتنزت هذا الطيب من بلاد العرب أو من عطور صور وصيدا أو خلاصة زهور لبنان ، فإنها قد جاءت بأفخر ما اكتنزت ، وعطرت به قدمى المسيح .

فالتكريس يقوم بتقديم أعز ما عندنا ، ووضعه عند قدمى المسيح ، فيتقدس بلمسته . وما لم يشمل التكريس حياتنا بجزئياتها وكلياتها فلا يمكن أن يكون تكريساً بالكلية !! وإذا ما قال يهوذا وكل من على شاكلته « لماذا هذا الإلتلاف »؟؟—وجب أن نقول له : إن كل خسارة فى سبيل المسيح هى خير ربح . وإن كل إلتلاف لأجل اسمه هو خير كسب .

فإذا ما قيل للفلاح الذى يئذر بذاره فى الأرض ويطمرها ، وهو يقطعها من قوت أولاده : « لماذا هذا الإلتلاف »؟؟ جاز له أن يقول إن كل إلتلاف فى فن الزراعة هو خير ربح ، لأن الحبة إن لم تدفن فى الأرض وتمت لا يمكن أن تأتى بشعر كثير . لكنها إذا ماتت أتت بثمار كثير — ثلاثين وستين ومائة .

وكذلك كل شئ نقدمه للمسيح ونكرسه له ، يُعيده إلينا مباركاً أضعافاً مضاعفة . فالصبي الصغير الذى قدم للمسيح أرغفة الشعير ، قد فرح إذ رأى أن قوته الحقير قد أشبع أكبر الجماهير ، وفى نهاية اليوم حمل معه إلى البيت أضعاف ما أعطى المسيح . فكان هذا التكريس سبباً فى بركة الآخرين وبركته هو على السواء .

هذه هى معجزة النعمة ، وعصر معجزات النعمة لم ينقص بعد .

فيا إله المرأة الخاطئة ويارب السامرية . قدس نفسى لذاتك ولخدمتك واقبل منى تكريس حياتى لمجداك الأعلى .

ولك المجد دائماً — آمين .

عظة إنجيل قداس اليوم التاسع والعشرين من برمهات

عيد البشارة

فأجاب الملاك وقال لها . الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله (لو ١ : ٣٥) .

إن البشرية بتجسد الإله الكلمة من أحشاء العذراء النقية لخلاص البشرية ، هي أفضل البشائر السارة على الإطلاق ، إذ لم يسبق لها نظير ولن يكون لها مثيل . والكنيسة التي قبلت تلك النعمة المبشر بها رتبته ان تحتفل بذلك في مثل هذا اليوم من كل عام للأنياب الآتية :

أولاً : تنفيذاً لصوت الوحي بلسان إشعياء النبي القائل : « على جبل عال اصعدى يا مبشرة صهيون . ارفعى صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم . ارفعى لا تخافى . قولى لمدن يهوذا هوذا إلهك ، هوذا السيد الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له » (اش ٤٠ : ٩ — ١٠) . والقائل أيضاً : « استيقظي استيقظي إلبسى عرك يا صهيون إلبسى ثياب جمالك يا أورشليم المدينة المقدسة لأنه لا يعود يدخلك فى ما بعد أغلف ولا نجس » (اش ٥٢ : ١) . والقائل أيضاً : « قومي استنرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب قد أشرق عليك » (اش ٦٠ : ١) .

ثانياً — لأن هذه البشارة كانت فاتحة الخلاص لأن عقب البشارة الولادة وعقب الولادة الكرازة وعقب الكرازة الفداء وبالفداء خلاص الجنس البشرى .

ثالثاً — تمشيلاً بالعذراء والدة الإله التى قالت بعد قبول البشرى « تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى » (لو ١ : ٤٦ ، ٤٧) .

انتظر العالم إتمام نبوات مجيء السيد المسيح له المجد (من آدم حتى المسيح) بحالة استغاثة قصوى للانتقاذ والاسعاد لا تقبل مزيداً . حتى وافى الزمان فانحدر البشير الملائكى يزف البشرى الى العالم أجمع فى شخص سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الاله القديسة الطاهرة مريم . والذى يلفت الأنظار فى ظرف البشارة أن السيدة العذراء لم يهلها منظر الملاك النوراني ولم تخفه كزكريا وغيره ممن ظهرت لهم الملائكة إذ من المؤكد الظاهر من تحيته العظمى لأقنومها السعيد أنه ظهر أمامها بكل مهابة واحترام كالقائد العظيم يحى ملكته الجليلة . نعم نعم لا شك فى ذلك ألم تكن والدة إلهه وخالقه ؟ ألم يقل لها (القدوس المولود

منك يدعى ابن الله) فكيف لا يكرم ويعظم أم خالقه العظيم !!

إذاً مِمَّ قد اضطربت إن كانت لم تخف من أُنُومِهِ ؟ لقد اضطربت من كلامه فقط وهنا لغز مستتر يجب فكّك طلسمه . هو قد بشرها انها تلد الابن الإلهي وهي قد كانت في الوقت نفسه مخطوبة ليوسف فلماذا تضطرب من كلام يبشرها بالحبل العظيم هذا فتقول له كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً ؟ حقاً ان هذا إلا لغز عظيم . لماذا لم تقل له كما كان المنتظر منها . إن شاء الله اتوق الى نوال هذا الشرف الرفيع ولكن فقط بعد زواجي بيوسف . وها نحن أولاً قد مهدنا له بالخطوبة الرسمية ؟ نعم كنا ننتظر من المطوبة جواباً مثل هذا للملاك إن كان في نيتها ونية يوسف زواج فعلي . ولكن ليس الحال كذلك فقد عقدا النية على زواج استعاري لا فعلي ولذا قد اندهشت من البشرى لظنها ان الذى تلده يكون من زرع بشر . ففهم الملاك الطوباني قصدها وجاء إليها بما أُلُجَّ صدرها إذ قال لها : « الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللوك (بدل الزواج البشري) لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله » (لو ١ : ٣٥) . فاستسلمت المطوبة للنعمة الإلهية بدورها قائلة بكل تسليم ورضى وإيمان وفرح مع تواضع جزيل قائلة : ما دام الحبل بقوة الله الغير المحدود وليس من زواج بشرى فأنا أمة الرب فليكن لى كقولك . ففاق إيمانها هذا بلا حصر إيمان زكريا الذى شك في وعد الله وطلب علامة لاتمامه ولذا مدحت البصائبات إيمان مريم واذ قد فكّ اللغز وظهرت لنا سبب اضطراب مريم من كلام الملاك بطريقة تريخ العقيدة والضمير معاً لتتقدم الى موضوعنا

البحث الأول

أسباب حلول الروح القدس على السيدة العذراء ونتائجه
سبق عرفنا خوف السيدة من كلام الملاك وأسبابه وأنه أجابها بما طمأنها من جهة نظرها وإتمام بشارته في صفة واحدة باسناده الأمر الى قوة الروح القدس وهنا نريد فحص أهم الأسباب بالتتابع فنقول :

١ — السبب الأول ليظهرها الروح القدس بحلوله عليها من فساد خطية آدم . وخطاياها العقلية .

ولابد للباحث في هذا المجال أن يعرج على بعض المعتقدات المسيحية ليمحصها تمحيصاً ويقابلها بالعقيدة الأرثوذكسية المؤيدة بالكتاب المقدس ليظهر جمالها وتتجلى روعتها مع عظيم بساطتها .

يعتقد بعض المسيحيين أن السيدة العذراء قد حبلت بها أمها حنة من أيها يواقيم بلا دنس الخطية مطلقاً وبعبارة أوضح يخلون مريم من وقت الحبل بها حتى نياحتها من كل خطية أصلية أو فعلية . ويعتقد غيرهم أن مريم كانت خاطئة على الدوام في جوهرها وأفعالها ككل انسان متسلسل من الأيوين الأولين آدم وحواء . ويعتقد الاثوذكسيون غير ذلك . ومأموريي الآن تنفيذ هاتين العقيدتين وتأييد العقيدة الاثوذكسية تقريراً للحق والواقع بدون تحيز أو تعصب .

أولاً — تنفيذ العقيدة الأولى :

من المسلم به إننا نرث فساد الخطية الآدمية من آباءنا لا من أمهاتنا وذلك لأن الوصية أعطيت لآدم قبل أن تخلق حواء — فآدم إذاً هو المسئول مباشرة أمام الله عن كسرها . قال بولس الرسول : « بإنسان واحد دخلت الخطية الى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس إذ اخطأ الجميع » (رو ٥ : ١٢) . وباليديى "أن الأب دوماً يمثل آدم في توريثه فساد الخطية لنسله وتمثل الأم حواء فلا تورث . ومعلوم أن للسيدة العذراء والدأ هو يواقيم أورثها فساد الخطية الآدمية ثم قد بنى كيانتها من اقنوم حنة الخاطيء وعليه تكون مريم قد ولدت من والدين خاطئين قد ورثت من الأول فساد الخطية ومن الثانى فسادها . فكيف يمكن أن يقال والحالة هذه أن السيدة العذراء نفسها قد حبل بها بلا دنس ؟! ان هذا لتعد فظيخ على نواميس الطبع والتورث لم يقل به أحد غير هؤلاء المتفلسفين .

ويؤكد صدق قولى هنا شهادة السيدة العذراء نفسها عن نفسها بلسان الوحى اذ قالت فى (لو ١ : ٤٦ — ٤٧) « تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى » . اذاً هى تعترف أنها تحتاج الى خلاص ابنها وإلهها أسوة ببقية الناس ولا يحتاج الى الخلاص غيرالخاطيء ثم لا خطية فعلية تتأتى ما لم يكن هناك خطية أصلية فى جوهر الخاطيء فكيف يقولون عنها بعد شهادتها أنها قد حبل بها بلا دنس ؟ فان صدق قولهم تكون مريم قد شذت عن القاعدة الآدمية العامة التى لم يشذ عنها إلا واحد فقط وهو الإله المتأنس وحده . لأنه مكتوب الجميع زاعوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله فلو وجد من يشذ عن ذلك لما كان داع لنزول الرب للخلاص بصفته الالهية والانسانية المنزه عن كل خطية . وإكلاً لهذا البحث علينا ان نتصور معترضاً يقول وهل وجد بين الناس من حبل به وولد ومات بلا دنس الخطية ؟ أقول لم يوجد ولن يوجد من ينطبق عليه ذلك الا واحد لا ثانى له وهو رب المجد يسوع المسيح الإله المتأنس . لأنه وحده ولد من امرأة غير متزوجة وحكمة ذلك

ظاهرة وهى لكيلا يرث من أب أرضى فساد الطبيعة الآدمية اذ الأم لا تورثها كما سبق القول ولذا قد دبر الله منذ الأزل واعلن فى كتابه المقدس « ان نسل المرأة (لا الرجل) يسحق رأس الحية (أى إبليس) ونسل المرأة هو المسيح وحده اذ لم يقل أنسال المرأة كأنه يتكلم عن كثيرين (تك ٣ : ١٥) وقيل لداود من ثمرة بطنك (لا صلبك) أقيم على كرسيك من يجلس الى الأبد (مز ١٣٢ : ١١) ومعلوم ان الأولاد كثمرة البطن ينسبون الى الامهات وكثمرة صلب ينسبون الى الآباء فهذه الآية تشير الى ولادة السيد المسيح ملك اليهود من مريم ابنة داود وهى بكر طاهرة وزاد اشعيا هاتين النبوتين إيضاحاً بقوله « هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً » (اش ٧ : ١٤) وكل هذا كان بترتيب إلهى لكى لا يرث السيد المسيح فى ناسوته فساد الخطية الآدمية من أب بشرى مع انه شاركنا فى كل ضيقاتنا ما عدا الخطية .

قال بولس الرسول : «فالله اذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولجل الخطية دان الخطية فى الجسد » (رو ٨ : ٣) ولا يقصد بشبه الجسد أن الرب اتخذ جسداً خيالياً حاشا بل قصد خلو جسده من الخطية بحلولاً تاماً .

ثانياً — تفنيد الاعتقاد الثانى :

القائل ان والدة الإله كانت خاطئة من الحبل بها حتى نياحتها كبقية الناس .
وليسمح لى القارئ قبل التفنيد أن أسمى أهل هذا المعتقد بأهل التفريط كما سميت سابقهم بأهل الإفراط — نستخلص من بحث التفنيد الماضى شيئين :
الأول : حكمة أن يولد الرب من بكر بدون زواج حتى لا يرث فساد الخطية .
ثانياً : ان مريم نفسها كانت خاطئة قبل أن يحل الروح القدس عليها ويطهرها .
لكن ان سلمنا مع هؤلاء القوم أن كيان مريم كان خاطئاً فاسداً حال الحبل الإلهى المقدس بها أفلا يأخذ السيد المسيح من هذا الكيان الفاسد (كزعمهم) كياناً فاسداً فيكون ولو نصف خاطئاً واذ ذاك فلا يصلح ان يكون مخلصاً للخطائين ؟! فماذا عملتم باعتقادكم الخاطئ هذا يا أهل التفريط ؟ ولست أدرى ما سبب عداوتكم لمريم وأنتم تدعون انكم عباد ابنها ونسيتم أن مقام مريم قد ارتفع رفعة مقام ابنها . هل نسيتم أنه هو نفسه له المجد قد أكرمها وخضع لها حال كونه رها ؟ (لو ٢ : ٥١) .

ثالثاً — تأييد العقيدة الأرثوذكسية :

١ — يعتقد الأرثوذكسيون أن مريم قد ولدت خاطئة كبقية الناس وارثة فساد الخلق . الآدمية من يواقيم وكيان الخطية من حنة ومع كونها كانت أقرب الناس الى الطهارة الكاملة والسيرة الفاضلة فى حياتها قبل البشرى مع ذلك لم تخل من الخطية ولكنها اختيرت

ان تكون أما لخالقها وإلهها حل عليها الروح القدس فطهرها من كل فساد الخطية الأدمية وايضاً الخطية الفعلية حتى صارت أقدس من ملائكة النور ومن آدم يوم خلقتة ولذا صارت مريم طاهرة كإل الطهر بعد ان لم تكن كذلك فأخذ السيد المسيح منها ناسوتاً كامل الطهر بلا دنس ولا فساد الخطية الأصلية أو الفعلية اذاً المقطوع من الظاهر طاهر ولا محالة فتأمل عظمة وجمال وروعة العقيدة الأرثوذكسية مع جميل بساطتها وسهولة تعبيرها وقابلها مع غيرها من العقائد المسيحية في هذا الصدد تجدها في غاية الصحة والانطباق على آيات الكتاب المقدس مريحة للضمير فنشكر الله الذى أبقاها سليمة كما هى بلا زيادة ولا نقصان .

٢ — السبب الثانى . ليكون منها وفيها ناسوتاً للمخلص . وفى هذه الحالة يقوم الروح القدس مقام الزوج المفقود في هذا الحبل المقدس كما يقول قانون الإيمان — هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس — فكانت مريم المعدن الطاهر الذى كون منه اقنوم الروح القدس للابن الإلهى ناسوتاً — وقد مهد الله لهذه الحقيقة في العهد القديم فوق النبوة بعمل نبوى آخر اليها . فقد رأى نبوخد نصر فى الحلم جبلا (اشارة الى مريم جبل الطهر بعمل الروح القدس الأول) قطع منه حجر بغير يدين (اشارة الى ولادة الرب المتأنس منها بدون زرع بشر بل بقوة الروح القدس) فضرب وصار (هذا الحجر) جبلا عظيماً ملاً الأرض كلها (والضرب إشارة إلى صلبه) الذى قصد به اليهود استئصال ذكره من الأرض فجاءت النتيجة عكس ما اعتقدوا واذا بموته امتد دينه وصار دين العالم كله كقول هذه النبوة (دا ص ٢)

٣ — السبب الثالث لحلول الروح القدس عليها :

هو وقايتها وحفظها من أن تحرق وتتلأشى بلهب نيران المحيط اللاهوتى الذى يحل في أحشائها أعنى به لاهوت الابن الإلهى الغير محدود — معلوم ان الله مجرداً من الناسوت هو نار آكلة — ومؤكد ان الانسان بازاء هذه النار قش يابس ضعيف وفان — والابن هو الله ومريم انسان — فكيف يمكنها البقاء حال حلول الابن فيها ما لم تصنها وتحفظها قوة الروح القدس ؟!

تاق موسى ان يرى الله وألح في ذلك فاسمع ما قاله الله له : « لا يقدر الانسان ان يرانى ويعيش » (خر ٣٣ : ٢٠) . فان كان الناس أجمعون لا يمكنهم الحياة ان سمعوا الله يتكلم مجرد كلام أو رأوه مجرد رؤيا فما بالك في مريم وهى انسان فقط

كيف يمكنها أن تحيا ولجج اللاهوت حالة بكما لها في أحشائها ؟ أمر محير ومنظر مدهش جداً ولكن مهلاً أيها الحبيب فقد تؤمن ان الله قادر على كل شئ . وهذا حسن وحق لا ريب فيه . فهذه القدرة غير المحدودة صانت مريم من التلاشي حال حلول اللاهوت في أحشائها . وقد مهد الله لعلمه بضعف عقولنا لهذه الحقيقة قبل حدوثها بدليل مادي في التاريخ المقدس . فقد رأى موسى ناراً قوية جداً تشتعل في شجرة في الجبل وهي لا تحترق فتحير موسى كعلامة تهذب بكل حكمة المصريين في أمرها (خر ٣ : ٢ — ٥) .

كانت الشجرة والحال فيها رمزاً الى مريم واللاهوت حال في أحشائها وهي مصنونة محفوظة بقوة الله لم تحترق ولم تتلاش . « فيالعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء . لأن منه وبه وله كل الأشياء » (رو ١١ : ٣٣ ، ٣٦) . وله المجد دائماً أبدياً آمين .

عظة إنجيل قداس خميس العهد الكبير

سر الافخارستيا

هذا هو جسدى . هذا هو دمي الذى للعهد الجديد (مت ٢٦ : ٢٦ ، ٢٨) .

يتكون الانسان من جسد وروح .
فالأول تراه لأنه من الأرض أخذ وما تنبتة يتغذى ويحيا . فكل هذه الأطعمة والأشربة والملابس والمساكن التى يستعملها الانسان لإتمام جسده وتقويته مصدرها الأرض ولا ينفع جسد الانسان غيرها .

والثانية سماوية إلهية لأنها من الله أعطيت وطعامها وغذاؤها من الله من السماء من المصدر الذى أخذت أو أعطيت منه لا يفيدها غذاء غيره . وليس لموضوع عظتنا علاقة بأطعمة الجسد وغذائه بل هو روحى ولا سيما هذا الفصل الذى خصصناه للتكلم عن وجوب تناول المسحيين من جسد الرب ودمه الأقدسين لذلك نريد أن نفصل ما يجب على المؤمنين وبنين فائدة التناول من مائدة الرب المقدسة فنقول : ان الرب يسوع لما وعد تلاميذه بإعطائهم جسده ودمه قال عن نفسه : أنا هو خبز الحياة . آياكم أكلوا من فى البرية وماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الانسان ولا يموت . أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء . ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الأبد . الخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم » (يو ٦ : ٤٨ — ٥١) .

فهنا أوضح السيد له المجد أنه القوت الموافق لطبيعة الروح وقال عن جسده أنه حياة النفوس والأرواح . من يأكلنى يحيا . هذا وفى ليلة آلامه مثل هذا اليوم : « أخذ خبزاً وبارك وكسر وأعطى تلاميذه وقال عن الخبز . خذوا وكلوا . هذا هو جسدى . وعن الكأس . اشربوا منها كلكم . لأن هذا هو دمي الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » (مت ٢٦ : ٢٦ — ٢٨) . ثم أعطى رسله سلطاناً لأن يصنعوه لذكروه كما صنع (لو ٢٢ : ١٩) .

وهكذا اقتضى جوده الإلهى وسخاؤه العميم وحبه العظيم ورحمته بنا نحن الخطاة أن يعطينا ذاته قوتاً وغذاءً خلاصياً تحت شكل الخبز والخمر . وذلك لكى يجربنا ويشجعنا على التناول منها لأنه لو لم يحتجب تحت هذه الأعراض لما استطاع المؤمنين أن يتناولوا جسده

ودمه الأقدسين باعراضهما الظاهرة فكان عمله هذا وقوله في يوحنا ٦ مبرهنا على ان جسده ودمه هو طعام النفوس وغذاء الأرواح ولذلك أصبح من الواجب على كل مؤمن يريد حياة نفسه وتقوية روحه أن يتناول من جسد الرب ودمه ولا يهمل أمر يتوقف عليه اتحاد مع الله وثباته فيه ونموه في الحياة الروحية وإلا فإن من يهمل هذا الواجب لا تكون نفسه حية : « قال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » (يو ٦ : ٥٣) . ومن لا تكون له حياة في نفسه ليس مسيحياً لأن المسيحى يجب أن يكون حياً . قد صار الرسل على الطريقة التى رسمها الرب يسوع نفسه (أع ٢ : ٤٢ ، ٤٣) وسلموا السر الذى استلموه من الرب نفسه كما سلموه لخلفائهم من بعدهم (١ كو ١٠ : ١٧ ، ١١ : ٢٣ — ٢٦) .

وهكذا صار تناول من جسد الرب ودمه فرضاً واجباً على كل المسيحيين . كذلك الكنيسة أمرت بنبيها أن يتقدموا كثيراً الى مناوله جسد الرب ودمه الأقدسين . وقد فرضت عليهم أن يفعلوا ذلك فى الأصوام المفروضة . بعد أن ينقوا ضمائرهم بالتوبة والندامة الحقنة . وغرضها من ذلك اتحادنا بالمسيح الذى قال : « من يأكل جسدى ويشرب دمي يثبت فى وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٦) .

ثم أننا اذا تأملنا تاريخ الكنيسة نجد أن المؤمنين فى القرون الأولى كانوا يتناولون الأسرار المقدسة فى كل قداس كهنة وعلمانيين ونساء وأولاد وأثبت ذلك القديس اكليمنضس وقد جاء فى أوامر الرسل وقوانين المجامع ما يؤيد ذلك حيث قيل . ولتقرب الأسقف أولاً وبعده القسوس والشمامسة وبعدهم سائر الشعب وبعد الذكور تتناول النساء وليرتل الى أن يتناول القربان كافة المؤمنين ولأجل هذا كانوا يقدمون قرابين كافية لمناولة الأكليروس .

ان المسيح أعطانا هذا السر لكى نتناول منه حياة لأنفسنا فواجب أن نتناوله لكى نحيا به . اننا اعضاء فى جسد المسيح السرى وواجب أن نكون والمسيح جسداً واحداً ولا وسيلة لاتحادنا به ولجعلنا واحداً معه . إلا بمناولتنا جسده الأقدس ودمه الكريم . اننا أغصان فى الكرمة يسوع ولا يمكن الغصن أن يثبت وينمو ويثمر إلا اذا كان متحداً بالكرمة ومتأصلاً فيها كذلك نحن لا يمكننا أن ننمو فى الحياة الروحية ونشر فى العمل الصالح إلا بتناولنا من ذاك الغذاء الخلاصى الذى يثبتنا فيها ويوحدنا معه كما قال له المجد (يو ٦ : ٥٦) .

اننا كغرباء ومسافرين فى برية هذا العالم الى الوطن السماوى نحتاج الى قوة تعين ضعفاتنا وتساعدنا على السير فى طريق السماء بدون كلل أو اعياء ولا واسطة لذلك إلا بمناولتنا من

هذا الخبز الحى النازل من السماء إذ يقوى فينا روح الرجاء ويشجعنا على مواصلة السير مع الله كل أيام غربتنا كما كان المن قديماً لشعب الله .

اننا ضعفاء ومن أنفسنا لا نقدر أن نعمل شيئاً ولكننا نستطيع كل شيء بالمسيح الذى يقوينا . ولا يمكن أن نحصل على هذه القوة إلا باتحادنا بجسد الرب ودمه الكريم . اننا لابسون جسد الخطيئة ونعيش فى عالم موضوع فى الشرير وكل أعماله شر والخطيئة محيطة بنا ولا يمكننا أن ننجو من شرورها ولا أن نحفظ أنفسنا من دنس العالم إلا باقترابنا من الرب واشترائنا فى عشائه السرى فإنه يميت فينا الحاسات الشريرة ويصلب إنسان الخطيئة الساكن فينا ويحيى فينا الانسان الجديد فنحيا حياة الإيمان إيمان ابن الله الذى أحبنا وبذل نفسه لأجلنا وأعطانا جسده لنحيا به وهو يحيا فينا . اننا خطاة ولا يمكننا أن ننال مغفرة خطايانا ونحصل على صفح الله عن آثامنا إلا بتناولنا من هذه الويلمة التى أعدها لنا لمغفرة الخطايا وهى تذكّر موته الكفارى . لقد أوضحنا فى وجوب الاشتراك فى سر الافخارستيا . على أن ذلك التقدم (التناول) لا يجب أن يكون اقتحاماً بل يجب أن يستعد له المسيحى استعداداً لأنه مزعم أن يقترب من الرب نفسه ويتناول من مائدته الربيه التى تشهى الملائكة أن تطلع عليها وذلك كما سترى .

أولاً — من العهد القديم :

قد أمر الله موسى قديماً بأن يستعد الشعب ويغسلوا ثيابهم ويتطهروا لليوم الثالث لاعطائهم الشريعة (خر ١٩ : ١٠ ، ١٤ ، ١٥) وأمر بالاستعداد عند تقديم الذبائح التى كانت رمزاً للذبيحة الصليب (خر ٢٩ : ٣ ، ١٨ ، ١٩) وإذا كان الاستعداد واجباً على المتقدمين للشريعة والذبائح الرمزية . أفليس هو بالأولى واجباً على راغبي الاشتراك قبل الاقتراب من الذبيحة الحقيقية الغير دموية . جسد الرب ودمه الأقدسين . بل يجب أن نمسح أنفسنا ونفحص ضمائرنا .

ثانياً — من العهد الجديد :

قال القديس بولس : « ولكن ليمسح الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب ودمه » (١ كو ١١ : ٢٨ ، ٢٩) . وإذا كان الله قضى على كل نفس تتقدم الى الذبيحة قديماً وهى نجسة بقوله : « تقطع تلك النفس من شعبها » (لا ٧ : ٢٠) . فأى عقاب يستحقه الذين يقدمون لمناولة جسد الرب ودمه . بقلوب شريرة وضمائر نجسة انهم بلا شك يأكلون ويشربون دينونة لأنفسهم لأنهم لم يميزوا جسد الرب ودمه . وهذه

الحقيقة ثابتة قد أوضحها الرسول في كلامه على الذين أقدموا على مناولة عشاء الرب بدون استحقاق بقوله : « من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى كثيرون يرقدون » (١ كو ١١ : ٣٠) .

ثالثاً — أن عظمة السر وجلال واضعه الرهيب :

يقضيان هذا الاستعداد ويستلزمان تهيئة النفس واعدادها له وفجبتها فحماً دقيقاً قبل الاقتراب منه . وإلا أى إنسان يستطيع الاقتراب من مائدة الملك بأثواب رثة وأيدٍ قذرة ؟ وهل يجزئ إنسان مهما كان عظيماً على المثل بين يدي الملك فضلاً عن الجلوس على مائدته الملوكة إذا كان خائناً ؟ إذاً كيف يجسر المؤمن على الاقتراب من الملك العظيم « الذى هو نار آكلة » (عب ١٢ : ٢٩) . « ومن منا يسكن فى وقائد أبدية » (اش ٣٣ : ١٤) . بل كيف يجسر على الإشتراك فى مائدة الرب الرهيبه وهو مدنس النفس والجسد ؟ إن من يتقدم أن يأكل جسد الرب ودمه وهو عارف بنفسه أنه على خطأ مميت أو دون مهابة واحترام كما اذا تقدم وهو سكران أو ظالم مثل الكورنثوسيين فانه يذنب الى جسد الرب ودمه ذنب من قتل المسيح وأراق دمه كما قال ثاوفيلاصكوص ، وحكمه فى ذلك حكم يهوذا واليهود من حيث الخيانة والاهانة كما قال داوديريطوس .

قال القديس باسيليوس : كما أن من يجلس على مائدة الملك وهو مضجر العداء والبغض له يسخطه ويفضبه كذلك من يتقدم الى مائدة المسيح وهو من أعدائه فانه يهين المسيح لا بل إهانة مثل هذه أكبر وأفظع بكثير لأنه يأكل جسد المسيح نفسه . أن السيد المسيح فى مثل عرس ابن الملك قال : « فلما دخل الملك لينظر المتكئين رأى هناك إنساناً لم يكن لابسا لباس العرس . فقال له : يا صاحب كيف دخلت الى هنا وليس عليك لباس العرس . فسكت . حينئذ قال الملك للخدام اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه فى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الاسنان » (مت ٢٢ : ١١ — ١٣) .

هكذا يعامل الله أولئك الذين يقدمون على مناولة عشاءه السرى وهم ملوثون بالخطايا . أو هم على حال منافية لقداسة الله « القداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب » (عب ١٢ : ١٤) .

رابعاً — ان مفاعيل السر الخلاصية تحتم علينا هذا الاستعداد :

قال الله لموسى : « كل من مس لحم الذبيحة يتقدس » (لا ٦ : ٢٧) كذلك الذين يتناولون جسد الرب ودمه باستحقاق يتطهرون ويتقدسون بل يحيون حياة أبدية .

والاستعداد لاقتبالنا هذا السر المقدس يجعلنا نربح هذه البركات ونجنى هذه الأثمار الخلاصية ودمه يسبب لنا خطراً عظيماً ويجلب علينا ضرراً كبيراً إذ نجزم في جسد الرب ودمه . قال أحد الآباء : فكما أن طعام الجسد يقويه وينمي في حالة الصحة ويضر به في حالة المرض . هكذا السماوى الذى هو جسد ودم مخلصنا يسوع المسيح يعطى قوة وحياة أبدية للذين يتناولونه باستحقاق ويكون نأراً ملتته للذين يتناولونه بغير استحقاق . أى الذين لم ينقوا ضمائرهم بالاعتراف ولم يستعدوا الاستعداد اللازم قبل أن يتقدموا إليه .

وقال يوحنا ذهبي الفم : أريد أيها الاخوة أن أذكركم بما قلته لكم مراراً كثيرة عن الوقت الذى نتناول فيه من أسرار المسيح المقدسة فاني حين أراكم في المحلل (تهاون) وعدم مخالفة تستوجب النوح أبكى وأقول في ذاتي أعل هؤلاء غير عارفين من هو الذى يقفون أمامه ولم لا يتأملون في قوة السر ؟ وهكذا احق واستاء بغير ارادتي ومن ضيقة النفس أحاول الخروج من وسطكم وإذا نحت أحدكم لا يكثر أبداً لكلامى بل يتقدم على كآنى ظلمته يا له من عجب ان ظالميك والآخذين ما لكم لا تغضبون عليهم بمقدار غضبكم على أنا الذى أريد خلاصكم أنا خائف عليكم ومرتعداً جداً لعلمى بالمجازاة التى تصير لكم من الله عوض تهاونكم بهذا السر العظيم . يا ترى هل تعلمون ما هو الذى تريدون أن تتناولوا منه ؟ هو الجسد المقدس الذى لله الكلمة ودمه الذى بذله عن خلاصنا هذا الذى اذا تناول منه أحد بغير استحقاق يكون له عقوبة ومحقا كما كان يهوذا الذى أسلم الرب بعد أن تناول منه بغير استحقاق (عظة ١١ على ثلاث البصخة) . وقال أيضاً : كما سلم يهوذا المسيح وأهانته هكذا يهينه المتناولون جسده بغير استحقاق .

والقديس كبريانوس : أخبر أن بعضا من الذين أكلوا ذبائح الأوثان ثم تقدموا الى الأفخارستيا اغتالهم يد النعمة الإلهية فمنهم من بلى بالخرس ومنهم من أكل لسانه الى ذلك من البلايا والمصائب .

والقديس يوحنا ذهبي الفم : وكثيرون كانوا يعذبون من الشياطين لأجل ذلك فعلى المسيحي اذا أن يهوى نفسه ويصلح قلبه : « لأن الرب مزعم أن يصنع الفصح مع تلاميذه عنده » (مت ٢٦ : ٢٨) . فاستعد للقاء الرب إلهك ولا تنسى أن الله يديننا لا عن الأمور التى نرتكبها فقط بل عن الفرص التى نهملها . فأهل اليسار يدانون يوم الحساب ليس لأنهم ارتكبوا جرائم بل لأنهم أخفوا وزناهم وما تاجروا بها متمتعين عن فعل أفعال الرحمة والشفقة والخدمة والمحبة فامتحن نفسك بهذا الاعتبار أيضاً . « وتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشاً قلبك من ضمير شرير ومغتسل جسداً بما نقى » (عب ١٠ : ٢٢) . ولربنا المجد والإكرام والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

الاحتفال بتذكّار الصلب يوم الجمعة الكبيرة

جراح المسيح

مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا (اش ٥٣ : ٥) .

تحتفل الكنيسة في هذا اليوم احتفالاً جامعاً لكل علامات الهيبة والوقار ، والخشوع والانكسار ، لأن اليوم الذى سيق فيه يسوع حمل الله الوديع « كشاة الى الذبح وكنعجة صامطة أمام جازيها فلم يفتح فاه » (اش ٥٣ : ٧) .

وقد تسلمت الكنيسة الاحتفال به سنوياً من الرسل أنفسهم الذين أمروا بحفظه وصومه بزهّد وتشف (دمشق ب ١٨ ، ٣١) . احتمل الرب يسوع فوق الصليب كل غضب الله ودينوته للبشر الخطاة . وعلى كتفيه حمل كل آثام الجنس البشرى وشروهم ونجاساتهم . بل أحنى رأسه تحت لعنة التاموس التى حملها عن آدم ونسله . والتاموس يحكم بلعنة كل من يعلق على خشبة . لم يقل أحد ولن يستطيع أحد أن يقول أن فى حياة المسيح ما يستوجب مثل هذه الدينونة الرهيبة ومثل هذا القضاء الصارم . لقد ارتضى أن يحمل لعنة لا يستحقها فهو قدوس بلا شر ولا دنس وقد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات . فلماذا اذن قد دين المسيح كخاطيء . وصلب كمذنب . وعلق على خشبة اللعنة والعار ؟

قال أحد الأفاضل : لم يصلب السيد لجرمة اتاها . كلا . لقد كان بريئاً . فالقوة الرومانية شهدت على لسان قائد المئة « بالحق كان هذا الانسان ابن الله » (مت ٢٧ : ٥٤) . ويلاطس شهد قائلاً : انى لا أجد علة فى هذا الانسان وزوجة يلاطس ارسلت له تقول : « إياك وهذا البار لأنى تأملت اليوم كثيراً فى حلم من أجله » (مت ٢٧ : ١٩) . ويهوذا قال : أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً . ويسوع المسيح نفسه قال مرة : « من منكم يكتنئ على خطية » (يو ٨ : ٤٦) . فلماذا صُلب اذن ؟ الجنود الرومان صلبوه إتماماً للواجب المفروض عليهم . يلاطس صلبه جنباً : اليهود اسلموه حسداً . يهوذا باعه طمعاً . لكن لا الواجب ولا الجبن ولا الحسد ولا الطمع كان السبب الرئيسى لصلبه . لكنه « مجروح لأجل معاصينا . مسحوق لأجل آثامنا » (اش ٥٣ : ٥) .

حقاً ان السيد المسيح قد تحمل آلام جميع الجراح الجسدية . وهذه الآلام التى تحملها

والمسيبة عن الجراح بأنواعها المختلفة لم تذكر فقط في العهد الجديد بل إن العهد القديم كان قد سبق أيضاً فتنبأ عن كل منها .

أول هذه الأنواع من الجراح هي جراح السحق :

ذكر النبي اشعيا في الثالث والخمسين والعدد الخامس حيث يقول « وهو مجروح لأجل معاصينا » ويقول أيضاً في العدد العاشر « أما الرب فسر بأن يسحقه » والبشير متى في العدد السابع والستين من الأوصاح السادس والعشرين من إنجيله المقدس يدون لنا ما يأتي إتماماً لذلك « حينئذ بصقوا في وجهه ولكموه وآخرون لطموه » والمعنى الأصل للكلمة (لكم) هو ان يضرم الرجل يده كمن يستعد للملاكمة ويستعملها بكل قواه حتى وبصورة وحشية كما هو معروف عند المصارعين . وقد أشار اشعيا النبي الى هذا المنظر — منظر الوجه المروض الخفيف — بقوله : « كان منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل وصورته أكثر من بنى آدم » (اش ٥٢ : ١٤) .

ولم يجرح المسيح لذنب اقترفه أو لعمل قام به ، كلا ، بل هو (مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا) .

والنوع الثاني من الجراح التي احتمل المسيح لأجلنا هي جراح التمزيق :

التي تنبأ عنها المزمور ١٢٩ والعدد ١ — ٣ (كثيراً ما ضايقوني منذ شباني ليقبل إسرائيل كثيراً ما ضايقوني منذ شباني لكن لم يقدرُوا عليّ . على ظهري حرث الحراث طولوا اتلامهم) . وقد دون البشير متى إتمام هذا الكلام في العدد السادس والعشرين من الأوصاح السابع والعشرين من بشارته حيث قال : « حينئذ أطلق لهم باراباس . أما يسوع فجلبه وأسلمه ليصلب » لم يكن الجلد في عهد ييلاطس بالسوط ذي الأطراف المتشعبة لكنه كان من قطعة واحدة ينتهي طرفها بطوق من المعدن أو العاج . فإذا ما قبض عليه ذو العضلات المفتولة وسلطه على ظهر ضحيته العاري أربعين جلدة الا واحدة (أى ٣٩ مرة) حفره بشكل قبيح وحرثه الى اثلام ظاهرة فجرد اللحم من الاضلاع والفقرات بصورة تقشعر لها الأبدان ، وقد احتمل ذلك الذي كان بدون خطية تلك الآلام المبرحة متمماً بذلك ما قيل عن فم النبي القائل : « وهو مجروح لأجل معاصينا »

أما النوع الثالث من تلك الجراح التي احتمل يسوع آلامها لأجلنا هي جراح الحرق :

فقد كانت من النوع العميق التي تحدث عادة نتيجة لاستعمال آلة حادة جارحة . عندما نزلت لعنة الله على الانسان الخاطيء إستعمل الشوك رمزاً لتلك اللعنة ، كما نقرأ في

سفر التكوين (اصحاح ٣ عدد ١٧ ، ١٨) « ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، شوكاً وحسكاً تنبت لك » وتظهر حقيقة هذا الرمز عندما أنشد النبي أشعياء في الأصحاح الخامس والخمسين والعدد الثالث عشر مشيراً بذلك الى ملك المسيا — الرب يسوع المسيح — عندما يصير عالمنا هذا خالياً من الخطية . « عوضاً عن الشوك ينبت سرو وعوضاً عن القريس يطلع آس » . فلذلك لقد كان من اللائق جداً أن يتّوجّ جبين السيد المسيح برمز الخطية وهو يتألم على الصليب من أجل خطايا البشرية الساقطة . وقد سجل البشير متى (ص ٢٧ ، ٢٩) إكمال ذلك حين قال — وضفروا أكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه — وفي العدد الثلاثين يقول أيضاً « وأخذوا القصبه وضربوه على رأسه » . وبذلك ادخلوا رؤوس الأشواك الحادة أعمق فاعمق في جبينه ، فسالت تلك الدماء الطاهرة من تلك الثقوب المؤلمة ! فهل من عجب اذن ان يصّر أشعياء النبي قائلاً : لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه ... نسترع عنه وجوهنا كان منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل وصورته أكثر من بنى آدم .

أما النوع الرابع من الجراح التي آلمت السيد المسيح لأجلنا هي جراح الثقب :

المذكورة في مزمو ٢٢ : ١٦ « لأنه قد احاطت بي كلاب جماعة من الأشرار اكتفتنى . ثقبوا يديّ ورجليّ » . ونرى ان النبوة عنه قد كملت تماماً في عبارة جليلة بانجيل معلمنا متى (مت ٢٧ : ٣٥) و « صلبوه » خلافاً للعادة المتبعة في ذلك العهد ان تربط يدا ورجلا المصلوب الى الخشبة ، نلاحظ انه لشدة غضب الجماهير قد سمّرت يدا ورجلا يسوع على الخشبة .

ولا شك بأن مؤلف الترانيم اسحق واتس كان قد شعر بشدة صدمة آلام المسيح عندما كتب ما ترجمته :

من رأسه وكفـه	وجنبه وقدمـه
سالت ينابيع الـولا	والحزن أيضاً مع دمـه
أى دم ذاك جرى	كدمه الزكى الثمين
وأى تاج مثل تاج	الشوك أحيا العالمين

والنوع الخامس من تلك الجراح التي آلمت السيد المسيح لأجلنا هي جراح الطعن .

المذكورة في نبوة زكريا الاصحاح الثاني عشر والعدد العاشر حيث نقراً — فينظرون الى الذى طعنوه — هذا هو الجرح الناتج عن آلة حادة ماضية ، وقد تمت هذه النبوة بمخاضها كما هو مذكور في انجيل يوحنا ص ١٩ عدد ٣٣ — ٣٤ « وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم

يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات لكن واحد من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء « أما في اللغة اليونانية الأصلية فيصّرَح قائلاً تدفق دم وماء ولعله يظهر بان هنالك تناقضاً بهذا الخصوص لعلم الحياة ، فالدم لا يتدفق من شرايين من فارق الحياة كما هو معروف لدى الجميع ، لأن تدفق الدم يحتاج الى ضرب النبض من القلب ، بينما يؤكد لنا الكتاب المقدس أنه قد مات وبلى بعد ذلك عبارة « خرج دم وماء إلا أن حقيقة الأمر هي كما يلي : للقلب غلاف مطاط يعرف بالتامور أو غلاف القلب وهو قابل للتوسع كثيراً فإذا ما تمزق القلب لسبب من الأسباب تدفق الدم الى هذا الغلاف ، وإذا حدث طعن هذا الغلاف من أسفل تدفق الدم بقوة الجاذبية .

وقد مات يسوع على هذه الكيفية لاجلنا نحن ولأجل خطايانا بقلب كسير مما يشرح لنا ذلك المزمور في المزمور التاسع والستين ويذكر لنا بأسهاب وقائع آلام السيد المسيح ، ففي العدد العشرين يقول — العار قد كسر قلبي فمرضت .

أيها القارئ الكريم ها قد وضعنا أمامك جراح الجسد بأنواعها وكيف تمت باجمعها . فهي جراح السحق ، وجراح التمزيق ، وجراح الخرق ، وجراح الثقب ، وجراح الطعن ، وقد قاسى يسوع آلام كل من هذه الجراح من أجل ومن أجلك . « مجروح لأجل معاصينا » ولكن من الضروري ان نقبل دمه المسفوك لأجلنا حتى نطهر من خطايانا إذ أنه برش دمه المحيي على قلوبنا فقط نحصل على جدة الحياة في المسيح يسوع . عندما نخبر بأن دم المسيح قد غمر قلوبنا وان الروح القدس قد أصبح في داخلنا عندئذ لا تبقى فينا الرغبة للاقتداء حتى وبأفضل الناس ، بل اننا سنسمح للسيد المسيح أن يغيّر شكلنا الى أمثال حياته الطاهرة النقية ، ويفعل بنا ما يشاء .

ما أحوجنا إلى التأمل في جراح المسيح وصلبه وموته إنه تأمل جدير بالتقدير إذ يوحى الى النفس بأسمى الإيماءات الروحية ، وبوطد الصلة بيننا وبين من أحبنا الى المنتهى محبة أبدية خالدة . (أر ٣١ : ٣) . وتوطيد الصلة بيننا وبين فادينا الحبيب معناه دوام ثباتنا فيه « كأغصان في الكرمة الحقيقية » (يو ١٥ : ٥) . لضمان الحيوية والازدهار والثمر (يو ١٥ : ١٦) . وفي جراح السيد المسيح له المجد مجال عجيب للتأمل ، يتيه فيه العقل البشرى « يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء » (رو ١١ : ٣٣) .

إن كل مواقف الفادى عجيبة ويدعى اسمه عجيبة (اش ٩ : ٦) . « ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق الى الذبح وكنعجة صامته أمام جازنها فلم يفتح فاه »

(اش ٥٣ : ٧) . وفي جراحه وصلبه له المجد مجال أعجب للتأمل ، هكذا شهد اللص
اليمن موحناً زميله المجدف « أما تخاف الله ... أما نحن فبعدل قد جوزنا وأما هو فلم يعمل
شيئاً في غير محله » (لو ٢٣ : ٤٠ ، ٤١) كما شهد هكذا الوالى نفسه « وأى شر
فعل » ؟ (لو ٢٣ : ٢٢ ، ٤١) لقد نصت الشريعة على أن « المعلق ملعون من الله »
(تث ٢١ : ٢٢ ، ٢٣) وها هوذا مصدر النعم والبركات (تك ٢٢ : ١٨ ، أع ٣ :
٢٦) يقبل اللعنة بأن يعلق على خشبة « وإذ وجد في الهيئة كأنسان وضع نفسه وأطاع
حتى الموت موت الصليب » (في ٢ : ٨) .

لقد شرب كأس الآلام حتى الثالثة (أش ٥٠ : ٦) . ونخم آلامه بالموت على الصليب
وقال « قد أكمل » ذلك لأنه الطبيب السماوى لعلاج البشرية وقد عرف أن دواءنا في آلامه
(يو ١٨ : ١١) . « لكن أحراننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبنه مصابا مضروباً من
الله . ومذلولا وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا . تأديب سلامنا عليه ونحوه
شفينا » (اش ٥٣ : ٤ — ٥) . فجراحه وصلبه كان ضروريا لوضع الحد النهائي
لأسقامنا ولتحريرنا من أوجاعنا « والرب سر أن يسحقه بالحزن » (أش ٥٣ : ١٠) هو
الصخر الكامل صنيعه (تث ٣٢ : ٤) ، « هو الحجر الذى رفضه البنائون ... من قبل
الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا » (مز ١١٨ : ٢٢ ، ٢٣) .

أما موت المسيح فهو روح الفداء : « إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلنا تطول أيامه
ومسرة الرب بيده تنجح » (اش ٥٣ : ١٠) . نعم إنه في ذاته غير مستوجب الموت :
« لأن النفس التى تخطئ هي تموت » (حز ١٨ : ٤) « وأجرة الخطية هي موت » (رو
٦ : ٢٣) « أما قدوس القديسين » (دا ٩ : ٢٤) « فانه لم يخطئ إنه ضرب من أجل
ذنوب شعبى وجعل مع الأشرار قبره ومع غنى عند موته . على أنه لم يعمل ظلما ولم يكن في
فيه غش » (اش ٥٣ : ٨ ، ٩) .

بهذه الروح الإيمانية يجب أن نتأمل جراح المسيح وصلبه وموته وقيامته « وحينئذ تتجدد
نفوسنا » (أف ٤ : ٢٣) فننفض عنا غبار الاهمال والتواني والكسل . وننشط لعمل
الخير لمجد اسم إلهنا القادى الحبيب ، هاتفين مع لسان العطر البلبل الصباح الكنسى بولس
الرسول : « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح بيا فنى » (غل ٢ : ٢٠) .
وللهنا العز والسجود والشكر في كنيسته الى آباد الدهور كلها آمين .

عظة إنجيل قداس عيد القيامة المجيد

قيامه يسوع المسيح

ليس هو ههنا لأنه قام (مت ٢٨ : ٦) .

اليوم يحيى المسيحي أخاه المسيحي قائلاً : المسيح قام هاتين الكلمتين خلاصات الأمان والآمال البشرية مركزة ، ويجد فيها مفتاح كل موسيقى وتطلع كل نشيد سماوى . ان قصة قيامة السيد المسيح مع قصتي ميلاده وصلبه لمى الأعمدة الثلاثة التى تتركز عليها المسيحية حيث ان الواحدة منها لا تقف بالفرص دون الأثنين الآخرين . واذ نحتفل بعيد القيامة المجيد فإنما نعلن مجد المسيحية وفوائدها تتمثل فى خدمة السيد المسيح له المجد من بدايتها الى نهايتها .

ان الملاك الذى بشر النسوة بقيامه المسيح قائلاً : ليس هو ههنا لأنه قام كما قال كانت رسالة لعالم مضروب بالخطية والأجزان والهموم والشقاء ، فقبل قيامة المسيح لم يكن سلام حقيقى على الأرض ولا فرح حقيقى ولكن بقيامته حصل العالم على السلام الكامل إذ قال : سلام لكم .

لم يدرك اليهود السر الخفى وراء هذا الجسد النحيل ، ولم يحسبوا حساب تلك القوة الخارقة ، التى بهرت عيونهم وحيرت أفكارهم بضعة سنين ، وظنوا أنهم تخلصوا من خصم عنيد ومنافس خطير ، فحتموا وسدوه القبر الجديد ، ووضعوا غليه حراسة مشددة من الجند مدججين بالسلاح . بعد ان ختموه بخاتم الوالى الرومانى ، وكأنهم بذلك ضعنوا بقاء الميت ملفوف فى الأكفان حيث لن ترى عيناه النور . انهم حسبوا لقيامه المسيح الف حساب ، وسلحوا أنفسهم بكل سلاح ، لعلهم يحولون دونها أو يمنعونها ، ولكن خاب ظنهم ، وانتصر يسوع رغم تدبيرهم ، وها هو القبر الفارغ ، والحجر الكبير المدحرج ، والأختام المهشمة ، أدلة ناطقة بانتصاره على الموت ، وكيف يبقى الحى بين الأموات ؟ فعيد القيامة هو عيد إنتصار الحياة على الموت .. أين شوكتك ايها الموت ؟ أين غلبتك أيها القبر ؟ .. وايتها الهاوية .. لقد ابتلع الموت فى الغلبة (هو ١٣ : ١٤) ، (١ كو ١٥ : ٥٥) .

لقد قام المسيح من القبر « ناقضاً آلام الموت ، إذ لم يكن ممكناً ان يمسكه الموت » (أع ٢ : ٢٤) . لقد دخل المسيح الى القبر ، كأنه ميت وهو الحى ، ليحارب الموت فى عرينه ، فيصرعه ، ويبطل قوته ، وينزع شوخته ويبطل سمه .. وكيف يموت من قال عن

نفسه : « أنا هو القيامة والحياة . من آمن بى ولو مات فسيحيا ، وكل من كان حياً وآمن بى فلن يموت الى الأبد » (يو ١١ : ٢٥ - ٢٦) . المسيح قام ... فليس له فى القبر جسد أو رفات ، وإنما قبره فارغ وقد تحول الى مذبذب تقدم فيه وعليه القرائن ، ومنه يبرز النور فى كل عام ، فى السبت الذى يعرف بالسبت الكبير ، وسبت النور ، وسبت الفرح ... قبر المسيح قبر ليس فيه عظام ، وليس فيه هوان الفناء للانسانية ، بل أشرق ويشرق فيه نور ، ويتجدد منه الأمل والرجاء والإيمان بقيامة الأموات ، وحياة الدهر الآتى .

سأل زعيم هندى أحد خدام الدين المسيحى ، وقال له : يا للعجب منكم أيها المسيحيون . إننا عندما نزر قبر زعيمنا نعلم أن جسده بقى فى القبر . أما أنتم فيا للأسف ، ماذا تجدون ؟ لا تجدون إلا قبراً فارغاً ! فاجابه خدام الدين قائلا : نعم . وهذا هو سر انتصارنا وافتخارنا ، ان مسيحنا حى ! فوهبنا الحياة والمجد . فالقبر الفارغ يحدثنا أن المسيح حى . حى فى شخصه . حى فى رسالته . حى فى اتباعه . ثم يحدثنا القبر الفارغ ، عن سلطان المسيح ، على الموت ، لأنه سحق شوكته لأن المسيح أثار لنا الحياة والخلود .

والذين يترددون على قبر المسيح فى بيت المقدس لا يذهبون للترك برفاته ، بل يقفون أمام قبره المجد فى صمت ووقار وهم يباركون القبر الفارغ الذى لا توجد بداخله سوى ذكريات النصر المثيرة ولو كانوا يريدون رؤية أكفان أو عظام . لانبرتهم الملائكة وقطعت أصواتها الطريق عليهم كما فعلت بالمرمات حين قالت لهن : لماذا تطلبين الحى بين الأموات ... ؟ ليس هو ههنا ... ؟ لكنه قام ... ! حقاً قام ... ! قال الوحي الإلهى على فم النبى أشعيا عن المسيح : « إياه تترجى الأمم ويكون قبره ممجداً » (أش ١١ : ١٠) .

ولم تكن قيامة يسوع مباغته للقوم ولا مفاجأة للتلاميذ ، فإن السيد قد تحدث مراراً عن قيامته ، وأنه فى اليوم الثالث يقوم ، وقال لتلاميذه وهو فى طريقه الى الصليب « ولكن بعد قيامى أسبقكم الى الجليل » (مت ٢٦ : ٣٢) . كان فى تصورهم أنهم تمموا ما أرادوا ، وأنهم نفذوا ما رسموا ، ولكنهم كانوا واهمين ، فان ما فعلوا كان ليتم ما جاء فى كتب الأنبياء . فهيهات أن يضم القبر ذاك الذى بيده نسمة كل حى . وبيده سلطان الحياة والموت ، وبه نخيا ونتحرك ونوجد . وفيه كانت الحياة . وهيهات أن يبقى القبر على رب الحياة ، فانه أسلم ذاته لهم بإرادته ، لأنه ليس لهم سلطان عليه لو لم يعطوه من السماء ، ولهذا فانهم لم يفيقوا من نشووتهم حتى تعثروا فى الشرك الذى نصبوه ، واقتضحت خطتهم ، وفشلت محاولتهم . وقام يسوع . وما هى إلا ساعات ، حتى أشرق شمس البر ، أكثر لمعاناً وأشد توهجاً ، فبددت أمامها جيوش الظلام ، وسطعت بأنوارها على الكون الكئيب

فجددت الأمل وأحييت الرجاء ونشرت البهجة والفرح ، وبعثت الدفء في القلوب الواجفة ، وشددت الأيدي المسترخية ، وازرّوى عن الألبار دعاة الهزيمة والمتآمرون على القدوس البار ، وباتوا في فشل وتحقيق الانتصار . وقد حصل العالم على الفرح الحقيقي في شخص التلاميذ الذين فرحوا إذ رأوا الرب . وقد تمت نبوة داود النبي عن هذا الفرح العظيم حيث قال : هذا هو اليوم الذي صنعه الرب فلنفرح وننتهج فيه . وهذا هو شعور بولس الرسول حين قال : « افرحوا بالرب في كل حين » إتماماً لوعده السيد المسيح قبل صليبه وموته سأراكم فنفرح قلوبكم . فياله من رجاء وفرح جديد يملأ قلوبنا وهو قيامة مخلصنا من بين الأموات كمبرون لقيامتنا . « لأنه ان كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته » .

مات يسوع فانقبضت نفوس تلاميذه ومحبيه ، وسر اليهود وأعدائهم ولما قام فرح أولئك وحزن هؤلاء . ونحن اليوم في كناستنا نعيد تمثيل هذه الحادثة . ليتجدد تأثيرها فينا . فما أعظم الفرق بين أمس واليوم . بالأمس كان يسوع ميتاً ، واليوم حي ويحيى الأموات . بالأمس توارى الرسل عن النظر خوفاً ، واليوم تراه منطلقين الى القبر . أمس هربوا وتبددوا ، واليوم أسرعوا ليجتمعوا ويشرحوا قائلين : يسوع قد قام .

مات المسيح ولم يمكث في القبر سوى ثلاثة أيام وقام بقوة لاهوته . قام بسلطانه الإلهي . وبقيامته قهر الموت . وغلب الجحيم وأظهر للعالم أجمع أنه وحده ابن الله . وانه القيامة والحياة .

يقول القديس يعقوب السروجي : كان قبر مخلصنا في بستان . وقد فقد آدم سعادته في الجنة ، وهلك بين الشجر . فدخل المخلص الجنة وطلبه هناك . حقاً لم يكن مخلصنا في قبره ميتاً كباقي الأموات (لأنه حي باللاهوت) ولكنه كان قائداً عظيماً يحارب ويقاوم فقد صارع في موته كل جيوش الظلام . وبرهنت قيامته على أنه صرعههم وغلبهم : إذ جردت الرياضات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه .

١ — قيامة المسيح أماتت الخطية التي ملكت على العالم .

٢ — قيامة المسيح أبادت سلطة الشيطان وانقذتنا من أسره .

٣ — قيامة المسيح كسرت شوكة الموت .

٤ — قيامة المسيح علمتنا أن لنا وراء القبر حياة أبدية .

أنظر إليهم وقد تغيروا تغييراً كبيراً من جناء الى أشداء ، وذلك بفعل قيامة المخلص التي أكدت لهم الحياة الأبدية . ان ملكنا حي فنحن فيه أنحياء . لا نفكر فيه كالكث بل كحي لأن الموت ساد عليه لحظة باختياره وقد قام بقوة ، وسيبقى دائماً حياً ليحيينا . قال الكتاب

المقدس : « ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب » (يو ٢٠ : ٢٠) . فرحوا إذ رأوا مخلصهم قائماً بعد موته ونحن نفرح معكم يا تلاميذ الرب . ويفرح معكم جميع شعب المسيح الذين رأوه بالآيمان . وهوذا قد صار ينبوعاً لحياة الأبد . ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب . فلنفرح معهم ، ولنلبس الزينة الفاخرة الروحية ولنجد بكل قلوبنا قيامة فادينا الكريم . ولكن فرحنا لا يكون كاملاً إلا اذا فرحنا بقيامتنا معه . فإن كان قد قام فلنقم معه . المسيح مات عنا فمئتنا معه . وهكذا نقوم معه « لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته . نصير أيضاً بقيامته » (رو ٦ : ٥) . المتعلقون بالعالم لم يقوموا بعد مع المسيح . فإن النسوة احتزن قائلات : من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر . وأنت أيها الخاطيء على هذا النوال قد وضعت أحجاراً عدة فوقك حتى تمنعك من أن تقوم من شرك . حبذا لو بذلت جهدك ودحرجت هذه الأحجار عنك فتقوم حياة جديدة .

صديقك الذى يغريك ويفقدك للشر هو حجر عثرة فى سبيل خلاصك فدحرجه عنك حتى تستطيع ان تحيا حراً . مالك الذى ملك عليك وعلى قلبك وعقلك ، دحرج عنك محبته لترث الحياة الأبدية . روح الجسد الذى كدر عليك صفوك ، دحرج حجره عنك لتستطيع ان تحب جميع الناس وهم أيضاً ينجونك . قيل عن المسيح قد قام يا له من قيام . وفرح المسيح الكامل ان يقال عنك أيها الخاطيء أنك قد قمت . « استيقظ أيها النائم وقم من بين الأموات فيضى لك المسيح » (أف ٥ : ١٤) . ان يوم القيامة يوم فرح . ولكنه ليس للجميع . فرح للمؤمنين الذين قاموا مع المسيح ، وحزن للذين لم يقوموا بعد . قام المسيح ، ولما قام حطم كل كبياء اليهود ، واستطاع أن يعيد الحق الى سلطته . واذ بتعليمه ترجع مرة أخرى ، واذ بصليب المسيح يصبح عاراً لليهود الى الأبد . وإذ بالنور يشرق بعد الظلام . واذ بالذين ظنوا ان المسيح قد مات ، يعرفون أنه حي لا يموت . كان المسيح فى قبره . أقوى منهم جميعاً ، وهم يتحركون تحت الشمس . كان فى قبره حيا ، وكانوا هم فى حياتهم أمواتا . كانوا موتى بالحياة ، وكان هو حيا فى الموت . لم يكن للموت سلطانا عليه ، بل بالعكس كان له سلطان على الموت .

أليس هو الذى أقام الأموات أكثر من مرة ؟؟ وبقيامة المسيح انتصر الحق على الباطل . وبقيامة المسيح ظهر للناس ان الحق . وان بدا منهزماً فى أول الأمر . إلا أنه لابد أن ينتصر أخيراً وان الجولة الأخيرة هى الهامة فى المعركة كلها . فقد يبدو ان الباطل قد يرتفع الى حين ولكنه لابد أن ينزل من كبريائه .

قام المسيح قيامة علنية . شهد لها الجميع . رآها الرسل والتلاميذ والنسوة والحراس وجمهور غفير من الناس . وحتى تكون قيامتنا ظاهرة وعلنية لا يكفى أن نصنع الصلح فى داخلنا ودخل البيت والأسرة فقط . بل نكون قدوة صالحة للآخرين وهذا ما يعنيه

السيد المسيح بقوله : « ليضىء نوركم أمام الناس ليروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا آبائكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ١٦) .

يجب أن نكون ابناء للمسيح فى البيت . فى الحقل . فى المكتب . فى المتجر . وفى السوق . وفى كل مكان . ان يكون المسيح معنا اينما كنا ويبقى فينا اينما نسير . لا نستحى به أمام الناس حتى لا يتركنا أمام الله .

قال أحد الأتقياء : ان الحياة المسيحية هى البرهان المحسوس على المسيح الحى . فهل إيمانك بالرب المقام غير وطهر حياتك ؟ هل العالم يرى المسيح فى حياتك اليومية ؟ وهل سيرتك وتصرفاتك دليل قاطع على انك تؤمن بمسيح حى وهو يحيا فيك ؟ إسأل نفسك .

يسوع المسيح فى مثل هذا اليوم قام حقا . قام منتصراً ، قام فائزاً بالظفر بعد حرب وصدام مع ابليس عدونا اللدود . يسوع المسيح الذى سفك دمه الثمين على الصليب فى الجلجثة هو الذى يمنح المؤمنين كل البركات وقوة التقديس واشترى الكنيسة واقتناها بدمه وصار رأس الكنيسة ومكننا من حرية دخولنا الى الأقداس . فيجب على كل مؤمن أن يقدم تسييحاته ليسوع الذى احبنا وغسلنا من خطايانا وطهرنا من كل خطية بعد ان كنا قبلاً أعداء فى الفكر والقول والآن صولحنا مع الله وبموت يسوع وقيامته تبررنا وأعطانا سلامه الذى لا يتزعزع .

إننا لا ننادى بميت مدفون تحت الثرى مغلوبا من الموت كآى بشرى ، بل ننادى ونؤمن برسول خلاصنا وإلهنا الذى قال : « أنا هو الأول والآخر . والحى وكنت ميتاً وها أنا حى إلى أبد الأبدى » (رؤ ١ : ١٧ ، ١٨) . المسيح قام حقا قام . انه سر حياة المسيحية ، وقوة المسيحيين ، ورجاء المؤمنين ، وجهاد الشهداء ، وثبات الكنيسة مدى الأجيال لأنها لا تقوم على مسيح مات وقبر ، بل على مسيح حى ، « نلماتا فى الجسد ولكن محيى فى الروح » (١ بط ٣ : ١٨) . وها هو حى الى أبد الأبدى . هنيئاً لنا بمسيحنا القائم من الأموات ، وشكراً لله على عطيته التى لا يعبر عنها ، وعلى أعجابه قيامته التى وهبها لنا فى المسيح يسوع ، وأنوار قيامته التى أشرقت فى قلوبنا ليقودنا فى موكب نصرته الى مجده الأبدى . لهذا أيها الأحباء اذ نفرح بقيامة الرب يسوع ، فليكن فرحنا بالروح لا بالجسد « لتعيد ليس بحميرة عتيقة ولا بحميرة الشر والخبث بل بفطير الاخلاص والحق » (١ كو ٥ : ٨) .

والله السلام الذى أقام من الأموات راعى الخراف العظيم ربنا يسوع المسيح بدم العهد الأبدى ليكملكم فى كل عمل صالح لتصنعوا مشيقتة عاملاً فيكم ما يرضى أمامه يسوع المسيح الذى له المجد الى أبد الأبدى . آمين .

عظة إنجيل قداس الجمعة الأولى من الخماسين المقدسة

شهادة الملاك لقيامة الرب يسوع

لكن اذهبين وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم الى الجليل (مر ١٦ : ٧) .

نتكلم عن تقسيم الأوقات التي كتب عنها كل من الانجيليين لا عن الوقت الذي قام فيه ربنا من القبر . فان ذلك غير معلوم لا للملائكة ولا للبشر .

ما يرويه معلمنا متى الانجيلي ان النساء جاءت للقبر فجر السبت . ويرويه معلمنا مرقس الانجيلي انهن اتين لما أشرقت الشمس . ويرويه معلمنا لوقا الانجيلي انهن اتين في السحر . ويرويه معلمنا يوحنا الانجيلي انهن جئن في الصباح . وتفصيل ذلك ان مريم المجدلية ومريم والدة الإله جاءتا لتنظرا القبر في فجر السبت وتبشرا من الملاك ان ربنا قد قام . أما الحراس فدخلوا المدينة وأعلموا الكهنة بقيامه المسيح فأعطوهم رشوة ليقولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه فأذاعوا الخبر ولما بلغ مريم المجدلية أن جسده قد سرق . ارتابت ورجعت الى القبر ثانية في الصباح كما قال معلمنا يوحنا ورأت الحجر مدحجراً والملاك جالساً عليه وهو الذي رأيته قبل ذلك بقليل جالساً على الحجر فازداد رعباً وجاءت الى بطرس ويوحنا وقالت قد أخذوا سيدي من القبر ولست أعلم أين وضعوه وللحال مضى التلميذان المذكوران ونظرا القبر واللفائف فتحققا القيامة ورجعا مؤمنين .

أما مريم المجدلية فظلت واقفة عند القبر مرتبكة فحانت منها التفاتة الى القبر فنظرت الملاكين اللذين ترعيا لسمعان ويوحنا . ثم التفتت الى ورائها فرأت سيدنا فأرسلها الى تلاميذه فرجعت وبشرتهم انها قد رأت الرب ووجدت هناك النسوة اللواتي بالهام رباني كن مستعدات ليخفين للقبر حاملات طيباً . فرجعت معهن هن ووالدة الله ومريم التي يسميها معلمنا لوقا أم يعقوب وكان الوقت قبل طلوع الشمس بقليل ورأت هناك . ملاكين بهيئة رجلين ولباسهما يلمع ووجههما مبسطة . حينئذ انضم الى المجدلية ومريم أم الله امرأة غريبة اسمها سالومي وهي التي كانت مع النساء الأوليات ورأين ملاكاً بهيئة شاب مرتدى حلة بيضاء فدهشن وكان الوقت عند طلوع الشمس كما ذكر معلمنا مرقس الانجيلي . فهذه هي ترتيب الأوقات الأربعة التي رواها كل من الانجيليين والتي مضين النسوة الى القبر .

ان الكيفية التي عادت بها روح المسيح له المجد فاتحدت بجسده وقت قيامته هي لغز ، وهي إحدى السرائر التي ليست لنا . أما الأدلة التي لا تدحض ، التي تبهرن قيامته ،

وتثبت أنه قام حقاً من الأموات ، وبهذا تأكد بأنه هو ابن الله ، فهذه هي « المعلنات التي لنا ولبنينا » (تث ٢٩ : ٢٩) ثم ان الرب ترآى يوم قيامته مرات متعددة المعروف منها سبعة :

فأول من ظهر له بعد قيامته هي مريم المجدلية (مر ١١ : ٩ ، يو ٢٠ : ١١)

٢ — ظهر لامرأتين راجعتين من القبر (مت ٢٨ : ٩) .

٣ — ظهر لسمعان بطرس وحده (لو ٢٤ : ٣٤) .

٤ — ظهر للقديسة مريم والدته .

٥ — ظهر لاثنتين من تلاميذه وهما ذاهبان الى عمواس (لو ٢٤ : ٣٠) .

٦ — ظهر لعشرة من تلاميذه ولم يكن توما معهم (يو ٢٠ : ١٩) .

٧ — ظهر للأحد عشرة والذين معهم في عليية صهيون (لو ٢٤ : ٣٣ ، ٣٦) .

وبعد هذه ظهر مرات كثيرة مدة الأربعين يوماً . « لقد مات ليوفى الدين عنا وقام ليعلن تبييرنا » (رو ٤ : ٢٥) . لقد دحرج حجر خطايانا على باب قبر الرب يسوع المسيح . وفي (اصم ١٤ : ٣٣) . نجد أن دحرجه حجر كبير ترمز الى ارتكاب الاثم : لقد ختم أعداء المسيح الحجر معتمزين : « ان لا يطلقوا أسيرهم الى بيته » (اش ١٤ : ١٧) . وهل تسلب من الجبار غنيمة وهل يفلت سبي المنصور ؟ (اش ٤٩ : ٢٤) لقد جلس الملك كحارس للقبر إذ أزعج حرس الأعداء وابعدهم عنه . جلس في انتظار المرأتين ليعطيهم خبر قيامته . وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج . هذا تمثيل لأجناد العالم غير المنظور . كان منظره أمام الحراس كوميض البرق : « أ برق برقاً وبددهم » (مز ١٤٤ : ٦) . أما يياض لباسه فكان يرمز ليس فقط الى الطهارة بل أيضاً الى الفرح والنصرة . لما مات المسيح حزنت قوات السماء حزناً شديداً . الأمر الذي كان ترمز اليه ظلمة الشمس . « لكنها ليست ثانية رداء التسييح عندما قام » (اش ٤١ : ٢ ، ١٠) .

الرسالة التي قدمها هذا الملك للمرأتين : إنه شجعهما ضد مخاوفهما لا تخافا أنما . سرعان ما طمئن قلبيهما بهذه الكلمة لا تخافا . ليخف الخطاة في صهيون لأن هنالك مبرراً . لذلك ، أما أنت يا ابراهيم ، وكل نسل ابراهيم الأبناء .. فلا تخافوا ولماذا تخاف بنات سارة الصانعات خيراً (١ بط ٣ : ٦) .

ان الذين يطلبون يسوع ليس لهم مبرر ليخافوا . إن حياتنا في المسيح هي قيامة دائمة . قيامة مجدده ومتجدده . مجددة لحياتنا . وأفكارنا ، ومتجددة بفاعلية النعمة

المستمرة التى تنبع فينا الى حياة أبدية ولكننا لكى نقوم مع المسيح يجب أن نذهب إليه عند قبره ، ونعانى الحجر المدرج ، ونستنير بمنظر الملائكة البهى ، ونرى الحراس كأموات ، ونسأل قائلين أين أخذوا سيدي ، ثم نعود لننشر برؤى القيامة العجيبة شاهدين دون خوف بعظمة القبر الفارغ . ما أكثر الأحجار التى لا نستطيع أن ندرجها فتحجب عنا رؤيا الرب ، لكن إذ أخلصنا لأنفسنا سيحدث معنا ما حدث مع المريمات . تطلعن فوجدن الحجر قد درج . ما أكثر الحراس الوثنيين المحيطين بقلوبنا ، لكن رؤيا الملاك الذى يشفع عنا كفيلا ان نجعلهم أمواتا أى بالقضاء على كل عبادات الأوثان فى باطننا — هكذا قام الملاك بشرف إعلان قيامة الرب . ولن ؟ لنساء بسيطات ربما لا يدري بهن المجتمع ولا يعلم عنهن شيئا . تماماً كما أعلن بشرى ميلاده لرعاة فقراء واقفين فى البادية فى حراسة أغنامهم . ظن اليهود أن جريمتهم قد انتهت على هذا الوضع الذى ألفوه عند مقتل الأنبياء والصديقين وأنه لن تقوم للناصري قائمة بعد اليوم . ولكن خاب فآلمهم وطاش . سهمهم لأنهم مكابرون فى الحق لا يميزون الأئمة ولا يعرفون الكتب . فقد تحرك دفين القبر فى اليوم الثالث معلنا لاهوته الذى لا يقاوم وخرج من ضريحه بقوة واقتدار عظيمين دون أن يدحرج الحجر لأنه نور يلبس جسما . قام فى لحظة غير معروفة من صباح الأحد خشعت لها السموات والأرض فحطم بانتصاره متاريس الجحيم وداس الموت فى أمنع حصونه . وقد تحققت قيامة الرب من حراس القبر وملائكة السماء وظهوراته المتوالية للمريمات والرسل الذين شاهدوه عياناً وتحدثوا إليه مراراً وامتنحوا بحواسهم جراحه القرمزية لا سيما جنبه المطعون الذى سوف يبقى علامة خالدة الى أن « يأتى فى السحاب وتراه كل عين » (رؤ ١ : ٧) .

هذا وقد جاء انطلاق الرسل للكراسة فى كل أنحاء العالم أكبر دليل على عدالة قضيتهم التى فى سبيل ابرازها للملأ طافوا معتازين مكرويين مضحين بأرواحهم وأجسادهم . مرجين بالسيف والشهادة ، كما كان نجاح مهمتهم وتغلغل الانجيل فى الأوساط الرومانية وبلاط القيصر من أكبر الأدلة على صدق الديانة المسيحية التى انتشرت دون وعد أو وعيد على أيدى أناس لا حول لهم ولا قوة . حدث كل هذا بينما كان رئيس الكهنة جامداً فى مستنقع نفاقه الذى تجلى واضحاً عندما رشا العسكر ورسم لهم أن يقولوا بسرقة الجسد ويختلقوا خبراً يتنافى مع الواقع الصحيح . وهكذا كان رئيس الكهنة منافقاً يقول ولا يفعل ، له صورة التقوى وينكر قوتها . يجلس على كرسي موسى ولا يعمل أعمال موسى . يعرف أين يولد المسيح ، وعند ظهوره لا يؤمن به . يحتفظ فى صدره بنبوات الأنبياء ، ويتجاهل اتتمامها . يلبس افود الأحرار ، ويدنسها بالظلم والاثم والخيانة . يفعل هذا وأكثر من هذا

لأنه منافق لا يريد أن يتبرر ، وتبرره لا يتطلب منه سوى أن يؤمن بقلبه ويشهد بلسانه قائلا : المسيح قام فتجاوبه الملائكة حقاً قام ، وهذا هو الحق ، والحق يحرق أتباعه .

كانت النسوة حائرات من يدرج لهن الحجر الثقيل عن فم القبر وإذا بهن « يرين شابا جالسا عن اليمين لابساً حلة بيضاء » (مر ١٦ : ٥) . وإذا بهذا الشاب يشهد لهن عن قيامة المسيح قائلا : قد قام . ليس هو ههنا وكان ذلك الشاب في جمال منظره ، صورة لجمال الشاب النقي القلب الطاهر الجبين . الشاب الأمين الحكيم المتعقل الذى يحفظ ثيابه بيضاء لا يندنسها شيء من مفسدات العالم وغرور الشهوة . وكان ذلك الشاب في شهادته عن قيامة المسيح صورة للشباب النقي الطاهر الذى ببياضه ونقاته يقدم أقوى شهادة للعالم عن قيامة المسيح من بين الأموات .

فما قام المسيح إلا لنقوم نحن بحياة جديدة هى حياة البر والقداسة ونحن لا نستطيع ان نبرهن حقاً على اننا قد قمنا مع المسيح إلا إذا كانت لنا حياة الغلبة والانتصار والقوة . إنما هو دور الشباب الذى يشتد فيه الجهاد وتعظيم النصر على قدر شدة الصراع . بينما على حقيقة قيامة المسيح . إنما هى شهادة الشباب الغالب المنتصر .

إن رسالة المسيح المقام يجب أن يراها العالم فى حياتك الطاهرة النقية ، إن حياتك أيها الشاب يجب أن تكون صحيفة بيضاء بريئة من غرور العالم وشهواته ، مترفعة عن مفسده وملذاته ، وكما تشهد ذلك الملاك النوراني ذو الثياب البيضاء للمريمات بقيامة المسيح ، كذلك حياتك الطاهرة وشبابك المكرس يجب أن يكون أجمل شهادة تقدم للعالم عن المسيح المقام .

ألا فليبارك الله شبابنا وشاباتنا لتكون حياتهم حياة الشهادة الكاملة عن قيامة يسوع المسيح الحى من بين الأموات .
وله المجد دائماً أبدياً آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الأول من الخماسين المقدسة إلى العمق

« قال لسمعان ابعده إلى العمق » (لوقا: ٤) .

إلى العمق ، إلى البحث عن الخبوء ، إلى كشف المستور ، إلى معرفة الكنوز ، إلى الظفر بالآلاء .

إلى العمق في النفس ، وإلى العمق في الشركة ، وإلى العمق في الخدمة ، فما من شيء أتلّف علينا حياتنا وأضاع مشروعاتنا أكثر من السطحية . ولا سبيل إلى تقويم المعوج وإصلاح المائل إلا أن تدعم الحياة على العمق أو أن تتمشى نحن في بحث الحقائق إلى الأعماق .

والفرق بين السطح والعمق هو ذات الفرق بين النظرة العرضية التي لا تهتم إلا بالشكل والنظرة العميقة الدقيقة التي تفحص ذات الموضوع .

وحياتنا أحد اثنين — إما أن تكون حياة عادية كما يحيا سواد البشر ، حياة أكل وشرب وهو ولعب ، حياة اهتمام بالتافه وانشغال بسفاسف الأمور وصغائرها ، أو أن تكون حياة منتجة ومثمرة ، أمينة ، ثابتة على أساس ممكن من الروحانية ، هادفة إلى أسمى الأغراض وأنبّل الغايات .

وقد كان العالم إلى اليوم الذى فيه صدرت الكلمة من رب المجد « إلى العمق » كان العالم سطحيّاً لا مُثل عليا له ولا وسائل نبيلة يخطتها ولا سلام يحصل عليه . فما أن كشف رب المجد لتابعيه عن نقطة الضعف ، أو لعلها علة الفشل ، وهى السطحية ، ثم تناولها بعلاج حاسم دقيق ، فهتف بهم قائلاً : « إلى العمق » ، منذ تلك اللحظة بدأت الحياة تأخذ طابعاً جديداً ، وراح التلاميذ ، ونسج على منوالهم خلفائهم ، يدخلون إلى الأغوار ويبحثون في الأعماق . فيخرجون للناس جدداً وعتقاء ، ويهتف بهاتفهم « تعبنا الليل كله ولم نمسك شيئاً لكن على كلمتك يارب نلقى الشبكة » (لوقا: ٥) .

إلى العمق في النفس

كانت الجموع تتزاحم على بحيرة جنيسارت ، وكان يسوع ينشر تعاليمه على الناس وينثر درره الغوالى على من تآقت قلوبهم أن تتلقفها . كان يعزى البائسين ويواسى المنكوبين ويشفى المرضى المتألمين . ولفت هذا نظر سمعان بطرس الصياد الذى قضى ليلة طويلة فاشلة ولم يمسك شيئاً . تنبه سمعان لشيء لم يكن يفكر فيه من قبل ، وهو أنه إنسان يعيش لنفسه ، أو يعيش لذويه ، فى حين أن المعلم العظيم الذى ترجمه تلك الجموع كان يتعب لكى يربح الناس ويذل من نفسه ومن جهده كل وقته — نهاره وليله — لإسعاد الجماعة .

وحالما رنت الكلمة « إلى العمق » فى أذنى سمعان ، أدرك ساعثه أنه كان سطحياً فى تلك اللحظة وأن الأفضل أن يتغير عن شكله بتجديد ذهنه ، لكى يدخل إلى العمق فى النفس فيكشف ما استتر من عيب وما أختبأ من ضعف . وهو — ونحن أيضاً — لا نستطيع مطلقاً أن نخطو خطوة إيجابية ما لم نتخلص من السلبية ، ولا نستطيع أن نبني أنفسنا إلا إذا أزلنا ما تخلف من أنقاض .

ونحن نحس فى هذه الفترة من حياتنا بأن الماضى كان تافهاً لأن الحياة السطحية طغت علينا . فمن الرغبة فى السيطرة نفرض أنفسنا على الآخرين ، ومن الشراهة المادية نحاول أن نبتلع أضخم قدر بحق أو بغير حق . هذه نزعات فيها جنوح وفيها جموح فيها إنسياق إلى الانزلاق .

تلك الحياة الشخصية أغرقتنا فى خضم العثرات والنزوات ، فجعلتنا نحيا حياة عابثة أو ، فى القليل ، حياة ذاتية مليئة بالعناد والغرور .

فإلى العمق فى تحليل نفسك والكشف عن ضعفائك . وتعرف المستور من نزواتك ونزعاتك . وحذار من أن تخدعنا أنفسنا أو أن يخدعنا الناس ، فيحولنا القويه أو الخيال عن واقع الحال . ثم لنستودع هذه النفوس فى يمين الله ، نستلهم روحه أن يبعث فى الضمير يقظة وفى الشعور وعياً ، فنيكى على ما فات وندمع على ما ضاع ونضرع إلى الله أن يغير الطباع وأن يعدل الأوضاع .

إلى العمق فى الشركة

وهنا يطيب الحديث ، حديث الروح فى عالم الروح ، الحديث الذى ينساب إلى العمق فيبلغ بالنظرة إلى نعمة التأمل . فعندما تجول عينك ، هنا وهناك ، فى آية لحظة

وفى أى مكان ، تستطيع أن تهتف مع من هتف « السموات تنطق بمجد الله والفلك
يخبر بعمل يديه » (مز ١٩ : ١) .

أيها العين ، إلى النظرة الفاحصة التى تأكد لك أن الحياة لم تأت إليك عرضاً ولم
تعطى لك صدقة ، وإنما هى بتدبير إلهى عجيب ، خلق كل الأشياء لخدمتك وأودع
الطبيعة أسرارها ، لتفدى أنت من كل شيء فيها ، ثم جاء بنفسه يردك بعد شروء ،
ويرفعك بعد ركود ، يهب نفسه لك فى هذا الوجود ، ويرقى بك إلى عرشه فى حياة
الخلود .

وفى النظرة العميقة نستطيع أن نستشف الحقائق . فإذا ما استمعنا إلى فقرة من
كتاب الحياة أو أصغينا إلى وعظ يفسر كلمة الله ، توارد على خاطرنا تداعى المعانى .
فلا نكون مجرد سامعين ولا مجرد مرددين بل نكون مصغين فى وعى ، ومختزنين فى
العمق ومتأملين فيما هو أسمى . وإذا بما نسمع وما ننظر يتخذ طابعاً أوسع نطاقاً وأبعد
آفاقاً ، فتحلق فى جو روحى عجيب ، فتتغير عندئذ المعانى من السطحية إلى العمق ،
وتصبح الصلوات عميقة والدراسات عميقة . فإذا بحياتنا وقد امتلأت روحانية ،
وأشرقت بنور مجيد .

ويقينا أننا لو درسنا كلمة الله على هذا المثال ، دراسة فيها عمق ، ثم صلينا على
هذا المنوال لأصبحت حياتنا ممتلئة طمأنينة وفرحاً وثمراً لمجد الله وحده .

إلى العمق فى الخدمة

أجل ، إلى العمق فى الخدمة ، التى يعتقها الخادم اعتناقاً وتنبثق من قلبه. انبثاقاً ،
الخدمة التى يترسم فيها خطوات الخادم الأول الذى جاء ليخدم ويذل نفسه فدية عن
كثيرين ...

الخدمة التى جعلته يسكب نفسه فى الصلاة ، مع أنه هو الذى يصل إلى الله كل
البشر ...

الخدمة التى جعلته ينسحق ألماً وبكاً على الخطاة لكى يردهم إلى حظيرة النعمة ويرقى
بهم إلى ذروة الحياة ...

الخدمة التى سكبته هو نفسه سكباً مذاباً ينصب فى قلوب السامعين فى عظامه
التي لم يهتم بالتنميق أو التنسيق أو التزييق ، ولم تكتف بالتشويق ، ولكنها جذبت
إليه القلوب ورفعت إلى عرشه النفوس وخلعت ثوب القداسة. يتشبع به المؤمنون ،

ودفعتم إلى العمل قُدماً ، لا يثنون ولا يثنون .

يا جماعة المؤمنين ، هيا إلى العمق . وإلى العمق في الخدمة بالذات . كفانا هذه السطحية الفضفاضة التي لها صورة التقوى وليس لها قوتها ، الخدمة البثرارة الجوفاء التي طابعتها الغرور والإغراء التي تدس في طياتها النفاق والرياء والتي لا تتورع عن الدس والكيد في الخفاء .

كفانا خدمات زائفة استترت تحت ملابس وعاظ لهم صورة الغيرة ، تحت عناد تعصبى يراد به ستر معائب ومثالب يحاول أصحاب هذا الصنف أن يسترُوا في أنفسهم مركب النقص .. حياتهم ضائعة ، وعيونهم أمام الجماهير دامعة ، يتباكون متظاهرين بالغيرة على الكنيسة ، لكنهم في حياتهم جافون وفي أعمالهم مخجلون وفي سيرتهم مشوهون ملوثون .

تلك الخدمات السطحية التي رأيناها في جماعة من الناس تنوعت ثقافتها وتباينت عقلياتها واتفقت أهدافها في وسائل ملتوية معوجة .

هذا خادم يقضى نهاره ، من صباحه إلى مساءه ، في الخدمة في الكنيسة أو في هيئة . فهو متصبب عرقاً ومتعب جسداً ونفساً . لكن ما هي هذه الخدمة ؟ إنها خدمة تهدف أولاً وقبل كل شيء إلى إبراز شخصيته أو تغليب مصالحه المادية أو الأدبية .

هذا لا نتيجة لخدماته المتكررة ، إلا أن تكون نتيجة متلفة مدمرة بقوته العائرة والمعثرة .

وإنك لو ألقيت نظرة على المئات من مختلف الكنائس والهيئات لصدمت بنتيجة بائسة تضع نسبة مئوية عالية في مصاف الخدام الفاشلين .. لقد كانوا خداماً سطحيين .

ابعد إلى العمق ، حدد هدفك في الخدمة على ضوء كلمة الله في تعاليم المسيح ، له المجد ، وقديسيه . ولتكن حياته مثلاً لك ، وإنكار الذات شعاراً لخدمتك ، وحياة التضحية أساساً لعملك ...

لتكن نفسك مملوكة لشخصه . وليكن فكرك مقوداً بروحانيته . ولتكن روحك منسكبه أمام عرشه .

لتنظره عينك ، ولتصغ إليه أذنك ، ولتسجد له بقلبك ، وتسلم له حياتك ، فتزداد البركات وتتعاظم الخيرات وتحصر ذاتك وخدماتك في نشر ملكوت السموات .

وله المجد في كنيسه إلى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداش الأحد الأول من الخماسين المقدسة

أحد توما

هات أصبعك إلى هنا وأبصر يديّ . وهات يدك وضعها في جنبي . ولا تكون غير مؤمن بل مؤمنا (يو ٢٠ : ٢٧) .

عجيب ومدهش . عدم إيمان توما بقيامة المخلص . وأعجب من هذا فشل الرسل في اقتناعه . والأعجب من الكل لطف المسيح وشفقته على تلميذه العاثر العنيد .

ففى ذلك اليوم الذى قام فيه المسيح من الأموات كان التلاميذ مجتمعين في عليّة اورشليم بسبب الخوف من اليهود لئلا يبطشوا بهم كما بطشوا بسيدهم . كان التلاميذ خائفين لأن سيدهم ليس معهم ، وهو في نظرهم في عداد الأموات . لكن بينما كانت الأبواب مغلقة وقف في وسطهم وقال : « سلام لكم أنظروا يديّ ورجليّ تحققوا ان الشخص الذى أمامكم هو ذات المصلوب ، وإنما صلبت لفداء البشر . كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا لتعلنوا للناس غفران الخطايا بالإيمان بى ولتحكموا بالدينونة على غير المؤمنين . وطبعا » فرح التلاميذ إذ رأوا الرب « (يو ٢٠ : ٢٠) .

ولأن توما قد حرم من مشاهدة الرب لغيبابه عن الاجتماع ، فأخبره الرسل بتلك البشرى العظيمة أنهم رأوا الرب . ولكن يا للأسف لم يصدق . ومع أن الشهود عشرة . ومن صفوة الناس . وهم الزملاء الذين تمتعوا بعشرة المسيح وتعاليمه وشاهدوا معجزاته ثلاث سنوات ونصف ومع ذلك فلم يصدقهم . الشريعة تقضى أنه « على فم شاهدين وثلاثة تقوم كل كلمة » (٢كو ١٣ : ١) .

وقد ظهر المسيح مرات متوالية لأشخاص عديدين في أماكن مختلفة فقد استشهدوا بظهوره له المجد لمريم المجدلية في البستان . واستشهدوا بظهوره لبطرس . واستشهدوا بظهوره للتلميذين المنطلقين الى عمواس واستشهدوا بظهوره لهم في العليّة . ومع ذلك فقد فشلت كل هذه البراهين في اقتناع توما . تعبوا في اقتناعه ولكنهم لم يصلوا الى نتيجة الرسل الذين عليهم مسئولية الكرازة لليهود والتبشير للأمم . عجزوا عن اقتناع واحد وهو زميل لهم .

فالحقيقة ان أعظم خدام الله بدون المساعدة الإلهية هم لا شيء « إن لم يبين الرب البيّت فباطلا يعجب البنّاؤون ، إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلا يسهر الحراس » (مز

(١٢٧ : ١) « إذا ليس الغارس شيئاً ولا الساقى بل الله الذى ينمى » (١ كو ٣ : ٧)
 بل كفايتنا من الله الذى جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهد جديد » (٢ كو ٣ : ٥ ،
 ٦) . فلا ينبغي أن نعتمد على أنفسنا — مهما كان مركزنا — فى إقناع الغير . بل ينبغي
 أن نعتمد على الله بالصلاة ، فهو وحده العامل فى الناس « لأن الله هو العامل فيكم أن
 تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة » (فى ٢ : ١٣) .

حقاً انه لمدesh عدم إيمان توما وامعانه فى العناد .
 اولاً — لأنه أهان اخوته بتكذيبه إياهم وعدم تصديقه لهم .
 ثانياً — لأنه تكبر وأعتد بذاته ولم يرض أن يصدق إلا نفسه .
 ثالثاً — لم يعتد بأقوال المسيح السابقة التى أعلنها لهم أنه ينبغي أن يتألم ويقوم فى اليوم
 الثالث .

رابعاً — لم يتأثر بما رأى من معجزات المسيح التى بها أقام كثيرين من الأموات . فقد
 أقام لعازر بعد موته بأربعة أيام . وأقام ابن أرملة نائين . وابنة يائرس .
 خامساً — لم يتأثر بشهادة العهد القديم بإمكانية قيامة الأموات من نبوة داود النبى
 القائلة : « لن تدع ثقيل يرى فساداً » (مز ١٦ : ١٠) الى قيامة ابن أرملة صيدا وابن
 الشوغمية ، فغريب أن يكون تلميذ عنيد متكبر جاهل غليظ القلب جافى الطبع بين تلاميذ
 المسيح . انه لغريب ومدesh للغاية أن المسيح يتنازل ويفتش عنه ، كما يفتش الراعى عن
 خروفه الضال .

لقد أعطى المسيح خبراً لتلاميذه ان يتقابل معهم فى الجليل ، ولكن تأخر هو وهم
 أسبوعاً فى اورشليم ، وهذا التأخير هو من أجل توما ، فلا يمكن أن يتركوه يتدهور فى
 مهاوى عدم الايمان ، ويفصل بالكفر عن شركة أخوته الرسل . فالمسيح له المجد قد جاء
 ليطلب ويخلص ما قد هلك (لو ١٩ : ١٠) فبينما كان التلاميذ مجتمعين فى عشية الأحد
 التالى ومعهم توما ، والأبواب مغلقة ، وقف يسوع فى وسطهم وقال سلام لكم . ولأنه قد
 جاء هذه المرة خصيصاً من أجل توما قال له : يا توما هات أصبعك الى هنا وأبصر يدى
 وهات يدك وضعها فى جنبى ، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً » (يو ٢٠ : ٢٧) .

لقد كلمه المسيح بصفته له المجد عالماً بالكلمات القاسية التى تكلم بها . فدنا توما من
 سيده ورأى آثار المسامير والحربة وصرخ قائلاً : « ربى والهى » (يو ٢٠ : ٢٨) .
 اعترف بلاهوت المسيح « رئيس الحياة » (أع ٣ : ١٥) فقال له المسيح : « لأنك رأيتنى
 يا توما آمنت . طوبى للذين آمنوا ولم يروا » (يو ٢٠ : ٢٩) .

إن اليهود رأوا ولم يؤمنوا . وتوما رأى فأمن . ونحن آمننا ولم نر ، وقد وعدنا بالغيطة والسعادة . وما يلفت نظرنا بنوع خاص ، ان المسيح له المجد بعد قيامته المجيدة لا زالت آثار الجروح في جسده المبارك . وقد كشفها لتلاميذه ، ولعبده توما ، كما يكشف الملك جراحه لعبيده الذين يحبهم ويدللهم . ولا زالت آثار الجروح في المسيح وهو في السماء كما قال يوحنا الرائي : « رأيت فإذا وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ حروف كأنه مذبوح » (رؤ ٥ : ٦) . وعند مجيئه ثانية تكون آثار جراحه دائمة كما هي : « هوذا يأتي مع السحاب وستنظروه كل عين والذين طعنوه وينوح عليه جميع قبائل الأرض » (رؤ ١ : ٧) . يسوع سيقى كما هو ، آثار جراحه كما هي « يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد » (عب ١٣ : ٨) . قال زكريا النبي : ما هذه الجروح في يديك ؟ (زك ١٣ : ٦) : لماذا تبقى آثار هذه الجروح ؟

أولاً — علامة التجسد :

الكلمة صار جسداً (يو ١ : ١٤) . الله ظهر في الجسد (١٦ : ٣) . بل مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية (عب ٤ : ١٥) . فأثار الجراح تبدو عليه الى الأبد لتشهد على ناسوته الكامل لأنه ابن الانسان .

ثانياً — أمانة الفداء :

أنه جرح وسفك دمه لخلاصنا . قد اشتريناه بثمان (١ كو ٦ : ٢٠) وهذه ينابيع الخلاص ظاهرة في يديه ورجليه وجنبه .

ثالثاً — برهان القيامة :

أين ذهب المصلوب ؟ هو هو الشخص المقام وآثار المسامير تشهد بتحقيق شخصيته وتثبت صدق قيامته ، قد قهر الموت لأنه رب الحياة ، ضع يدك في جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً (يو ٢٠ : ٢٧) .

رابعاً — زينة لجسده الممجد :

الجراح فخر للجندى المنتصر ، لقد تمجد المسيح بكل مجد ، ووجه الملع من الشمس ، وكله كالنور الفائق الضياء ، وإذا تظهن فيه آثار الجراح إنما تبدو للزينة والمجد والبهاء .

خامساً — صورة الطاعة للآب :

الذى إذ كان في صورة الله لم يحسب خلصة أن يكون معادلاً لله ، لكنه أخلى نفسه

أخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس ، وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب (في ٢ : ٦ - ٨) .

قديمًا كان يؤخذ العبد العبراني الذي يريد أن يخدم سيده الى الأبد الى الباب ، وتوضع أذنه على الباب ، وتتقب مع الخشب بالمشقب ، فيبقى جرح الأذن عنوان طاعته المؤبدة وخدمته الدائمة ، والمسيح أطاع الآب وخدمه ويخدمه في قضية خلاص البشر الى الأبد .

سادساً — أداة الشفاعة :

قال صاحب الرسالة الى العبرانيين : « وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة فوجد فداء أبدياً » (عب ٩ : ١٢) . وقال أيضاً : « فمن ثم يقدر أيضاً أن يخلص الى التمام الذين يتقدمون به الى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧ : ١٥) . يا أولادى أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا ، وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً » (١ يو ٢ : ٢٢) .

سابعاً — موضع تعجب الملائكة :

إن آلام المسيح وأجماده ، التي تنبأ عنها الأنبياء وبشر بها الرسل ، هي أشهى ما تشتهى الملائكة كقول بطرس الرسول : « الأمور التي أخبرتكم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم في الروح القدس المرسل من السماء ، التي تشتهى الملائكة أن تطلع عليها » (١ بط ١ : ١٢) .

ثامناً — راية الانتصار على الفداء :

لقد سحق المسيح الشيطان سحقاً ذريعاً ، وأبطل الموت بموته ، وأزال الخطية باحتياله عقابها وطهرنا منها . وجراحه شاهدة بانتصاره .

تاسعاً — دعوة للتوبة :

فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله ان تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية (رو ١٢ : ١) . هوذا المسيح يمد يده التي بها خلقنا ، يده التي بها افتدانا ، التي صبغها بدمه ، يمد يده طالباً دعوتنا إليه ليضمنا بيديه اللطيفتين الى صدره . « تعالوا الّى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨) فهل نبالي أم نستجف بالدعوة ؟

عاشراً — شهادة ضد الخطاة يوم الدين :

يأتى إلّنا ولا يصمت ، نار قدامه تأكل ، وحوله عاصف جداً ، يدعو السموات من فوق والأرض للمداينة شعبه « (مز ٥٠ : ٣) . هوذا المسيح يجلس على عرشه ، وتتحول آثار جراحه من شفاعاة الى دينونة « أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلّى هنا واذهبوهم قدامى » (لو ١٩ : ٢٧) . لا حجة للمخاطيء فى عدم التوبة ، هوذا آثار الجراح . لذلك أنت بلا عذر أيها الانسان . (رو ٢ : ١) مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحي (عب ١٠ : ٣١) .

ان هذا الأحد المبارك يسمى أحد توما أو أحد التجديد ، لأن فيه تجدد توما وصار رجلاً متيناً فى الإيمان ، وذلك لأنه نظر جراح المسيح فتحقق من شخصيته المباركة . فياليتنا ننظر الى جراح المسيح الآن . « نظروا إليه واستباروا ووجوههم لم تخجل » (مز ٣٤ : ٥) . ولربنا المجد دائماً آمين .

عظة إنجيل قداس الجمعة الثانية من الخماسين المقدسة

تناول الأسرار المقدسة

من يأكل جسدى ويشرب دمي فله حياة أبدية (يو ٦ : ٥٤) .

إن السيد المسيح له المجد وعد ووعدته صادق أن يقدم جسده المقدس ودمه الكريم ذبيحة من أجل خلاص العالم . وكيف أنه هيا الشعب لهذا الوعد بمعجزته الخاصة بإطعام الخمسة آلاف رجل من خمسة أرغفة وممكتين وبنعمة الله وإرشاده نتأمل في :

أولا - إطعام الخمسة آلاف رجل :

حدث هذا في أيام الفصح عند اليهود في مكان منعزل على شاطئ بحيرة طبرية التي تدعى بحر الجليل . وكان الجمع الملتف حوله والذي رأى معجزاته التي صنعها في شفاء المرضى نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأطفال حيث كان يركز ويعظ حتى المساء . وحينئذ ظهرت مشكلة إطعام هذا الجمع الغفير في ذلك المكان القفر الخلاء . فقال له أحد تلاميذه وهو أندراوس أخو سمعان بطرس هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وممكتان ، ولكن ما هذا لمثل هؤلاء فقال يسوع للجمع أن يتكئوا على العشب وأخذ يسوع الأرغفة والسمكتين وشكر ووزع على التلاميذ ، والتلاميذ أعطوا المتكئين . فلما شبعوا قال لتلاميذه إجمعوا الكسر الباقية فجمعوا وملأوا اثنتي عشرة قفة منها . فتعجب الجمع وامتلأوا حماساً وأرادوا أن يتوجونه ملكاً ، ولكنه رفض لأنه لم يرد ملكاً أرضياً . أظهر يسوع قدرته الإلهية على إطعام الخمسة آلاف كما أظهر هذه القدرة الربانية على تقديم جسده وعلى سيطرته على قوانين الطبيعة بمشييه على ماء البحيرة وإسكاته العاصفة .

اجتمع الحشد بعد نزول يسوع إلى البر ، وكان من بين هذه الجموع شيوخ اليهود والفريسيين والكتبة وهم تواقون إلى مساءلته وطالبوه أن يبرهن لهم على سلطانه في أن يعلم باسم الله . ثم أردفوا قائلين إن معجزة إطعام الخمسة آلاف بخمسة أرغفة وممكتين لم تكن برهاناً كافياً ، لأن موسى كان قد أعطى الشعب الخبز من السماء أثناء رحيلهم في بركة سينا بعد أن كانوا قد غادروا مصر . وكانوا يشيرون إلى حادثة المن . بعد شهرين من مغادرة بني إسرائيل مصر وصلوا الى مكان مالم يستطيعوا أن يجدوا فيه طعاماً ، فتذمروا على هارون وموسى قائلين إنكما اخرجتمونا الى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور جوعاً .

فأرسل الله لهم طعاماً ، إذ رأوا في المساء أسراباً من طير صغير هو السلوى (السماء)

وقد حطت هذه الطيور على خيامهم ، فأمسكوا بها ، كما رأوا في الصباح مادة بيضاء منتشرة في هذه البادية . فقالوا لمن قد يكون محتملاً أنه عصير نبات يمتاز بطعم سائغ حلو ، وفي الوقت نفسه مادة مغذية ليوم واحد ثم تفسد ولذلك أمرهم موسى بأن يجمعوا منها ما يكفي حاجاتهم يوماً واحداً وقال لهم لا يبق أحد منه الى الصباح . وعرفوا أن هذا الطعام أمدتهم الطبيعة به لسد حاجاتهم بأمر الله خالق الكل .

سأل هؤلاء الكتبة والفريسيون يسوع قائلين إن موسى كان قد أعطى اسرائيل الطعام من السماء . فأجاب المسيح رداً عليهم : إن الله وليس موسى هو الذى أعطاهم المن ، وفضلا عن ذلك فهؤلاء الذين كانوا قد أكلوا المن ماتوا . وقال إنه يعطى طعاماً به يمنح الحياة الأبدية لكل من يأكله فتعجبوا من هذا قائلين أعطنا هذا الخبز دائماً ، واستمر في إعطاء العهد الخاص بالقرىبان المقدس .

ثانياً — عهد القرىبان المقدس :

قال يسوع : أنا هو خبز الحياة من يقبل إلىّ فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش فزع هؤلاء وتذمروا لقوله لهم إنه الخبز النازل من السماء الواهب الحياة الأبدية . وكان هذا قولاً عن ألوهيته ، ولكن يسوع أعاد هذا الكلام في تأكيد لا يقبل الشك ولا يتطرق إليه الريب وأضاف إليه ما أتى : « أنا هو خبز الحياة ، آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء . لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت » (يو ٦ : ٤٨ — ٥٠) كان ذلك القول مفزعاً لهم كما كان أيضاً محيراً لهم .

والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم . وقال الرب يسوع في هذا المجال ما كان يقوله في مواقف أخرى إنه جاء من قبل الله أبيه ليعطى حياة جديدة للناس . وكما أن الطعام يعطى حياة طبيعية هكذا هو سيعطى الحياة الفائقة الطبيعية . فهؤلاء فقط الذين ينالون هذه الحياة هم الذين يؤمنون بتعليمه وان يقبلوا الرب يسوع . على ان معظم الذين سمعوه لم يقتنعوا أنه نزل من السماء ، كما أنهم لم يقتنعوا بأنه يستطيع أن يعطيهم جسده ودمه ، واحتجوا بشدة . ولكنه لم يتراجع عما قال بل ازداد إصراره عليه فأوضح بما لا يدعو مجالاً للمجاز أنه يعطى ذاته طعاماً حقيقياً وشراباً حقيقياً لمن يؤمن به فقال الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . ومعظم الذين سمعوه رفضوا أن يصدقوه ؛ كما فقد كثير من تلاميذه ثقتهم فيه ورجعوا عنه ؛ ولكنه لم يطلب منهم أن يرجعوا ليقول لهم إنهم أساءوا فهمه بل إنهم إلى رسله الاثنى عشر وقال لهم : « هل أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا ؟ كأنه يقول لهم إذا لم تقتنعوا بتعليمى

فإنكم لستم أتباعي ، فتكلم سمعان بطرس باسمهم كما كانت عاداته في مواقف كثيرة أخرى . « يارب إلى من نذهب . كلام الحياة الأبدية عندك ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي » (يو ٦ : ٦٨ ، ٦٩) .

ثالثاً — الوفاء بالوعد :

نفذَ هذا الوعد عندما أكل الرب يسوع العشاء الأخير مع رسله في الليلة التي أسلم فيها ذاته بإرادته وسلطانه وحده . وكان هذا أثناء عيد الفصح .

فبعد ان فرغوا من طقوس الفصح القديم أخذ مخلصنا خبزاً على يديه وكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي ، وأخذ كأساً بها عصير الكرم وذاق وأعطي تلاميذه وقال اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا (مت ٢٦ : ٢٦ — ٢٨) . ولم يقل مثلاً هذا علامة على جسدي ودمي بل قال بصراحة خذوا كلوا هذا هو جسدي وأشربوا هذا دمي . لذلك فهم الرسل وكل رجال الدين بعدهم ما كان يقصد تماماً من قوله الخبز وعصير الكرم تحولاً الى جسده ودمه . وما كان على المائدة أمامه في العشاء الأخير كان خبزاً وعصير الكرمة من حيث مظهره للحواس الخمس ، ولكنه كان في الحقيقة جسد ودم المسيح . وبقي المظهر كما هو ، والحقيقة تكمن فيما وراء ذلك ، إذ تحولاً بقدرة الله الذي لا يستحيل عليه شيء . وقال يسوع المسيح لرسله اصنعوا هذا لذكري . لا يستطيع التحليل الكيميائي أو العلوم الإنسانية أن تثبت ان التحول قد يحدث ، إنه نوع خاص في التحول فريد تماماً في ذاته . ويسمى سرّاً مقدساً ويمكن لمثل هذا التحول فقط أن يعرف عن طريق الإيمان في تعليم المسيح وكنيسته وهو كلمة الله .

رابعاً — إيمان الكنيسة في هذا السر :

إننا نؤمن أنه بعد تقديس سر الشكر واستدعاء الزوج القدس على القرايين ، يستحيل الخبز والخمر استحالة سرية إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين حتى ان الخبز والخمر اللذين نظرهما على المائدة الكهنوتية ليسا خبزاً وخمراً بسيطين بل هما جسد الرب ذاته ودمه ذاته تحت شكل الخبز والخمر . ونؤمن ان ربنا يسوع المسيح حاضر في هذه الخدمة حضوراً فعلياً . وهذا الإيمان هو إيمان الكنيسة كلها شرقاً وغرباً منذ ابتدائها ، لأن الرسل الأطهار سلموا هذا الإيمان لجميع المؤمنين في المسكونة . وظل هذا السر يمارس في جميع الكنائس الرسولية الى الآن وإلى الأبد . وقد اعتادت الكنيسة المقدسة الوحيدة الجامعة الرسولية أنها عند تعميد الأطفال على إيمان والديهم أو أشايبينهم تمنحهم سر جسد الرب ودمه الأقدسين قوتاً روحياً لهم لنيل الحياة الأبدية حسب وصية الرب .

قال القديس يوحنا فم الذهب ، إننا نتحد مع المسيح بأكل جسده ودمه الأقدس لا بالحبة ورضى الإرادة فقط بل بالحقيقة والجوهر . فلا مأكّل ولا مشرب يقيت النفس حقيقة للحياة الأبدية إلا جسده ودمه . إذن عندما نتناول الأسرار المقدسة نأكل جسد الرب ونشرب دمه وبذلك نتقبل في داخلنا يسوع المسيح نفسه ، وبهذا نثبت فيه وهو يثبت فينا ، وننال الحياة الأبدية . ونذكر ذبيحته الكفارية التي قدمها على الصليب من أجل فداءنا وتبريرنا ، فما أحوجنا دائماً الى تناول هذه الذخيرة المقدسة بكل ورع وإيمان ومحبة . قال القديس امبروسيوس : كيف يموت من كان طعامه الحياة . وله المجد دائماً .

عظة إنجيل عشية الأحد الثاني من الخماسين المقدسة

الشكر

« إذ شكر الرب » (يو: ٦: ٢٣) .

أفضل نتائج عطايا الله ، بل أفضل ما يعطينا هو أن نكون شاكرين . فمن عاش شاكراً عاش سعيداً .

والشكر هو قلب المسيحية الحساس . ومهما أعطينا من ثروة وكان لنا من دين أو علم ، وخلت هذه من الشكر ، فلا قيمة لها قطعاً بل قد تتحول الثروة بُطلاً والدين رياء والعلم انتفاخاً ، والحياة مُرة .

أما إذا ملأ الشكر قلوبنا وأكتفيننا ورضينا ، ولو كنا فقراء ، وسررنا بنصيبنا ، ولو كان نصيب لعازر البلايا ، فتكون الحياة هادئة سعيدة .

أما غير الشاكر فإنه يكون ساعطاً على الحياة ، متشائماً ، أيامه همّ وأوقاته غم . يقول سليمان الحكيم : « الغم في قلب الرجل يخنيه والكلمة الطيبة تفرحه » (أم: ١٢: ٢٥) .

أما الشكور فقلبه فرح « والقلب الفرحان يطيب الجسم » (أم: ٧: ٢٢) القلب الفرحان يجعل الوجه طلقاً ، والفم مبتسماً ، والأمل واسعاً « لأن طيب القلب وليمة دائمة » (أم: ١٥: ١٥) . يتألق وجه الشاكرين بضيء من السعادة . الشكر يحمل جزاءه معه . النفس الشاكرة هي النفس السعيدة يقول المرنم « حسن هو الحمد للرب » (مز: ٩٢: ١) . إن طريق الشكر يقودنا من مواطن التذمر والشكوى إلى أماكن الترنم والانتاف . إن طريق الشكر هو الطريق الذي يخرجنا من الحقد والحسد . طريق الشكر هو طريق السلام والهناء والنجاح في الحياة المسيحية .

ثم إن النفس الشاكرة تتمتع بجمال الذاكرة القوية . إن الذي يشكر يدل على أنه يذكر ويحسن التفكير . فكر في عطايا الله الكثيرة ، ثم أشكره على هذه العطايا وطريق الشكر هو الطريق السلطاني الذي استعمله الرب يسوع ، فكانت أكثر صلواته شكراً ، فهل تذكر مراحمه فتشكر . بولس وسيلا كانت أرجلهما في المقطرة في السجن

الداخلي ، ومع ذلك كان يسبحان الله . قد تجدد شخصاً من الناس تحيط به بركات الله وتفيض عليه ، ولكن لأن أفكاره متجهة نحو ما ينقصه وما يشتهيهِ فإنك تجده دائماً متدمراً . شاكياً ، بدلاً من أن يكون حامداً شاكرأ . بينما بجواره آخر فقير ، مضروب بالأمراض ، كثيرا الآلام ، ومع ذلك تجده متهللاً شاكرأ كل حين .

كان مؤمن تقى قد أصيب بأمراض خطيرة وعملت له عمليات كثيرة ، إلى أن قطعت ذراعاه وقدماه . ماذا ينتظر من شخص كهذا ؟ عوض أن يبتس ويتذمر ، سَلَم وشكر . كانوا يخرجونه كل يوم خارج كوخه الحقيق ، فيصرف وقتاً في تلاوة بعض الآيات الكتابية ويرنم بعض الترانيم الدينية ، فتعجب أحدهم من تصرفه هذا ، وسأله : كيف ترنم وأنت مقطوع الذراعين والقدمين ؟ علام ترنم ؟ أجابه : وكيف لا أشكر وأرنم وقد أعطاني الله قلباً به أشكره ولساناً به أذكره ؟

هل فكرت أن تشكر الله على صحتك بين المرضى ؟ وعلى شعبك ساعة الجوع ؟ وعلى خيرك حين يترصب الشقاء والألم والتعاسة والحرمان والمذلة بملايين من أفاضل البشر ؟ فلنشكر الله على البركات الزمنية ، فجميعنا لنا من هذه البركات ما يجب أن نشكر الله عليها .

صلى أحد القديسين قائلاً : أعني يارب لأحمدك . إننى فقير ، فأعني لأحمدك بالقناعة ، إننى مريض فساعدنى لكى أحمدك بالصبر ، إن لى وقتاً فساعدنى يارب لكى أفتديه لخدمة مجدك ، إن لى قلباً يشعر فيه ألا يشعر إلا بمحبتك ولا يلهب إلا بذكرك وشكرك .

ثم يجب أن نشكر من أعماق القلب على البركات الروحية « الذى لم يُشفق على ابنه بل بذله من أجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء » (روم ٨: ٣٥) « كل شيء لكم » (١كو ٣: ٢١) بركة الغفران والتبني والتقديس والتجديد .

إن مجرد التأمل فى هذه البركات يملأ قلوبنا بالفرح والبهجة . ثم يجب أن نشكر حتى فى أوقات الظلام والآلام . لنشكر فى جميع الظروف المحيطة بنا ، الصعبة منها والسهلة الحلوة والمرة . إن المؤمن المتصل بالله لا يمكن أن تحل به نازلة مهما كانت شديدة الوطأة إلا ويجد لها حمداً يرفعه لله .

إن الإيمان يجعلنا نتق بعناية الله التى تحول كل شيء للخير . الإيمان بمواعيد الله وحكمته ومحبته يجعلنا نشكر ونفرح دوماً ونرتقى فوق الهموم « شاكرين كل حين على كل شيء فى اسم ربنا يسوع المسيح » (أف ٥: ٢٠) .

متى حل المسيح في بيوتنا وملأ قلوبنا نستطيع أن نشكر في ظلام الليل وفي ضوء النهار .. نستطيع أن نترنم في الصحة والمرض ، في الجوع والشبع ، في الضيق والفرح .. نستطيع أن نرتفع فوق كل الظروف ، حامدين شاكرين . بدلاً من أن نشكو يجب علينا أن نشكر ، فلا تكن كشاوول الذى يحمل الرمح على الدوام للطعن والضرب والنزال . بل يجب أن نكون كداود الذى يحمل العود والقيثارة ، لأن في الطعن والنزال شقاء ، وفي الشكر والترنم شفاء . ولا توجد قوة في الوجود تعادل قوة البهجة والفرح ، لأن فرح الرب هو قوتنا . ومتى شكرنا الله على القليل الذى عندنا زادنا من الكثير الذى عنده ، لأن مراحمه كثيرة تتجدد لكل قلب غمرته النعمة وساده الشكر .

قال أحد دارسى طباع الطيور إن عصفور الكنارى يُدركه عمى البصر في السنة الرابعة من عمره ، ومن عادة هذا العصفور أنه لا يكف عن التغريد كل أيام حياته ، حتى عندما يفقد بصره لا يكف عن التغريد ليل نهار ، لأن عمى بصره ساوى عنده الليل بالنهار ، فجعل كل حياته ليلاً قائماً . ولكنه بتغريده يحيل هذا الليل المظلم إلى نهار دائم ، فيغرد ولا يكف عن التغريد حتى بعد أن فقد بصره .

فما أحتاجنا إلى أن نتعلم نعمة الحمد والتغريد ، وأن نتقن فن الغناء والشكر والتحميد ، شاكرين ومترنمين على الدوام بمراحم الرب التى هى جديدة علينا كل صباح . ولنعلم أنه ليس كل شكر شكراً ولو كان له صورة الشكر . ومن ذلك :

١ - شكر البر الدائق (الأثاني) :

ظاهره شكر وباطنه كفر ، والدافع إليه الكبرياء . شكر الفريسي « اللهم أشكرك لأنى لست مثل باقى الناس » . صاحبه أسوأ من مادح نفسه . إنه لا يرفع لله حمده بل يترفع عليه بقلبه . أمثال هذا وثنيون ، يحرقون بخور شكرهم على مذابح ذاتيتهم . فلا كان برهم ولا كان شكرهم .

٢ - الشكر العقيم :

من فم صاحبه ليده ، منه وإليه ، لا يستفيد غيره منه : يستمع بالتأكين المعوزين فيقبل يده شكراً ويرفع كفيه حمداً ، لكنه لا يقبل على البؤساء لمواساتهم ، ولا يفقد المتضايقين لتفريج كربتهم ، ولا ييسط يده لمساعدتهم . فهل هذا شكر يرضاه الله ؟

٣ - الشكر المتزعزع :

وهو المعلق على الظروف الموافقة والأحوال المناسبة . وما أكثر الذين تدعوهم الظروف إلى الشكر فلا يشكرون . الشكر الموهون بالظروف الملائمة يشبه يقطينة يونان

سرعان ما يحدون وسرعان ما يصبح في خبر كان . فبينما نكون شاكرين ، تتغير الأسباب
فتقلب ساحطين متدمرين .

٤ — أما أفضل الشكر فهو غير المترزع :

لأن أساسه راسخ .. شكر ينض به القلب المتجدد بالنعمة ، وتردده النفس الطاهرة
بفاعلية الروح القدس وتظهره حياة المسيح فينا ، شكر مولده الجليلة ، وفخره
الصليب ، وغايته مجد المسيح .. شكر تسكبه النعمة على شفاهنا ويزكيه الروح القدس
في قلوبنا فيستحيل جزءاً من كيانتنا ، فلا نكون إلا شاكرين .

في الوقت الذي علم فيه دانيال بتوقيع الكتابة ضده لطرحة في جب الأسود ، صلي
وحمد قدام إله ثلاثة مرات — وما هي إلا ليلة واحدة يسامره فيها الملك ، وقد سد
أفواه الأسود ، وفي صباحها يكرمه الملك ويرقيه .

وكمؤمنين يجب أن نشكر بنوع خاص في الظروف التي يرى غيرنا أنها لا تستدعي
الشكر . فإن تكن الظروف آكلة بل مهلكة ، فلنشكر لأن الله يخرج لنا من الآكل
أكلاً ومن الجافى حلاوة .

إن ما نناله عن طريق الظروف المعاكسة والتجارب المتنوعة لا نناله في الظروف
الموافقة والأحوال المريحة . إن الظروف والحالات التي يرى عديم الإيمان أو ضعيف
أنها لا تستوجب الشكر يراها نطل الإيمان تستدعي شكراً ، وتستدعي فخرًا ، بل
نفتخر أيضاً في الضيقات ولا يمكن أن تحمل بالمؤمن تجربة ، مهما كانت شديدة الوطأة ،
إلا ويجد فيها حمداً يرفعه إلى الله .

وما يزيدنا شكراً أيضاً التأمل في حياة مخلصنا ، له المجد . فإنه كان شكوراً طيلة
حياته على الأرض . فلما بارك الخمس خبزات شكر ، وبعد الشكر طلب البركة .
وأمام قبر لعازر نراه واقفاً لا راثياً بل شاكراً ، وبعد الشكر القيامة .

كان بينه وبين الصليب خطوة ، ومن تلاميذه من يغدر به ومن يهجر ومن ينكر ،
ومع ذلك يأخذ الخبز ويشكر لأجل جسده المكسور ، ويأخذ الكأس ويشكر لأجل
دمه المسفوك .

فما أحوجننا أن نتأمل في هذا المثل الأعلى ! بهذه كلها بواعث تدفعنا لنحيا حياة
الشكر ، فنستطيع أن نشكر كل حين على كل شيء في اسم ربنا يسوع المسيح الذي
له المجد من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس الأحد الثانى من الخماسين المقدسة

خبز الحياة

أنا هو خبز الحياة (يو ٦ : ٣٥) .

قام السيد المسيح مقتدرا ، كما قام منتصرا على الشيطان ذاك الذى كان بيده سلطان الموت ، وعلى الخطيئة التى أجرتها موت ، وعلى الهاوية ليخلص منها من كانوا تحت حكم الموت ، وعلى الموت نفسه فصوره حياة ورحا .

وظل يظهر لتلاميذه بعد قيامته ببراهين كثيرة مدة أربعين يوما وكان يحضر فى وسطهم والأبواب مغلقة ، ويرأس اجتماعاتهم بعد أن وثقوا فى قيامته إذ رأته عيونهم وسمعت آذانهم . وظل المسيح حاضرا مع كنيسته الأولى . وهكذا يظل حاضرا الى الأبد . حسب وعده القائل : ها أنا معكم كل الأيام — وإلى انقضاء الدهر الأمر الذى من أجله تقدمه الكنيسة فى أيام الخمسين المقدسة بجسده ودمه الأقدسين المرفوعين على مذبح الله يسوع المسيح الذى تقدمه الكنيسة فى إنجيل هذا الصباح المبارك هو خبز الحياة .

إن القيامة والحياة مترادفان متلازمان . فالمسيح القائم من الأموات صار قيامتنا نحن الذين كنا أمواتا بالخطايا . فأقامنا معه وهكذا صار لنا حياة بعد زمان موت . فالمسيح الحقيقى هو الذى لا يمينا بذاته ، بل يمينا بالمسيح لى الحياة هى المسيح . وهذه الحياة التى لنا فى المسيح هى حياة جديدة . كما يسميها القديس بولس الرسول . « جدة الحياة » هى غير الحياة القديمة التى قبل قيامه المسيح . وبنعمة الله وارشاده نتكلم عن النقط الآتية :

١ — خبز الحياة :

هذه الحياة الجديدة التى دخلت الى عالمنا ، وأظهرت لنا بعد إن كانت عند الآب وفيه . الحياة بحسب المسيح . أو حياة المسيح كما نراها فى الانجيل هى التى وهبها لنا المسيح بقيامته ، بجسده الحى . وإن كنا نعلم ان كل ما عمله المسيح له المجد عمله لحسابنا فبالأولى جداً تكون قوة القيامة لنا ونحن فى شدة احتياجنا إذ كنا جالسين فى الظلمة وظلال الموت . المسيح هنا لا يعطى وصايا . لم ينفع الذين سمعوا من قبل . المسيح لا ينادى بمبادئ وشعارات يظل سامعوا فى عجزهم لا يستطيع أحد أن يحقق شيئا منها . ولكن المسيح اليوم يعطى نفسه . يعطى حسب القائم من الأموات الواهب حياة أبدية . المسيح اليوم يعطى قوة قيامته ونصرته على الموت ليس بالكلام ولا بالعظات ولا بالوصايا ولكن

يقدمه خبز الحياة لمن يريد أن يأكل الحياة ويرتبط بها الى الأبد . المسيح يقدم الحياة الأبدية التي فيه لكي تدخل في الانسان فلا يموت ولا يقوى عليه قوة الموت ولا خوفه يقدم الحياة الأبدية مأكلاً حق ومشرب حق .

هنا يبدو واضحاً إن ما يقدمه المسيح القائم من الموت يختلف اختلافاً جذرياً عن كل ما قدمه الأنبياء والآباء قديماً لأن المسيح يقدم ذاته .

٢ — كيف يعطينا جسده لناكلة :

ما أعجب موقف الرافضين لسخاء نعمة ربنا وكرم محبته فبدلاً من أن يجدوه كإله ، حقوا في ذهنبهم . هكذا خاصم اليهود . بعضهم بعضاً قائلين : كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لناكلة ؟ مع المسيح الحى القائم من الأموات لا يوجد مكان لكلمة كيف . فإلهنا إله المستحيل لأن كل شيء مستطاع لديه . هل من المعقول ان تقارن الروحيات وتحكم عليها بالجسديات ؟ إن الروح يفحص كل شيء ، والروحاني يحكمه في كل شيء . أما الجسديون فيعثرون في فخاخ وشكوك للهلاك . إيماننا بالمسيح مبنى على ثقتنا الكاملة في قدرته الالهية غير المحدودة . يسوع المسيح قال : الخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله . يسوع المسيح قال لجماعة اليهود : إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة . يسوع المسيح قال لتلاميذه خذوا كلوا هذا هو جسدى . ماذا بعد ذلك . هل نقول مع جماعة اليهود كيف ؟

٣ — ليس كما أكل آباؤكم المن في البرية وماتوا :

الآباء الأولين أكلوا الطعام الروحى . المن السماوى . أكلوه جسدياً . إذ كانوا خاضعين للجسد ومحصورين فيه . فلم يفدهم شيء . بل طرحت جثثهم في القفر وبأكثرهم لم يسر الله . المسيح يريدنا اليوم ان نتفاعل معه ونقترب الى خبز الحياة بروح الايمان لننال كل يوم جديداً على المذبح . ولنلتقط بكيال الروح ، الذى لا يقاس بمقاييس العالم ما يكفى لحياتنا . ونحن نسلك في برية وقفار هذا العالم في مسيرتنا نحو كنعان ميراثنا الأبدى . أكل الفصح كان لأبائنا احتياجاً من موت المهلك . وأكل المن كان لحفظ حياتهم في برية مميتة وجفاف رهيب . وأكلنا من جسد المسيح ليس لحماية حياة جسدية . بل لاستبقاء حياة أبدية وسؤال ضمير صالح أمام الله .

٤ — كلما أكلتم من الخبز تغربون بموت الرب وتبشرون بقيامته :

هكذا نردد في القداس . ومن المفروض على المسيحيين الحقيقيين أن يذكروا موت

الفادى على خشبة الصليب فى أيام غربتهم ، وفقا لوصية الرب التى تركها للكنيسة . فأكلنا من خبز الحياة يتحول فينا الى قوة موت ، وايضا قوة حياة ، موت عن العالم ، موت عن الشهوات . ان اعثرتك عينك ، أو يدك أو رجلك اقلعها أو اقطعها . إنها قوة الصليب . قوة رهيبة للكف عن الشر . احسبوا انفسكم أمواتا عن الخطية . وأيضاً قوة جديدة . فالمسيحية ليست ان نكف عن الشر فى سلبية . بل أن نعمل بقوة بحسب روح القيامة فى إيجابية لم يعرفها العالم . معنى التبشير بقيامة المسيح يكون على نفس مستوى عطاء المسيح فى بذل ذاته وكسر جسده من أجل الآخرين . فكلما أكلنا خبز الحياة ، خبز القيامة حصلنا على قوة الكرازة بموت المسيح وقيامته ، ليس بالكلام ، ولكن بالعمل والحق . أى تصير فينا إمكانية ان نموت من أجل كل أحد . ونبذل أنفسنا فى حب . مذبح كل يوم . وكلما نبذلنا أنفسنا للموت من أجل الآخرين . نقام بالأكثر بقوة قيامة مذهلة . وهكذا تتجدد حياتنا كل يوم فى موت وبذل ، ثم قيامة بقوة أعظم .

٥ — الاتحاد بالله :

إن غاية المسيح عندما أعطانا لنأكل ، هى أن نتحد به ونصير واحدا معه ، فتسرى فينا قوة قيامته الى أبد الأبدى . لا يقوى علينا موت فيما بعد . فالتناول من جسد المسيح يوحدنا به بروح قيامته . بدون أكل جسد المسيح لا يصير إتحاد بالمسيح . بل إن اشتراكنا فى جسد المسيح الواحد كمخبز حياة هو التفسير العملى لوحدايتنا كأعضاء بعضنا لبعض . إذ تسرى فينا عصارة حياة واحدة فى المسيح يسوع .

٦ — السر وعلاقته بحياتنا الروحية :

ان الذى يعلمنا السيد فى خطابه للتلاميذ هو أن طالب الحياة لا يغنيه شئ عن هذا الينبوع العذب . فهو إن مارس جميع وسائل النعمة وأغفل تناول من جسد الرب ودمه الأقدسين . فلن تغنيه تلك الوسائل جميعها عن البركة التى ينالها من تناول .. حيث قال يسوع « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » (يو ٦ : ٥٣) . ولإلهنا المجد والاكرام والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

التلمذة والتعليم

ان ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي (يو ٨ : ٣١) .

ان الحياة المسيحية هي حياة تلمذة . وكل الذين آمنوا بالمسيح تسموا تلاميذ للرب . والسيد المسيح لما ألقى العظة على الجبل القاهها لتلاميذه إذ يقول الكتاب : « تقدم اليه لتلاميذه ففتح فاه وعلمهم قائلا » (مت ٥ : ١-٢) . والذين آمنوا عن طريق يوحنا المعمدان . تسموا تلاميذ يوحنا . والسيد المسيح ، لما أرسل الرسل ، قال لهم : « اذهبوا ، وتعلموا جميع الأمم . ذلك ان الحياة المسيحية هي حياة تلمذة ، فالمولود أعمى عندما دافع عن المسيح قالوا له . انك تريد ان تصير له تلميذاً . بل انهم شتموه وقالوا له : أنت تلميذ ذاك ، ونحن تلاميذ موسى .

ان الذى يتبع المسيح ، هو تلميذه ، وفي عهد الرسل يقول الكتاب كان عدد التلاميذ يتكاثر جداً بمعنى عدد المؤمنين . مفروض ان الانسان يتلمذ على حياة المسيح ، والتلمذة ليس معناها ان تسمع محاضرات وكلاماً أو دروساً . إنما التلمذة معناها انك تتلمذ على حياة وتعاليم متحصها وتعيش فيها . وليس مجرد سماع فقط . فكل المؤمنين يسمعون الانجيل في القداسات والصلوات ، لكن هل بهذا صاروا تلاميذ للمسيح ، للإجابة على هذا السؤال ، نبحث الشروط . فإن المسيح قد أعطى شروطاً معينة للتلمذة . اذ قال في يوحنا « ان ثبتم في كلامي فبالحقيقة أنتم تلاميذي » (يو ٨ : ٣١) بمعنى انه ليس لمجرد سماع كلامه انك صرت تلميذاً له . لكن المهم ان تثبت في هذا الكلام وتندرب عليه وتحوله الى حياة . هذه هي التلمذة . والمسيح أيضاً يقول أن هناك أنواعا من الناس لا يمكن أن يكونوا تلاميذ له منهم :

- ١ — من لا يترك أباه وأمه .
- ٢ — من يضع يده على الحراث وينظر الى الوراء .
- ٣ — الذى لا ينكر ذاته ولا يحمل صليبه .

التلمذة اذن ليس معناها مجرد ان تسمع كلاما . فان لم تنكر ذاتك وتحمل صليبك وترتك كل شيء من أجل المسيح لا تستطيع أن تكون له تلميذاً . ويضع المسيح قاعدة أخرى أمام الرسل — للتلمذة — حين يقول لهم بهذا يعرف أنكم تلاميذي ، ان كان لكم

حب بعضكم نحو بعض . والتلمذة اذن حياة معينة ، يتلمذ فيها الانسان على تعاليم وعلى وصايا ، ويقتبس شيئاً ليحيا به .

يعلّمنا إنجيل قداس هذا اليوم تعليماً معزياً وضع عن الحرية الروحية التى لتلاميذ المسيح ، قصد به تشجيع أولئك اليهود الذين آمنوا . فالمسيح إذ علم ان تعليمه قد بدأ يعمل فى بعض سامعيه ، وأدرك أن قوة خرجت منه ، حول حديثه من الفريسيين المتغطرسين ، ووجهه الى أولئك المؤمنين الضعفاء . عندما نطق بالغضب على الذين قسوا قلوبهم فى عدم الإيمان تكلم بالتعزية لليهود القليلين الضعفاء الذين آمنوا به . وهنا نرى كيف ينظر الرب يسوع نظره عطف للمرتعدين من كلامه « (اش ٦٦ : ٥) . المستعدين لقبوله . إن لديه ما يقوله لمن هم آذان مستعدة أن تسمع . عندما يكون الإيمان فى طفولته يعد له المسيح « الركب لتعينه ، والثدى لترضعه ، لكى لا يموت من الرحم » (أى ٣ : ١١ ، ١٢) . وفيما قاله لهم للمسيح نجد أمرين يقولهما لكل الذين يؤمنون فى كل الأجيال . صفات تلميذ المسيح الحقيقى إن ثبتهم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى » عندما آمنوا به كرسوا أنفسهم له ليكونوا تلاميذه . وإذ دخلوا مدرسته وضع هذه القاعدة الثابتة أنه لن يعترف بأحد تلميذاً له إلا من ثبت فى كلامه . هذه تتضمن أن هنالك كثيرين يعترفون بانهم تلاميذ للمسيح مع أنهم ليسوا بالحقيقة تلاميذ ، لكنهم أشباه تلاميذ ، تلاميذ بالاسم فقط .

إن الذين يثبتون فى كلام المسيح هم فقط الذين يقبلون كتلاميذه بالحقيقة ، الذين يلتصقون بكلمته فى كل ظروف الحياة بدون تحيز ، ويتمسكون بها الى النهاية بدون ارتداد . وامتيازات تلميذ المسيح الحقيقى انه يعرف الحق الذى يلزمه معرفته وفيده ، ويزداد ثباتاً فى الإيمان به . إن أولاد الله ليسوا إلا أطفالاً ، ويفهمون ويتكلمون كأطفال . إن الحق الذى يعلمه المسيح يهدف الى تحرير الناس (إش ٦١ : ١) . إن حق الإنجيل يحررنا من نير الناموس . إنه يحررنا من أعدائنا الروحيين . كيف أعثر هذا التعليم اليهود السالكين حسب الجسد ، وكيف اعترضوا عليه . بالرغم من أنه كان تعليماً أتى بأبناء سارة عن الحرية للامسى . ما الذى احتجوا عليه . نظراً لأن المسيح أشار الى أنهم فى حاجة الى الحرية فقد قالوا إننا ذرية ابراهيم ولقد كان ابراهيم رئيساً وعظيماً . جرت العادة ان تفتخر الأسر العاطلة الحاملة الذكر باجداد أسلافها ، وأن تستمد مجداً من اسمهم الذى يجلب عليها العار ، كما فعل اليهود . إنها غلطة شائعة وحماقة ممن لهم آباء أتقياء وثقافة دينية ان يعتمدوا على امتيازاتهم ، ويفتخروا بها . كأنها تكفر عن عدم توفر القداسة الحقيقية لهم . لقد كانوا ذرية

ابراهيم . ولكن ماذا أفادهم ؟ هذا إن كنا قد وجدنا أحدهم في الجحيم يدعوا ابراهيم أباً »
(لو ١٦ : ٢٤) ؟

إن النعمة المُخلصة لا تنتقل إلينا بالوراثة . إننا لم نستعبد لأحد قط كيف كان هذا الادعاء كاذباً كذب مفضوح . ألم تستعبد ذرية ابراهيم للمصريين ؟ ألم يستعبدوا مراراً للأُمم المجاورة أيام القضاة ؟ ألم يسبوا سبعين سنة في بابل ؟ بل ألم يكونوا في ذلك الوقت خاضعين لنير الرومانيين . توضيح المسيح لتعليمه هذا إزاء هذه الاعتراضات أو تفسيره له حيث قدم أربعة أمور .

١ — لقد بين أنهم رغم حرياتهم المدنية أو عضويتهم المنظورة في الكنيسة ، يمكن أن يكونوا في حالة عبودية . كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية حتى وإن كان من ذرية ابراهيم ، ولم يستعبد لأحد قط . « لا إنسان صديق في الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطيء » (جا ٧ : ٢٠) . ومع ذلك فليس كل من يخطيء عبد للخطية ، وإلا كان الجميع عبيداً للخطية ، ولم يوجد بعد عبيد لله . لكن الكتاب يقول كل من يعمل الخطية ، كل من يختار الخطية كل من يفضل طريق الشر عن طريق القداسة (إر ٤٤ : ١٦ — ١٧) . من يقطع عهداً مع الخطية من يدخل محالفاً معها ، ويقترب بها ، ويصنع تدييراً لها ، ويصنع للجسد ، يخرج الشر ، ويتخذ الخطية عادة .

٢ — وبين لهم أن وجود مكان لهم في بيت الله وهم في حالة العبودية لا يملكهم حق ميراث البنين طالما كانوا في حالة العبودية لأن العبد لا يبقى في البيت إلى الأبد . فهو مجرد عبد ، حتى وإن بقى في البيت وقتاً ما : ليس العبد وارثاً لأنه إنما يؤدي خدمة وقتية لا دائمة ، أما ابن العائلة فهو يبقى في البيت إلى الأبد . هذه تشير مبدياً إلى رفض الكنيسة اليهودية والأمة اليهودية . كان إسرائيل ابناً لله ، ابنه البكر . لكنهم انحطوا إلى حالة العبودية ، ولهذا فرغم اطمئنانهم بعضوية كنستهم بفضل حقوق ميلادهم ، أخبرهم المسيح . إنهم إذ جعلوا أنفسهم عبيداً فلن يبقوا في البيت إلى الأبد .

٣ — وبين لهم طريقة التخلّص من هذه العبودية إلى « حرية مجد اولاد الله » (رو ٨ : ٢١) . إن حالة الذين استعبدوا للخطية محزنة جداً . لكن شكراً لله لأنها ليست ميسة ؟ كما أن امتياز كل البنين في البيت ، ومحوهم عن الخدم ، هو أنهم يبقون في البيت إلى الأبد ، هكذا الابن البكر بين إخوة كثيرين ، الوارث لكل شيء له سلطان تحرير العبيد ، وسلطان الدعوة إلى التّنبؤ . « ان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً » (يو ٨ : ٣٦) . والذين يحررهم المسيح فبالحقيقة يكونون أحراراً .

٤ — وطبق المسيح هذا على هؤلاء اليهود غير المؤمنين ، المتأحكين ، رداً على افتخارهم بعلاقتهم بأبراهيم أنا عالم علم اليقين انكم ذرية ابراهيم . لكنكم تطلبون ان تقتلوني ، ولهذا فقد خسرتم شرف علاقتكم بأبراهيم لأن كلامي لا موضع له فيكم إن المرائين المتغطرسين ، الذين يفتخرون بأجدادهم وثقافتهم يدينهم الله من افواههم . إن السعى في قتل أى انسان برىء جريمة شنيعة جداً ، أما السعى فى قتل ملك الملوك فقد كان جريمة لا يمكن التعبير عن شناعتها .

هنالك أشخاص كثيرون يتظاهرون بالدين مع أن كلام المسيح لا موضع له فيهم . إنهم لا يسمحون له بمكان فى قلوبهم لأنهم لا يحبونه . والشيطان يبذل كل جهده لكى ينزعه . نرى السيد المسيح له المجد واليهود على طرفى تقيض . هو يسعى لاقناعهم وتجديد حياتهم ، أما هو فإنهم يسعون لمناقضته ومقاومته . إنه يوضح الفرق بين إحساساته وإحساساتهم ويتبع أصله . أنا أتكلم بما رأيته عند أئني . وأنتم تعملون ما رأيتم عند ابيكم . نجاهه يتحدث عن أبوين . وهذان الأبوان هما : الله ، والشيطان . وبدون مناقضة كل منهما يختلف عن الآخر تمام الاختلاف . كان تعليم المسيح من السماء كان يتمشى مع المشورة الأزلية ومع الحكمة اللانهائية ، ومع مقاصد المحبة الأبدية . كانت أعمالهم من جهنم أنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم . عندما تعملون فواضح من هو الذى تشبهونه ، كما أن الطفل الذى ينشأ مع أبيه يتعلم كلام أبيه وطباعه ، وينشأ مثله بالتقليد كما بالمحاكاة الطبيعية هكذا كان أولئك اليهود . فإنهم بمقامتهم الخبيثة للمسيح وللانجيل تشبهوا بإبليس كأنهم قد أقاموه أمامهم كمثال يحتذون به . وكشف عن افتخارهم الباطل بعلاقتهم بأبراهيم وبالله كأبويهم ورد عليهم . وبين بطل وكذب ادعاءاتهم . إذ قال : إن أولاد ابراهيم يعملون أعمال ابراهيم ، لكنكم لا تعملون أعمال ابراهيم ، ولذلك فلسم أولاد ابراهيم . إن الذين يريدون أن يظهروا أنفسهم بأنهم ذرية ابراهيم يجب عليهم ليس فقط أن يكون لهم إيمان ابراهيم ، « بل ان يعملوا أعمال ابراهيم » (يع ١٢ : ٢١ ، ٢٢) .

يجب أن يلبوا دعوة الله كما فعل ابراهيم ،
يجب أن يضحوا بأعز ما لديهم من أجله .
يجب أن يكونوا غرباء وزلاء فى هذا العالم ،
يجب أن يحتفظوا بعبادة الله فى عائلاتهم ،
ويسيروا دائماً أمام الله فى كلهم » (تك ١٧ : ١) لأن هذه كانت هى أعمال ابراهيم .
فيجب علينا أن نهرب من الافتخار بالحسب والنسب حتى نعيش متمتعين بسلام الله الكامل بنعمة ربنا . الذى له المجد الى الأبد . آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الثالث من الخماسين المقدسة

نور العالم

« أنا هو نور العالم . من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة »
(يوحنا : ١٢) .

إن حجر الزاوية فى المسيحية هو لاهوت المسيح . ولو سأل سائل : أين البراهين على أن المسيح هو ابن الله ؟ لكان الجواب بلا جدال : قيامته من بين الأموات ، لأنه تعين ابن الله بقوة قيامته . ومع هذا فإنه توجد براهين أخرى لا تقل أهمية عن هذا البرهان تتطلب منا التأمل والروية ، ومنها البرهان الذى طالما أغفلنا أهميته ، ألا وهو كلام المسيح نفسه . كثيراً ما نجد أن السيد المسيح يستعمل أقوالاً عن نفسه لا يمكننا أن نفهم معانيها أو مراميها إلا إذا سلمنا بلاهوته . أما إذا لم يكن لنا هذا اليقين فإننا نحكم بأمر من اثنين : إما أن يكون خادعاً أو مخدوعاً ، وحاشا أن يكون كذلك .

وفى هذه الآية المقتبسة نجد السيد المسيح يخاطب الجمع فى الهيكل قائلاً : « أنا هو نور العالم » . فماذا يكون حكمك ؟ تقول أنه قول هراء وسخرية ما بعدها سخرية !! بل ضع هذه الكلمات على شفتى أعظم رجل شهدته الدنيا ، ثم لاحظ النتيجة المترتبة عليه . أقول تثير الضحك والاستخفاف ! بل تصور أن سقراط أحكم جيله قال : « أنا هو نور العالم » . أو دع بولس الرسول ، أو أى عقلية جبارة من معاصرى جيلنا المشهورين ، مهما كانت أعماله الهائلة أو اختراعاته النافعة ، يقول : « أنا هو نور العالم » . ثم لاحظ كيف تسقط مكانته أمامك بمجرد أن ينطق بهذه الكلمة . ومع هذا فإن نجاراً قروياً هو الذى فاه بها ، وهذا القول الخطير لم يقلل مثقال ذرة من قوة كلامه أو مكانته .

وعلى هذا الاعتبار لا يمكننا أن نفعل أهمية كلامه لأنه المقياس المضبوط والمعيار الصحيح الذى تقاس عليه حياتنا وتصرفاتنا فى هذه الحياة . بل هو الناموس الذى به نحاسب يوم الدين . هلموا إذن نشحذ أفكارنا لنفهم أسرار هذه الكلمة : أنا هو نور العالم . إننا نجد فيها ثلاث نقاط جديدة بالملاحظة :

تصريح خطير

« أنا هو نور العالم ». بأى الوسائل يمكن أن يقارن المسيح بالنور ؟ لتأمل فيما يلي :

أولاً — الإرسالية التى جاء لينجزها :

ما هو عمل النور ؟ إنه يعلن الأشياء على حقيقتها ، ويجعل فى مقدور الإنسان إنجاز واجبات الحياة ومطالبها . هكذا جاء المسيح ليُنير العالم ، بل ليوضح للعالم أربعة أشياء :

١ — جاء ليعلن الله : إن الخطية حجبَت الله عنا . وأصبح كل شيء ذا قيمة علمية نعرفه عن الله من قبيل الحدس والتخمين . بل إن معرفتنا عنه ، تعالى ، كانت جزئية سطحية . وهنا يتم قول السيد المسيح : « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو خير » (يوحنا ١٨ : ١) ، « الله الذى قال أن يُشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح » (٢ كورنثوس ٤ : ٦) . إن الإنسان لفي احتياج إلى الله ، بل النفس البشرية لا تفتأ تصرخ طالبة الله . وهذا الاحتياج وتلك الصرخة لا تشبع إلا بالمسيح الذى هو النور ، الذى جاء ليعلن الله للإنسان .

٢ — جاء ليعلن الإنسان على حقيقته : قبل مجيء السيد المسيح كانت الظنون تهم على وجهها عن الإنسان فيما يختص بطبيعته وأحواله . ففى العصور المتعاقبة والأجيال المتسلسلة . قامت ظنون خاطئة عن الإنسان ، كانت بعيدة كل البعد عن الحق ، فسלט عليها السيد المسيح نوره الكشاف فظهر الإنسان كما هو : ضالاً ، هالِكاً ، خاطئاً ، لا حول له ولا قوة . تصور حجرة مكنوسة نظيفة ، ثم أغلقت أبوابها ونوافذها أسابيع أو شهوراً أو سنين ، ثم تصور النور ينساب عند فتح النوافذ إلى جميع أركانها . هكذا المسيح بناموس الحياة يفيض فى مكامن النفس وأفكار القلب بنوره القدسى ، وعندئذ يعلن للإنسان مقياس الحياة السامية ، فتتضاءل المقاييس البشرية لإزائه ، وتتضح للإنسان أيضاً حالته فى بعده وتبعية عن الله . لما جاء السيد المسيح تكشفت أمام الإنسان لأول مرة كل أدناسه وأرجاسه ، كل أدراجه وأوزاره فى بشاعته ورهبتها ، وواجهته آثامه بصورتها الفظيعة .

٣ — جاء ليعلن السماء : قبل مجيئه كانت الآراء والظنون تخبط خطباً عشوائياً حول حقيقة المستقبل وعلاقته بالحياة . ومثل هذه التخمينات وقع فى أشراكها من كانوا يتمسكون بالمعهد القديم . لقد انسدل على المستقبل ستار كثيف ، فكانت أمنية البشرية

الضاربة في بيداء الظنون والأوهام أن يأتي اليوم الذى فيه يوضع حداً للمساوىء والآلام ويسود العدل والسلام . واليهود والأُمم على السواء صعد صراخهم طالبين الخلاص وإكليل الحياة . لكن لم يتحقق هذا الرجاء إلا بمجيء السيد المسيح الذى أبطل الموت وأثار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل ، أورد الإنسان إلى جادة الصواب ، موضحاً له السبيل القويم إلى حياة سعيدة ينعدم منها كل ألم وعناء وتظللها السعادة والهناء . ولكن ليس هذا ما جاء المسيح لينجزه . لأنه لو وقف عند حد إعلان الله فى قداسه والإنسان فى نجاسته والنعم فى سعاده لبقى الإنسان فى شقاوته وتعاسته ، تحرك الآمال فيه كوامن الألم ، لأنه حبيس الشك ، سجين اليأس . لذلك :

٤ — جاء السيد المسيح ليعلن لنا الطريق إلى الله والسماء : وبمجيئه قشع ظلام الخطية ومزق الستار الذى كان يحجب الله عنا ، مبيناً لنا الطريقة التى بها ينجو الخطاة من وزر آثامهم ، فاتحاً لهم الطريق المعبود الذى يوصل إلى الحياة الأبدية . من هذا نرى أن هدف إرسالية السيد المسيح التى جاء لينجزها هنا إنما ليكون نور العالم . وهنا تعرض لنا الحقيقة الثانية فى هذا التصريح الخطير :

ثانياً — العمل الذى أتمه :

لقد رأينا فيما سلف ما جاء ليعمله . وهنا نتأمل فى حقيقة ما فعل . قد رأينا ماذا يعمل النور . إنه يعلن ويوضح .. والآآن نبحت فيما هو النور فى ذاته :

١ — النور مجانى : إننا ندفع ثمناً لأغلب حاجيات الحياة وضروراتها ، حتى النور الصناعى ندفع له ثمناً . أجل ، إن نور الشمس هبة سماوية مجانية تغمر الكون بحرارتها ونورها وتوزع ضياءها على العالم أجمع — لا فرق بين غنى وفقير . هكذا نور الإنجيل المبارك جاءنا فضلاً لا يطلب منا ثمناً من إذلال النفس لكنه بلا فضاة وبلا ثمن .

٢ — النور الحلو : وفى هذا يقول الحكيم : « النور حلو وخير للعينين أن تنظر الشمس » (جا ١١: ٧) . ما أعظم الفرق الذى يحدته نور الشمس واحتجابه ! بل ما أعظم الانبشراح والسرور الذى تحس به فى يوم مُشرق الديباجة مفرغ الشجر ! بينما الانقباض يستولى علينا فى يوم عيوس مظلم ! وإذا ما احتجبت الشمس عنا فترة طويلة فما أعمق الفراغ الذى نحس به ، وما أجمل التقدير الذى يتولد فينا لدى عودتها إلينا ! وهذا هو الحال معنا بالتمام إزاء شمس البر الذى يوزع أشعة الغفران والسلام والعزاء والرجاء ، فائضاً فينا بفرح لا ينطق به ومجيد .

٣ — النور عام وشامل : من مشارق الأرض إلى مغاربها ، شمالاً وجنوباً ، هناك النور . وليس مكان على سطح الأرض إلا وينعم بنور الشمس ، مالم يعيقه الإنسان . هكذا المسيح نور العالم . كان هو النور الحقيقي الذى يُنير كل إنسان آتياً إلى العالم . هو للجميع بدون إستثناء ، وليس هناك من يستطيع أن ينتحل عذراً لعدم إمكانه التمتع بنوره .

٤ — النور ضرورى : إن العالم لا يمكن أن يحيا بدونهُ فهو عماد الحياة البشرية والحيوانية والنباتية . كما أن الأزهار والأشجار والأعشاب لا تنمو إلا به . انظر إلى حديقة ليلاً في أيام الصيف ، ثم ألق عليها نظرة أخرى في الصباح تتأكد أنه لولا النور ما كان الجمال والبهاء والصفاء . وبدون النور لا يمكن أن يسافر الإنسان ، لأن من يسلك في الظلام يجر عليه أوحش العواقب . وهذا ينطبق على الأمور الروحية ، إذ أن حياتنا الروحية ، ونمونا ، وجمال الخصال ، وحسن السجايا ، لا نكتسبه إلا من المسيح نور العالم .

وعد جليل

« من يتبعنى لا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة » . الظلمة ، ماهى ؟

١ — ظلمة الخطية : هذا ما كان يعنيه إشعياء بالظلام الذى يغطى وجه الأرض والظلام الدامس الذى يغشى قلوب الناس وما كان يعنيه متى بالجالسين فى الظلمة . وكل هذا رمز للخطية التى تشوه معالم الحياة فتطمس الفكر والبصيرة والذهن والقلب .

٢ — ظلمة الأحزان : الأحزان ، أيا كان نوعها : أحزان المرض ، والفقر ، والموت .. كلها نشأت عن الخطية .

٣ — ظلمة الشك : إن المتاعب والشك تخلق فوق الكثير من الناس ، ولا يستطيعون لها حلاً أو يحIRON جواباً . يتساءلون لماذا كل هذه ، وكأنه يقتحمون طريقاً من الأشواك . فإلى الذين عذبهم هذه الثلاثة — الخطية والحزن والشك — نقدم الوعد المتضمن فى هذه الآية الجلييلة : « نور الحياة » . نعم ، فمهما كانت ظلمة الخطية حالكة فإن السيد المسيح يستطيع أن يقشعها . ومهما كانت الأحزان فإن السيد المسيح يستطيع أن يمزق أستارها ومهما كانت غيوم الشك فإنه يستطيع أن يطاردها فيبددها ويهب نور الحياة لتابعيه وذويه .

أ — هذا النور في متناولنا دائماً : مع أن الشمس لا تضيء علينا دائماً بسبب ظلمة الليل ، إلا أن السيد المسيح ، شمس البر ، دائم الإشراق . وهو يريد أن يسكب علينا فيض هذا النور دائماً ، اللهم إلا إذا رفضناه .

ب — إنه كافٍ : في كل خطوة من خطوات الحياة تعترضنا الصعاب وتقف في وجوهنا المتعاب ، لكن في المسيح كفايتنا لأن قوته في الضعف تكمل .

ج — إنه لا ينطفئ : كل الأنوار الأخرى تنتهي . حتى الشمس نفسها يوماً ما ستغيب ولا تطلع فيما بعد . لكن الله إلحنا من الأزل وإلى الأبد هو ، « وهو هو أمساً واليوم وإلى الأبد » (عب ١٣ : ٨) . ذاك الذي أضاء حياة هابيل وأخنوخ وموسى وداود وبولس ويوحنا يضيء حياة أولاده الآن . ويحاول الناس في عصرنا هذا — كما حاول غيرهم قديماً — أن يطفئوا هذا النور ، مثلهم في ذلك مثل من يحاول أن يجفف مياه المحيط .

شرط بسيط

« من يتبعني » . مع أن المسيح هو نور العالم إلا أنه ليس كل واحد يتمتع بهذا النور ، إلا من يتبعه . وهنا نتساءل : ما معنى اتباع المسيح ، حتى لا نُحرم من هذه البركة ؟

١ — يجب أن نؤمن بالنور ما دام لنا النور (يوح ١ : ٩) : وكما يجب علينا أن نوفي هذا الشرط للتمتع بالنور الطبيعي ، هكذا الحال مع السيد المسيح ، لكي نتمتع بنوره يجب أن نوجه قلوبنا نحوه . وعلينا أن نسلم ذواتنا له بالتوبة ، ونفتح له أبواب قلوبنا ليدخل بنوره ، فيبدد كل ظلمة ، فنكون أبناء النور .

٢ — يجب أن نسلك في النور : هل نحن متممون للشروط باتباعنا المسيح ؟ لاحظ قول السيد « من يتبعني » . إن الأمر شخصي بين الفرد والمسيح . ليس من يتبع فلاناً أو علاناً بل المسيح . وهذه هي الدينونة ، إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة » (يوح ٣ : ١٩) . وهذا هو الخير الذي سمعناه منه ونخبركم به : إن الله نور وليس فيه ظلمة البتة . إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق » (يوح ١ : ٦ ، ٥) . لا يوجد سبيل بين وبين إما أن نكون في النور أو في الظلام . هل هناك خطية فينا تجعلنا نوصد الباب دون المسيح والنور ؟ أخاف إذا جاء لكي يطهرنا من خطية مدله عزيزة علينا ، فنوصد كل النوافذ مثل ما يفعل النائم حتى لا يعاكسه النور ؟

لننتبه لأنفسنا حتى لا يحول أى شىء بيننا وبين النور . إن قذى صغير قد يعمى العين ، وخطيئة واحدة قد تحجب المسيح عنا . فيجب أن نسير فى النور كما هو فى النور ، ومهما يأتى علينا يكون خير . قد يهجم الظلام ، لكن نستطيع أن نقول : « إذا جلست فى الظلمة فالرب نور لى » (ميخا ٨:٧) . « أما سبيل الصديقين فكنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل » (أم ١٨:٤) . ومهما اعترض طريقنا من عقبات فإننا سنتخطاها وندخل المدينة المكتوب عنها : « والمدينة لا تحتاج إلى الشمس والقمر ليضيئا فيها لأن مجد الله قد أنارها والحروف سراجها » (رؤ ٢١:٢٣) . « فهلّم نسلك فى نور الرب » (إش ٥:٢) .

وله المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الأحد الثالث من الخماسين المقدسة

ماء الحياة

من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش الى الأبد (يو ٤ : ١٤) .

مع قوة القيامة المجيدة ، التى ظفرت بالموت والهاوية وفتحت الفردوس المغلق وصرفت الحراس الملائكية ، وأعادت آدم وبنيه الى الأخدار السماوية ، ظل رب المجد مع كنيسته وشعبه مدة أربعين يوماً ، وذلك بجسده الطاهر الأقدس ودمه الزاكي الأنفس .

وفى الأسبوع الماضى قدمت الكنيسة جسد المسيح باعتباره خبز الحياة وهى تقدم لنا اليوم دم المسيح باعتباره ماء الحياة . وفى حديث رب المجد مع المرأة السامرية ، قد كشف لنا عن اسرار إلهية وحكمة سماوية ، ذلك لأن كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً والماء الذى يعطيه هو فمن يشرب منه لا يعطش الى الأبد ، ونجد أنفسنا أمام مقارنة بين ماء هذا العالم الذى يشرب منه يعطش وماء الحياة الذى يشرب منه لا يعطش .

أولاً — ماء هذا العالم يقع فى ثلاث صور :

١ — محبة المال :

ان محبة المال ماء ملح من يشرب منه يزداد عطشاً ، والمحبة لئاله (وقد استعبد له) لا تقف أطماعه عند حد وفى سبيله يرتكب شروراً كثيرة ، والذى يبتغيه يضل عن الإيمان ، ويظعن نفسه بأوجاع كثيرة والذى يعيش لأجله فقط فهو البائس والفقير والأعمى والعريان دون أن يعلم أن باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح . وان كان المال فى حسن استخدامه نعمة وطيدة ، ففى استعباده للانسان نقمة شديدة كالماء المالح من يشرب منه يعطش أيضاً .

٢ — محبة العالم :

هى أيضاً ماء ملح ان من يشرب منه يعطش . فأطماع هذا العالم وملذاته ومناهجه لا تصل الى حد ودائماً يطلب معها الانسان المزيد . وان كانت محبة العالم عداوة لله ، فليس فى العالم إلا شهوة العيون وشهوة الجسد وتعظيم المعيشة والعالم يمضى وشهوته .

٣ — محبة الذات :

هى أيضاً ماء ملح لا تعطى شعباً لقلب ولا رياء لنفس والمحبة لذاته عدو للانسانية ،

والمجتمع الذى يعيش فيه اذ تسوده الكبرياء والانانية وأطماع الذات ليس لها حدود قال فيها أحد الحكماء : لو أوتى الانسان جبلا من ذهب لطلب حصاة للمزيد .

ثانياً — الماء الذى يعطيه السيد المسيح يقع فى ثلاث صور :

١ — الايمان :

قال رب المجد من آمن بى ... تجري من بطنه أنهار ماء حى ينبع حياة أبدية فالإيمان هو ماء الحياة الذى من يشرب منه لا يعطش والايمان هو عطية الله . بالنعمة أنتم مخلصون بالايمان . وهذا ليس منكم بل هو عطية الله وأنهار الإيمان يجريها الروح القدس فتشبع القلوب وتتغذى النفوس .

٢ — المحبة :

هى أيضاً ماء حى يروى النفس العطشى ، ويشبع القلب الجوعان لأن المحبة هى الله — والله محبة . ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله . وإن كانت النفوس المتعطشة الى ماء الحياة تنال ربها ، كذلك النفوس المتعطشة الى المحبة تشبع منها وترتوى فهى جداول ماء ينبع حياة الأبد .

٣ — الرجاء :

وهو ثالث الفضائل السمائية ، التى هى الايمان والمحبة والرجاء وإن كان الرجاء سنداً عظيماً مشبعاً للنفوس — فالرجاء أيضاً صخرة روحية تنحطم عليها كل شدايد الحياة وشورور هذا العالم ، وهذا هو رجاؤنا الذى يشبعنا فى هذا العالم . اننا نترجى قيامة الأموات والحياة فى الدهر الآتى :

ثالثاً — ان كان خبز الحياة هو جسد المسيح الأقدس ، قدم المسيح أيضاً هو ماء الحياة الأنفس :

فعندما انفجر الجنب الطاهر المطعون ، من أثر الطعنة النجلاء — فاض بالماء والدم الذى صار لنا طهراً وخلصاً ونعمة وحياة أبدية لمن يتناول منه . أولئك الذين اغتسلوا بدمه ، وتطهروا بمائه أخذوا عربون الحياة الأبدية والرجاء السعيد . ولكن كان خبز الحياة (جسد المسيح) وماء الحياة (دم المسيح) الذى أخذناه باستحقاق محبته ، وعمل نعمته هو تاج بركات القيامة المجيد ، إلا أن هناك بركات أخرى نالها التلاميذ كنتيجة حتمية لهذه القيامة نذكر منها مايلى :

١ — أنه أعطاهم سلاما :

يسكن معهم ويدوم فيهم سلامى أعطىكم سلامى أترك لكم . وكان سلاما مثلث الصفات .

١ — في السماء مع الله ب — في القلب مع الضمير — جـ في الناس مع العالم .

٢ — أعطاهم فرحا برؤيته :

فرح التلاميذ إذ رأوا الرب . وهو فرح مجيد لا يستطيع أحد أن ينزعه منهم .

٣ — أعطاهم بركة :

إذ وضع يديه عليهم وباركهم — روحيا ، وجسديا .

٤ — وأعطاهم سلطانا :

لقد نفخ في وجوههم قائلا : اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم غفرت لهم ، ومن امسكتموها عليه أمسكت .

وبرز هذا السلطان في نقطتين :

١ — غفران الخطايا وامساكها . ٢ — شفاء الأمراض واخراج الأرواح الشريرة .

٥ — أعطاهم إيعانا وتطويبا لهم :

مشيرا لهم عند حديث الشكر الذى كان لتوما بقوله : لأنك رأيتنى يا توما آمنت — طوى للذين آمنوا ولم يروا . وكان يقصد تطويب إيمانهم .

٦ — أعطاهم كرامة :

كما أرسلنى الآب هكذا أرسلكم أنا . اكرزوا بالانجيل للخليقة كلها . من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدين .

٧ — وأعطاهم كرامة ومجداً :

من يكرمكم يكرمنى ومن يرذلكم يرذلنى ومن يرذلنى يرذل الذى أرسلنى . ومن سقاكم كأس ماء بارد لأنكم للمسيح ، الحق أقول لكم أنه لا يضيع أجره .

رابعاً — ان هذا الماء حاضرا معنا كل حين :

فاذ هو معنا كل الأيام حتى انقضاء هذا الدهر . فمعنى هذا أن خبز الحياة وماء الحياة حاضران معنا ، فمن يقبل اليهما ، ويؤمن بهما ويأكل ويشرب منهما فيحيا الى الأبد . ولكن النبى يقول قديما شعبى عمل شرين ... تركنى أنا الينبوع الحى وحفر لنفسه آباراً مشققة لا تضبط ماء .

ان خبز الحياة ، وماء الحياة حاضران معنا كل حين في كل كنيسة ، وفوق كل مذبح ، وليس عسيرا على أى مؤمن ان يحتويها كل حين ، اذا كان مستعدا ومهيئا لهما . فهللوا أيها الجلياع والعطاش الى البر . الى خبز الحياة وماء الحياة فهو قائم أمامكم وحاضر بينكم اقبلوا تعالوا .. ومن يقبل اليه فلا يخرج منه خارجاً .

خامساً — ان في هذا الماء عربون القيامة من السموات :

قال السيد المسيح له المجد : (من يأكلني يحيا بى) وأنا أقميه في اليوم الأخير . إذن من خصائص القيامة في اليوم الأخير ، أن يكون الانسان متزوداً بهذا الزاد الروحي لأنه هو روح وحياة . قال السيد له المجد : الحق أقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليست لكم حياة فيكم وهو تحذير لمن لا يباليون به ويستهنون به ويباعدون أنفسهم عنه وذلك تطبيقاً لقوله أيضاً لأن من يأكل جسدى ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا أيضاً أثبت فيه . ان كان السيد المسيح الكرمة الحقيقية ونحن الأغصان فمن يثبت في الكرمة يحيا الى الأبد . ولكن ان انفصل الغصن من الكرمة يجف ويكون مصيره الحريق فلنقبل اليه بشوق طالبين منه نعمة وغفراناً ونوالاً للحياة الأبدية . هذه بركات القيامة المجيدة التى تتمثل الآن في افراح وطيدة وأعياد جديدة . وله المجد من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس الجمعة الرابعة من الخماسين المقدسة

ابن الله

لأنى قلت إني ابن الله (يو ١٠ : ٣٦) .

لا يوجد سؤال يشغل أفكار الملايين من البشر كهذه الآية ولكلا يتوهم البعض ان ميلاد الرب يسوع الثانى بالجسد من العذراء القديسة مريم ، يناقض أو يتعارض مع ميلاده الأول الأزل من الآب قبل كل الدهور ، فقد دعى ابن الله ، وذلك ليؤيد ويعزز ألوهيته ويؤكد أنه حقاً الله ظهر في الجسد . فلما أتى ملء الزمان نزل الكلمة القدوس من السماء ، فاتخذ لنفسه ناسوتاً من العذراء المطهرة بروح قدس الله ، وعاش مع الناس كفرد من الناس يجوع ويعطش ويتعب وينام . ويختل بنفسه ليصلى ، فقد « أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس ، واذ وجد في الهيئة كإنسان ، وضع نفسه وأطاع حتى الموت ، موت الصليب » (في ٢ : ٧ - ٨) .

لقد وضع نفسه موضع الانسانية ، إذ أحب أن يكون بديلها في دفع دينها للسماء كاملاً ، لذلك كان من الطبيعي أن يحمل كل آلامها ومتاعبها ، وتمتق نفسه لكل آمالها المضیعة وأمانها ، ولذلك سمح بأن يكون إنساناً كاملاً في كل شيء ما عدا الخطية ، فكان الانسان المعصوم من الخطية ، بخلاف هذا الجنس البشرى الذى غرق بأسره في حمأة الخطية . من آدم لم يخل إنسان واحد من الخطية ، حتى أصحاب المثل العليا وقادة الفكر في كل مراحل الإنسانية بل حتى أنبياءها ودعاة الهدى فيها ، كانت تشوب حياتهم جميعاً شوائب الخطية . فمنهم من كذب ، ومنهم من قتل ، ومنهم من سمح للشهوة الجارفة ان تذهب بلبه ، ومنهم من احتضن الغضب ، أو الشهوة الدنسة ، ان تذهب حتى أفرخت الشهوة الآتمة في قلبه ومنهم من عصى وصية خاصة بعثه الله بها ، وفي ذلك نسمع حديث رب السماء على لسان أشعياء النبی « أبوك الأول أخطأ ووسطاؤك عصوا على » (اش ٤٣ : ٢٧) .

أما يسوع ، فمع أنه بناسوته كان إنساناً ، فقد كان خالياً من كل إثم ، نقياً من كل شائبة ، طاهراً من كل دنس ، لقد كان الانسان البريء الذى أتى ليفتدى الانسانية المذنبه . ولقد سمعناه مرة يواجه البشرية المتمردة العاصية ، التى أحبها فأبغضته ، وأتى ليفتديها فعادته ، بكلمات لا يجرؤ وليد التراب أن يتفوه بها « من منكم ييكتنى على

خطية » (يو ٨ : ٤٦) . فتقف البشرية الجاحدة ، عاجزة عن أن تنسب إليه خطية ما . وشاهدنا أكثر من مرة كيف ان الروح النجس لم يكن ليحتمل دنو شخصه الطاهر القدوس . فسرعان ما كان يشعر بحلوله حتى تملكه الرجفة ، فيصيح طالباً الرحمة (لو ٤ : ٣٣ - ٣٥) .

هذا هو الشخص العجيب الذى جمع الى ناسوته الكامل لاهوته الكامل ، ولم يكن يعرف الناس عنه انه ابن العلى ، وأن فيه كانت الحياة ، وأنه النور الذى ينير كل إنسان ، لأن أسرار السماء العليا أبعد من أن تلم بها كفاية الانسان ، لذلك حين سأل تلاميذه عن نفسه وأنتم من تقولون إني أنا ... وأجابه بطرس أنت هو المسيح ابن الله الحى كان رده على ذلك : « طوبى لك يا سمعان بن يونا ، إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات » (مت ١٦ : ١٥ - ١٧) .

وهذه معرفتنا عن الله ، المعرفة التى أنار ابن الله بها بصيرتنا وأعلنها لنا فى أحاديثه الفريدة وتعاليمه الكاملة . فلماذا يدعى يسوع ابن الله ؟ ومن أين جاءت هذه التسمية ؟ لم يدعى يسوع ابن الله إبتداعاً من المسيحيين ، ولا جهلاً بحقيقة وحدانية الله ، التى يفيض بها الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، ولا شركاً لآلهة أخرى مع الله الذى يدينون بوحدانيته ، وإنما قد دعى به من الرب نفسه قبل تجسده :

+ فقد قال النبى داود فى المزمور الثانى بعد أن تحدث عن الرب وعن مسيحه الرب قال لى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » (مز ٢ : ٧) ، وأخبر ان الرب سيعطيه الأمم ميراثاً لك وإقاصى الأرض ملكاً لك (مز ٢ : ٨) ثم أمر بعبادته اعبدوا الرب بخوف . واهتفوا برعدة . قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق (مز ٢ : ١١ ، ١٢) . فمن هو الابن الذى سيرث الأمم ، ويمتلك أقاصى الأرض ، ويجب عبادته بخوف ، وان من يرفض عبادته يباد من الطريق ؟ أنه ليس بشراً ، لأن الرب قد قال : « أنا الرب هذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر » (اش ٤٢ : ٨) ، ولكنه ابن الله ، يسوع المسيح ، الإله المتجسد .

+ وهو ما تساءل عنه الحكميم فى الأمثال (أم ٣٠ : ٤) من ثبت جميع أطراف الأرض . ما اسمه وما اسم ابنه ان عرفت ؟ والذى ثبت جميع اطراف الأرض هو الله ، وكان كهنة اليهود يقفون حيارى أمام السؤال الثانى عن ابنه ، لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون من هو ابنه وما اسمه ، ولكن فى ملء الزمان عرفنا أنه يسوع المسيح ان الله الذى أرسله مولوداً من امرأة .

+ وجبرائيل الملاك الذى بشر العذراء مرسلًا من الله قال لها « انه يدعى ابن الله »
(لو ١ : ٣٥) .

ولسنا نشك ان ما نطق به الملاك هو أمر الرب الذى حمله إلى العذراء ، كما لا نتصور
ابداً جبرائيل تحدث عن نفسه أو أضاف كلمة من عنده ، ولكن الذى لا شك فيه ان
يسوع المولود من العذراء بالجسد دعى من الله قبل تجسده ابن الله .

+ ونطقت اليصابات بالروح « فمن أين لى أن تأتى أم رضى الئى » (لو ١ : ٤٣) . ولما
ان تتساءل من أعلم اليصابات بهذا السر الخفى ؟ ومن الذى أعلن لها عندما وقفت العذراء
فى مواجهتها وهى حبلى بالابن القدوس ، ولم تكن لتعلم بعد شيئاً عن هذا الحبل الإلهى ،
ان الذى فى احشائها هو ربها ؟ ألم يكن هذا هو اعلان الله على لسان اليصابات أنه الإله
المتجسد وبمعنى آخر ابن الله .

+ وأخيراً جاء يوحنا المعمدان شاهداً باعلان الله نفسه عن ابنه الحبيب مؤكداً هذه
التسمية عندما قال : « وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله » (يو ١ : ٣٤) ،
لأنه رأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتيا عليه . وضوت من التسموات قائلا : « هذا هو
ابنى الحبيب الذى به سررت » (مت ٣ : ١٦ ، ١٧) . واذا كان المتكلم من السماء
هو الله ، فيكون الابن الحبيب الذى فى الأردن هو ابن الله .

فتحن لا نعدو الحقيقة ولا نخرج عن حدود الايمان بواحداية الله عندما نقول ان يسوع
المسيح هو ابن الله الموعود به والمدعو به من الله والذى شهد له الروح القدس على فم
اليصابات وعلى لسان يوحنا المعمدان ، فهو الذى سبق فوعده بأنبيائه فى الكتب المقدسة
عن ابنه الذى صار من نسل داود من جهة الجسد . وتعين ابن الله بقوة من جهة روح
القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا (رو ١ : ٢ - ٤) .

ومعنى هذه البتوة ، يختلف عن معناها فى المفهوم البشرى فهى ليست كبتوة البشر
الجسدية التناسلية ، كما يحاول البعض أن يفسرها ، وإنما هى بتوة ذاتية ، بتفيد وحدة الطبيعة
والجوهر والصفات والإرادة ، كما قال السيد : « أنا والآب واحد » (يو ١٠ : ٣٠) ، وكما
قرر آباء مجمع نيقية (٣٦٨) سنة ٣٢٥ ، انه نور من نور ، اله حق من اله حق . مولود
غير مخلوق مساو للآب فى الجوهر . وفى هذا . قال القديس يوحنا ذهبي الفم : « انه لم
يكن زمان كان ابن الله غير موجود فيه . بل انه ولد من الآب قبل الازل وهو أزلى : لأنه كما
أنه لا يظهر شعاع الشمس بدون نور هكذا لم يكن الآب بدون الابن بل هما معاً أى فى
الوقت نفسه كان الآب مع الابن كما أن النور هو من الشعاع . وكما اننا نفضل اذا قلنا اننا

نعين الشعاع أولاً وبعده النور هكذا نضل أيضاً إذا اعتقدنا أنه وجد الآب أولاً ثم بعده بزمان ولد الابن . كما أن دعوة الرب يسوع ابن الله تفيد التعادل والمساواة بين الله وبين يسوع أى أنهما واحد في الجوهر واللاهوت « ليكونوا واحداً كما اننا نحن واحد » (يو ١٧ : ٢٢) .

كما دعى يسوع ابن الله نظراً لولادته من العذراء بطريقة غير بشرية وليس من زرع بشري ، بل بروح الله . الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله » (لو ١ : ٣٥) . وفي حدود عقولنا البشرية وباللغة التي تدركها مشاعرنا ، كلمنا الله وغير لنا عن ذاته لتحوط افهامنا معرفته ، لهذا نقرأ في الكتب المقدسة ، ويكتب العلماء عن : وجه الله ، وعين الله ، ويد الله ، وفم الله ، وأصبع الله ، وما شاكل ذلك . ولم يفكر أحد مطلقاً في أعضاء جسدية للذات الإلهية ، بل نفهم على أن وجهه يعنى رضاه ، وعينه تعنى عنايته ، ويده أى قدرته . وهكذا يجب أن نفهم ان ابن الله ليست أكثر صعوبة من هذه التعبيرات والتشبيهات ، فينصرف التفكير ونأخذها بمعناها الروحي « أن الآب فى وأنا فيه » (يو ١٠ : ٣٨) . وللبنوة أكثر من معنى ، فقد استعملت كلمة ابن في عدة مواضع بمعان مختلفة نذكر بعضاً منها على سبيل المثال :

١ - الخلق :

كما قيل آدم ابن الله (لو ٣ : ٣٨) ، أى أن الله خلقه ، كما دعى البشر أبناء الله لأنه خالقهم . أليس أب واحد لكلينا . أليس اله واحد . خلقنا (ملا ٢ : ١٠) .

٢ - الوطن :

كقول الكتاب بنو صهيون (مز ١٤٩ : ٢) ، وابنة أورشليم (صف ٣ : ١٤) وكما نقول نحن ابن مصر وأبناء النيل .

٣ - التلمذة :

كما قيل بنى الأنبياء (مل ٢ : ٩ : ١٠) أى تلاميذ الأنبياء .

٤ - التبني :

كما ذكر عن يسوع أنه ابن يوسف (لو ٣ : ٣٣) ، وان كان يوسف ليس أباً ليسوع ولكنه خطيب يوسف فقط حسب الناموس ، ولكن اعتبر مجازاً أباً وأعتبر يسوع ابناً بالتبني .

٥ - الايمان :

كما يقول الرسول « لأنكم جميعاً أبناء الله بالايمان بالمسيح يسوع » (غل ٣ : ٢٦)
فالمؤمنون نالوا البنوة بإيمانهم .

٦ - الصفة :

كما قيل أبناء النور (يو ١٢ : ٣٦) ، أبناء المعصية (كو ٣ : ٦) ، ابن السلام (لو ١٠ : ٦) .

وهذا يعنى ان هؤلاء قد اكتسبوا صفات النور أو المعصية أو السلام . فان كنا نقبل ونستعمل كلمة ابن بهذه المعاني وغيرها ، وهي لا تعنى أبداً ولادة جسدية بشرية ، فلماذا لا نتقبلها متى قيلت عن يسوع انه ابن الله ؟ ولماذا لا نتفهمها خارجا عن دائرة المعنى الحرفى الجسدى ؟ وعلى هذا يتبين لنا أن هناك :

+ بنوة حقيقية طبيعية هى بنوة يسوع لأنه من ذات الطبيعة الإلهية ومن ذات الجوهر الإلهي « وحل فيه كل ملء اللاهوت » (كو ٢ : ٩) وهو بهاء مجده ورسم جوهرة (عب ١ : ٣) .

+ وبنوة مجازية بالنعمة والعطية لكل المؤمنين .

+ ابوة عامة لكل المخلوقات لأن الله خالقها وعلة وجودها ، ولأن البشر أصبحوا أبناء الله بالإيمان .

+ وأبوة خاصة هى أبوة الله الآب لابن يسوع المسيح . فبنوة يسوع لله هى غير بنوة البشر .

فالأولى حقيقية طبيعية ذاتية « المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح » (يو ٣ : ٦) .

أما الثانية فهى معنوية لأن الله هو خالق البشر ومصدر وجودهم أليس هو أباك ومقتنيك . هو عملك وأنشأك (تث ٣٢ : ٦) . وكقول الرسول : « لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد » (أع ١٧ : ٢٨) . فالبشر أبناء لله باعتباره خالقهم ومصدر وجودهم والمعنى بهم وفاديتهم ، بينما يسوع ابن الله قد اشترك فى الخلق (عب ١ : ٢) ، (أم ٨ : ٣٠) وهو الذى صنع لنا الفداء . لهذا دعى الابن الوحيد الحبيب (مر ١٢ : ٦) الذى لا يشاركه أحد فى هذه البنوة . « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) . ولو تركنا جانبا المنطق

والتفسير الذى اثبتنا به بما لا يدع مجالاً للشك أن يسوع ابن الله هو الله ظهر فى الجسد .
الأقنوم الثانى ، الواحد مع ابيه فى الجوهر . لوجدنا بين ايدينا الدليل المحسوس والبرهان
العملى ان يسوع هو الإله المتجسد ، وذلك بدليل :

أولاً — سلطانه المطلق :

فقد دفع الآب كل شئ فى يده (يو ٣ : ٣٥) ، عناصر الطبيعة خضعت لكلمته
(مت ٨ : ٢٦ ، ٢٧) . الأرواح استغاثت واعترفت بسلطانه (لو ٤ : ٣٥ ، ٣٦ ،
٤١) . الأمراض ذهبت والعاهات زالت بقدرته (مت ٨ : ١٥) ، (لو ٤ : ٣٩) .

ثانياً — براءته من الخطية :

فقد شملت الخطية جميع الجنس البشرى (رو ٥ : ١٢) ، إلا المسيح فقد شهدت له
أنه قدوس الله (مر ١ : ٢٤) والأنبياء أخطأوا واستغفروا عن خطاياهم « أما يسوع فكان
البار القدوس » (أع ٣ : ١٤) المولود بروح الله ، الذى تنزه عن الشر والخطية ، وأحب
الخطاة ودعاهم الى القداسة ، وتحدى اليهود والعالم قائلاً : من منكم يكتنئ على خطية
(يو ٨ : ٤٦) ، لأنه بلا شر ولا دنس (عب ٧ : ٢٦) بل وله سلطان أن يغفر
الخطايا

ثالثاً — إقامة الموقى :

فهو رب الحياة ، الذى بيده مفاتيح الهاوية والموت (رؤ ١ : ١٨) . ولهذا نادى ابن
أرملة تايين فقام من نعشه ودفعه الى أمه (لو ٧ : ١٤ — ١٥) ودعا لعازر من القبر بعد
أربعة أيام فقام ، وقال لهم حلوه ودعوه يمشى (يو ١١ : ٤٣ ، ٤٤) . وسيقيم الأموات
فى اليوم الأخير « لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى كذلك الابن أيضاً يحيى من يشاء »
(يو ٥ : ٢١) .

رابعاً — دينونة العالم :

فى ذلك اليوم عندما يقف أمامه الجميع فيعطى كل واحد حسب عمله ويميز بعضهم
من بعض هؤلاء الى الملكوت وأولئك الى العذاب الأبدي (مت ٢٥ : ٣١ — ٤٦) .
« لأنه العتيد ان يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته » (٢ تي ٤ : ١) ، وذلك
لأنه الابن صانع الفداء والخلاص لكل العالم ، لهذا الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل
الدينونة للابن (يو ٥ : ٢٢) وعليه لابد اننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال بكل
واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً (٢ كو ٥ : ١٠) .

خامساً — مجده الإلهي :

فقد أعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة (دا ٧ : ١٤) . ويقدم له السجود والأكرام لكي تحثو باسم يسوع كل ركبة من في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض (في ٢ : ١٠) ، وهذا ما رآه يوحنا أيضاً في السماء (رؤ ٥ : ٨ ، ٩) .

سادساً أكال ناموس :

لم يأت ابن الله لينقض الناموس ، كما فهم البعض ، وإنما ليكمل الناموس ، ويسمو به فوق اللفظ وينقل به من الحرف الى الروح ، وليعطى مفاهيم جديدة للشرعة التي عرفت على انها فروض وطقوس وغسلات وتطهيرات جسدية لا تفيد . فهو كصاحب الناموس صحح هذه الأوضاع ووضع مبادئ ملكوت السموات وشرعة الكمال ، عندما قيل : « سمعتم أنه قيل ... أما أنا فأقول » (مت ٥ : ٢١ — ٤٨) . وظهر هيكله من معتصبيه ومدنسيه (مت ٢١ : ١٣) .

فإن كان الله تعالى هو صاحب السلطان المطلق ، رب العالمين القدوس ، الذي يقيم ونحیی من الموت ، الديان الذي وحده له السجود والاکرام ، صاحب الناموس والشرعة ، رب الهيكل . ورأينا يسوع ابن الله له نفس السلطان والقدرة والقداسة والسجود والتقنين والتشريع . فهو إذاً رغم كل مكابرة الله ظهر في الجسد ولو أنه دعى ابن الله . وله المجد الدائم الى دهر الدهور آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الرابع من الخماسين المقدسة ابن الله

« أنت المسيح ابن الله الحي » (يوحنا ٦: ٦٩) .

ينبغي أولاً أن نبين أن كلمة « ابن » لا تعنى هنا البنية الجسدية ، فهذا مستحيل . ومن يتصور ذلك يضل ضلالاً ميبئاً . فهي تطلق على معاني كثيرة غير المعنى الجسدى فنقول مثلاً « ابن العلم » و « ابن النيل » و « ابن مصر » و « ابن النعمة » وهكذا . إذن لفظ « ابن الله » لا تعنى أبداً المعنى الجسدى إنما تعنى « ذات الشيء » .

وهذا الاسم « ابن الله » هو أحد أسماء المسيح الكثيرة . فهو يدعى « ابن الله » و « ابن الإنسان » و « الله » و « الكلمة » و « عمانوئيل » . واسم « ابن الله » يُشير إلى لاهوته ، أو بمعنى آخر ، إلى طبيعته اللاهوتية . فإذا قد تجسّد وراه الناس بعيونهم كان لابد لهم أن يعرفوا أن ناسوته هو الظاهر لهم ، وأن لاهوته لا يُرى بالعين ، وإنما تشهد له أعماله وأقواله ومعجزاته وحياته . فهو يجمع في شخصه معنى اللقبين « ابن الله » و « ابن الإنسان » و « ابن الله » إشارة إلى لاهوته و « ابن الإنسان » إشارة إلى ناسوته . وكل ما يتعلق باللاهوت يُشير إليه لقب « ابن الله » وكل ما يتعلق بالناسوت يُشير إليه لقب « ابن الإنسان » . فعندما قابل الأعمى الذى فتح عينه وأراد أن يعلن له لاهوته قال له « أتؤمن بابن الله » ولم يقل له « أتؤمن بابن الإنسان » . لكن عندما حضر إليه يهوذا ليسلمه قال له « يا يهوذا أقبلة تسلم » ابن الإنسان » ولم يقل له أقبلة تسلم « ابن الله » لأن المسيح بحسب لاهوته وسلطانه ما كان يسمح لإنسان أن يسلمه أو يعتدى عليه ، لكن تنازلاً منه سمح بذلك لكى يتم مقاصد القداء . وكلمة « ابن » تعنى « المعادلة » و « المساواة » . فالكتاب المقدس يعلمنا أنه عندما شفى الرب يسوع المسيح الرجل المشلول منذ ٣٨ سنة ، أراد اليهود أن يقتلوه لأنه شفى فى سبت . فأجابهم يسوع قائلاً : « أئى يعمل حتى الآن وأنا أعمل » . « أئى » و « أنا » . أى أنه ساوى نفسه بالآب . وقد فهم اليهود قصده جيداً ، كما يذكر ذلك الكتاب قائلاً : « فمن أجل ذلك كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً إن الله أبوه ، معادلاً نفسه بالله » (يوحنا ٨: ١٨) . وقد صدق يسوع على فهمهم هذا فاستطرد يقول : « لأنه كما أن الآب يُقيم الأموات

ويحيى كذلك الابن أيضاً يُحيى من يشاء » (يوحنا ٢١:٥) . ونحن نعلم أن الذى له السلطان لكى يُحيى من يشاء هو الله وحده . فكما أن أقنوم الآب له هذا السلطان هكذا أقنوم الابن له نفس السلطان . إذن كلمة « ابن » تعنى المساواة والمعادلة .

كذلك كلمة « ابن » تعنى « ذات الشيء أو عين الشيء » كقول الكتاب : « ليس الله إنساناً فيكذب أو ابن إنسان فيندم » (عدد ٢٣: ١٩) . وواضح هنا أن « ابن إنسان » هو « إنسان » وهكذا « ابن الله » هو « الله » .

وللأول يظن البعض أن لقب « ابن الله » أقل شأنًا من لقب « الله » حرص الوحي على أن يذكر في كثير من المواضع أن يسوع المسيح هو « الله » . ولنبين ذلك : « في البدء كان الكلمة . وكان الكلمة عند الله . وكان الكلمة الله » (يوحنا ١: ١) .

في « البدء كان الكلمة » ولنلاحظ أولاً أن « الكلمة » لقب آخر من ألقاب المسيح له دلالة رائعة فالكلمة هى وسيلة التخاطب والتفاهم بين الناس . ولما كان المسيح بتجسده وظهوره كأنسان واسطة التفاهم بين الله والناس ، فقد دعى « الكلمة » . وهذا ما أوضحه الرسول بقوله : « الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذى جعله وراثاً لكل شيء ، الذى به أيضاً عمل العالمين ، الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهرة وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته . بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعلى » (عب ١: ١-٣) .

« كلمنا ... في ابنه » تفسر لنا لماذا دعى المسيح « الكلمة » . ومن المناسب أن نلاحظ في هذه الآيات الرائعة الإشارة إلى عظمة لاهوت « الابن » ، ومساواته لجوهر الآب (أى طبق الأصل) ، وقدرته اللانهائية التى لا يتصف بها إلا الله جلّت قدرته .

ثم نعود إلى ما قاله يوحنا في افتتاح إنجيله عن لاهوت السيد المسيح ، فنلاحظ أن « في البدء كان الكلمة » إشارة إلى أزليته . و« كان الكلمة عند الله » إشارة إلى أقنوميته . و« كان الكلمة » « الله » إشارة إلى لاهوته أو إلى أنه يدعى الله كما يدعى (ابن الله) .

ونقرأ أيضاً أن المسيح هو الله في موضع آخر . « عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد » (تي ٣: ١٦) . وواضح أن الذى ظهر في الجسد هو الرب يسوع المسيح لما أتى من مجده وأخذ جسداً وحل بين الناس ورأوه بعيونهم ولمسوه بأيديهم وتحديث

معههم ومشى في شوارعهم وشفى مرضاهم وأقام موتاهم وصنع معجزاته أمامهم .

وفي سفر الأعمال نقرأ في الخطاب الموجه إلى أساقفة وقسوس كنيسة أفسس ما يأتي : « احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » (أع ٢٠: ٢٨) . وواضح أيضاً أن الذى اقتنى الكنيسة واشتراها بدمه المسفوك على الصليب هو المسيح . وضمير « الهاء » في كلمة « بدمه » يعود على كلمة « الله » السابقة في نفس الجملة . وإذن فبدل أن يقول : « ارعوا كنيسة المسيح التي اقتناها بدمه » قال : « ارعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » ليسجل ويؤكد ويثبت أن المسيح هو الله .

ولم يرد ذلك في العهد الجديد فقط ، بل ورد أيضاً في العهد القديم . فاستمع : « كرسيك يا الله إلى دهر الدهور . قضيب استقامة قضيب ملكك . أحببت البر وأبغضت الإثم .. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الإبتهاج أكثر من رفائك » (مز ٤٥: ٧) . ولنلاحظ أن هذه نبوة عن ظهور المسيح في صورة إنسان ، وعن عماده من يوحنا ، وعن رئاسته الأبدية . وقد أكد الوحي في العهد الجديد أن هذه النبوة تشير إلى « ابن الله » بقوله : « أما عن الابن : كرسيك يا الله إلخ » (عب ١: ٨) .

ولنلاحظ أن كلمة « الله » الأولى زردت بصيغة المخاطب هكذا : « يا الله » والقرينة تبين ذلك لأنه هو الذى مسح بدهن الإبتهاج (أى الروح القدس) في وقت العماد حينما حل الروح عليه . أما كلمة « الله » الثانية فوردت بصيغة أخرى . فهي تشير إلى « الآب » الذى أعلن سروره يوم عماد المسيح . وبعبارة أخرى نجد في هذا المزمور إشارة وبعبارة أخرى نجد في هذا المزمور إشارة إلى « الثالث الأقدس » بكل وضوح .

« يا الله » تشير إلى الابن .

« مسحك الله » تشير إلى الآب .

« بدهن الإبتهاج » تشير إلى الروح القدس .

وفي نبوات إشعياء يقول : « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مُشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام » (إش ٩: ٦) . وآيات أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها .

أرأيت إذن كيف أن الأمور التى تبدو غامضة أو صعبة يمكن فهمها بدرس الكتاب المقدس ؟ فهو كنز المعرفة والحكمة وحتى ما نراه صعباً نقبله بالإيمان ونصدقّه ، لأنه من مصدر الصدق ، ولأن عقولنا المحدودة لا تتسع لكل شيء ، كما سبق وأوضحناه .

والمهم ، أن لا نكتفى بمعرفة هذه الحقائق ، بل نسير بمقتضاها فنخضع لذلك الذى أحبنا وافتدانا ، ونمجده فى حياتنا وتصرفاتنا بأعمالنا وأقوالنا ، ونتبعه كراعينا الصالح ، ونثبت فيه ضد كل الشرور والشهوات ، ونخبر بفضلته وفضائله ، ونحيا حياة التوبة المستمرة وننتظر مجيئه الثانى المبارك القريب . آمين .

عظة انجيل قداس الأحد الرابع من الخماسين المقدسة

نور العالم

أنا قد جئت نوراً الى العالم حتى كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة (يو ١٢ : ٤٦) .

لم يفترق السيد المسيح عن كنيسته مطلقا ، بعد أن ظل يظهر لتلاميذه بعد قيامته مدة أربعين يوما ، وعند صعوده بالمجد قال لهم : ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر . لذلك تقدمه لنا الكنيسة فى آحاد الخمسين المقدسة .

أولا بمجسده المقدس خبز الحياة .
وثانياً بدمه الكريم ماء الحياة .
وثالثا بفاعلية الجسد مع الدم نور العالم .

فمن يأكل من هذا الخبز (فلا يجوع ومن يشرب من هذا الماء فلا يعطش) وينبثق فيه نور الحياة وذلك لأن فى المسيح كانت الحياة والحياة كانت نور الناس ، والنور يضىء فى الظلمة والظلمة لم تدركه . ومن هنا جاءت حكمة الارتباط بين فصول الخمسين المقدسة الكتابية اذ يقول لنا اليوم

١ — أنا قد جئت نوراً للعالم :

معلوم ان الله نور ليس فيه ظلمة . انه ساكن فى النور الذى لا يدنى منه ، وتسبحه ملائكة النور . والمسيح شمس البر نور من نور ، وهو النور الحقيقى الذى يضىء لكل انسلنا آت الى العالم .

وهو أشرق جسدياً بميلاده من العذراء . وأضاء على الجالسين فى الظلمة ، وظلام الموت . وهو بقيامته أثار لنا طريق الحياة والخلود أشرق على ظلمة القبر فبدد عز الموت وظلام الخوف .

+ الله أثار فى قلوبنا :

الله الذى قال إنه يشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه المسيح .

كما قال الله قديماً فى الخلق . ليكون نور فكان نور (تك ١ : ٣) هكذا أيضاً بقيامته

المقدسة أشرق في قلوبنا ، وأثار مثل خلقة جديدة في وسط الظلام لنرى مجد الله في وجه يسوع المسيح . المسيح هو النور الحقيقي . لا يكفي ان نسمع عنه ، بل هو يقدم لنا ذاته نوراً حقيقياً ، لنعرفه ونعيشه ونسلك فيه . فالمسيح بعد القيامة ، يعطينا نفسه لنحيا به ونلمسه هذه هي بركات القيامة . جسدي .. هات إصبعك . وهذا ما عاشته الكنيسة في حكمة الرب يسوع في أناجيل الأحاد السابقة أنا هو خبز الحياة ، أنا هو الماء الحي .

+ ولكن كيف نتمتع بالنور الحقيقي ؟
سيروا في النور . آمنوا بالنور . لتصيروا أبناء النور ، هكذا قال الرب .

+ سيروا في النور ما دام لكم النور .
الذي يسير في النور لا يعثر لأنه يرى نور هذا العالم . فكم وكم الذي يسير خطواته في وجه الله ؟ قال داود المزمع الرب نوري وخلاصي ممن أخاف . وقال أيضاً سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي . فكلمة الرب مضيئة تنير العينين ، وتجعل الهدف واضحاً وخطوات الانسان ثابتة . لذلك حيناً نرى شعاع الكلمة يبرز في حياتنا . ونور الروح القدس الناري يضيء في نفوسنا كنجم المشرق يهدي سبلنا ، فليس علينا إلا أن نسير فيه بلا إرتباك .

+ السير في النور معناه ملازمة الوصية المقدسة ، والتمتع بالأناجيل كل يوم وكل ساعة وفي كل ظروف حياتنا . أما إذا اختفى النور من أماننا فلا بد أن نتعثر ونسقط في حفرة وفخ إبليس .

السلوك في النور كما يعلمنا القديس يوحنا الحبيب « من قال أنه في النور وهو يبغض أخاه فهو إلى الآن في الظلمة » (١ يو ٢ : ٩) من يحب أخاه يثبت في النور وليس فيه عثرة . أما من يبغض أخاه فهو في الظلمة ، وفي الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضي لأن الظلمة أعمت عينيه » (١ يو ٢ : ١٠ ، ١١) .

٢ — آمنوا بالنور :

الايمان بالنور معناه التصديق المطلق والثقة في مواعيد الله كثقة النور أمام الظلمة . وهكذا يترجم إيماننا بالنور في حياتنا العملية عندما نتمسك بأعمال النور ونبغض أعمال الظلمة .

+ الذي يحب الطهارة يبغض النجاسة . ويتضاعه يغلب الكبرياء . وبالقناعة يغلب الطمع ومحبة المال وبوداعته يغلب الغضب . وهكذا يظهر إيمانه بالنور بطريقة عملية ويكمل

فيه قول ربنا « وليضىء نوركم هذا قدام الناس فيروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ١٦) .

إذن الايمان بالنور ليس كلاما ولكن حقيقة . هو رفض كل أعمال الظلمة كما هو مكتوب : لا تشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة ، بل بالحرى وبخوها . ومعلوم جيداً ما هى أعمال الظلمة التى يعملها روح الظلمة فى العالم .

٣ — لتصيروا أبناء النور :

المولود من الله يصير إبناً للنور وهذه هى النعمة التى أخذناها فى المعمودية . لأن المعمودية هى إستنارة . لذلك قيل جميعكم بنى النور ، وبنى النهار لسنا من ليل ولا من ظلمة . والقديس بولس يقول : لكى تكونوا بلا لوم وبسطاء ، أولاد الله بلا عيب فى وسط جيل معوج وملتبس ، تضيئون بينهم كأنوار فى العالم . فان كان هكذا أمر أولاد الله فى العالم . فما أخطر هذا المركز وما أخرج موقفنا اليوم ؟ والسؤال الذى يطرح نفسه الآن ، هل نحن فعلاً نور للعالم ؟ إن عدم تمتعنا بالمسيح الحى فىنا ، وعدم تمتعنا بنور الروح القدس الساكن فىنا ، وإهتمامنا وانشغالنا بالعالميات وانحرافنا وراء شهوات وخطايا كثيرة صرنا أبعد ما نكون عن النور الذى يضىء للآخرين . ولكن هل نعود نشغل نار الحب الإلهى فىنا ، ونندج نار الروح القدس بالصلاة والتضرع ، ونرجع كل واحد عن طريق خطاياه ؟ لعل المسيح ينير دواخلنا وينير بنا للآخرين .

+ أية شركة للنور مع الظلمة :

النور لا يختلط مع الظلمة . هذه حقيقة يعرفها كل واحد . لذلك كيف يكون فى حياتنا خلط مفزع بين نور الحياة مع الله ، وبين ظلمة الحياة فى العالم ؟ نرى هل يتفق روح المسيح وروح العالم ؟ إن بسبب هذا المزج صارت حياتنا ممزقة ، نريد أن نعيش فى النور وأن نتمسك بالظلام فى آن واحد . نريد أن نتمتع بالصلاة وأن نتلذذ بالمسرات العالمية أيضاً . فى أوقات فراغنا نقضى الصباح بعض الوقت فى القداس ثم بعد ذلك لا نفرقنا من أهل العالم فى كلامنا وقضاء وقت راحتنا .

+ لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين (٢ كو ٦ : ١٤)

لأنه أية شركة للظلمة مع النور لا ترتبط فى دخولك وخروجك ومعيشتك مع إنسان لا يؤمن بالنور . وليس له شركة مع الله لئلا تفسد حياتك « لأن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة » (١ كو ١٥ : ٢٣) . المعاشرات الرديئة تفسد العقل وتطمس المبادئ الشريفة وتهون على الانسان السلوك المستقيم . أذكر لوط وكيف سقط بعشرته كأهل سدوم

وعامورة وسليمان كيف انغمس في الشر بسبب سوء العشرة ، وداود كيف سقط سقوطاً مريعاً بنظرة قادته الى القتل والزنا . كثيراً ما يخيل للانسان أنه قوى بمبادئه ، حصين بتريبته ، محوط بعزمه ، مكين في دينه ويدعى وهو غير محصن بقوة المسيح انه قادر أن يقاوم تأثير العثرة الرديئة . إن انساناً كهذا غيى عديم الخبرة قليل المران . فمهما كانت قوته فهو ليس بأقوى من اسكندر المكدوني الذي قال : « غلبت العالم أجمع ولكنى غلبت من غشراء السوء » .

من يتخيل أنه قوى فهو بعد لم يختبر قوة التجربة ، ولا هو اختبر ضعف نفسه . فالتجربة أقوى مما يتصور وهو أضعف مما يظن ، وإذا أردت أيها العزيز أن تفهم هذه الحقيقة على وجهها الصحيح فتذكر أن برتقالة واحدة فاسدة تستطيع أن تفسد مائة برتقالة ، وأن مائة برتقالة صالحة لا تستطيع أبداً أن تصلح برتقالة واحدة فاسدة .

أيها المسيحي احذر وأنت تعاشر رفيقك فقد يكون جميلاً يفوق آلهة الجمال ولكنه خال من الفضيلة ، وقد يكون ظريفاً ولكنه خال من العفاف ، وقد يكون ذكياً جداً ولكنه ساقط دنس : فبعثرتك لأمثال هؤلاء تصبح خالياً من الفضيلة ، خالياً من العفاف ، خالياً من الرجولة ، خالياً من الأخلاق الفاضلة .. نصيحتي لك أيها المسيحي أن تحسن اختيار أصدقائك . ولربنا المجد دائماً ..

عظة إنجيل قداس الجمعة الخامسة من الخماسين المقدسة

الحبة

ليكون فيهم الحب الذى احببتى به (يو ١٧ : ٢٦) .

يعلمنا رب المجد أن الطريق الذى سلكه يجب أن نسلكه نحن أيضاً ، كما رسمه لنا ، لأنه سبق له المجد وسلكه كما قال : « ولكن ، ليفهم العالم ، أنى أحب الآب ، وكأ أوصانى الآب ، هكذا أفعل » (يو ١٤ : ٢١) . وهكذا يجب علينا أن نحبه نحن أيضاً ونعمل بوصاياه حسب مشيئته الصالحة ، مهما كلفتنا هذه الحبة من اضطهادات وتجارب وآلام وجوع وعطش وعرى حتى الاستشهاد فى سبيلها ، أى سفك الدم كما عبر بذلك بولس الرسول قائلاً : « من سيفصلنا عن محبة المسيح ، أشدة أم ضيق ، أم اضطهاد . أم جوع . أم عرى . أم خطر . أم سيف » (رو ٨ : ٣٥) هذه هى الحبة التى يجب أن نفضل فى المؤمنين حتى يكونوا هكذا كما عبر الرسول لأنها طريق الكمال لمن يريد أن يكون كاملاً ، كما أوصانا بذلك هذا القديس نفسه قائلاً : « ألبسوا الحبة التى هى رباط الكمال » (كو ٣ : ١٤) . ولهذا الحبة شروط يجب أن نتبعها ، وأول هذه الشروط هى أن نحب الله من كل قلوبنا كما قال : « أحب الرب الهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك وكل قدرتك » (مر ١٢ : ٣٠) ونحب قريبنا كأنفسنا حسب الأمر الإلهى القائل : « أحب قريبك كنفسك ولا وصية أعظم من هاتين » (مر ١٢ : ٣١) .

إذن الحبة أساس الفضائل وينبوع الآداب . وبدونها لا نحوز فضيلة فلا عبادة ، ولا صلاح ، ولا تقوى ، ولا خشوع ولا صلاة ، ولا تواضع ، ولا صبر ، ولا احتمال ، ولا صدق ، ولا سلام ، ولا امتناع عن خصام ، إلا بالحب وفى المحبة ولأجل المحبة . هى التى ملأت السماء بالبشرىين . إن للمحبة فروعاً كثيرة لا تعد ولا تستقصى . فالانحاد ، والمسامحة ، وروح الاحتمال ، والصدقة ، وعدم الشقاق ، وعدم الحسد ، وعدم الظن السئ . كلها من أولادها ، فهى تلد بنين وبنات مباركين فى قلب الانسان . المحبة أتمن كل شئ وأجمله . المحبة تحتمل المكاره بصبر وهى تجعل المرء خلو ، وتقود الانسان الى العلو ، وترغبه دائماً فى السلام . ذات حلم ومروءة فى كل شئ ، وصاحبها يستريح فى السلام والرحمة الكاملة . المحب لا يطلب ما لنفسه لأن محبة الذات تعدم أمام المحبة الطاهرة . المحب لا يريد خير لنفسه بل يطلب الخير لكل أحد . « فإن كان وعظ ما فى المسيح ، إن كانت تسليمة ما للمحبة ان كانت شركة ما فى الروح إن كانت أحشاء ورأفة . فتمموا

فرحى حتى تفتكروا فكراً واحداً ولكم حبة واحدة . مفتكرين شيئاً واحداً لا شيئاً بتحزب
أو بعجب بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم » (فى ٢ : ١ - ٣) .

الحب لا يتألم من قذح ، ويسر بمدح ، سواء عنده السراء والضراء . قلب الحب عرش
يسكنه الروح القدس ويحل فيه الثالوث الأقدس . فأمسك بالحببة لأنها هى الله .. لأن الله
حبة ومن يشب فى المحبة يثبت فى الله والله فيه » (١ يو ٤ : ١٦) . وبنعمة الله وإرشاده
نتكلم عن نقطتين :

أولاً - تعليم الكتاب عن المحبة :

وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً . كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً
بعضكم بعضاً ، بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى ان كان لكم حب بعضاً لبعض » (١ يو
١٣ : ٣٤ ، ٣٥) . ان كنت اتكلم بالسنة الناس والملائكة ، ولكن ليس لى محبة فقد
صرت نحاساً يطن أو صنجا يرن ، وان كانت لى نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم ، وإن
كان لى الايمان حتى أنقل الجبال ولكن ليست لى محبة فلا انتفع شيئاً . وإن أطعمت كل
أموالى وان سلمت جسدى حتى احترق ، ولكن ليس لى محبة فلا انتفع شيئاً (١ كو
١٣ : ١ - ٣) .

إن قال أحد إنى أحب الله وأبغض أخاه ، فهو كاذب لأن من لا يحب أخاه الذى
أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره . ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله
يحب أخاه أيضاً » (١ يو ٤ : ٢٠ - ٢١) أما غاية الوصية فهى المحبة من قلب طاهر
وضمير صالح وإيمان بلا رياء (١ : ٥) .

ثانياً - نصائح لحفظ المحبة :

احفظ المحبة فى قلبك للجميع ، أكره النفاق والغش والرياء فى كل أمورك ، لا تنم على
أحد قط ، ولا تتجسس على نقائص الآخرين . لا تدين أحداً بل بالحرى أنظر الى ذاتك .
لا تغترب أحداً ولا تقل فيه كلمة تخاف ان تقولها فى حضوره .

لا تنقل كلاماً سمعته إذا رأيت فيه هدماً لصيت قريبك . أبعد عن الفتن ، أهرب من
بذر الخصومات . لا تكن عنيداً أو مستبداً برأيتك ، بل استعن المشورة ، وأقبل كلام
الحكماء . عامل من هم أكبر منك بالاحترام ، والمساوين لك بالحبّة واللطف ، والذين هم
أصغر منك بالبشاشة والدعة ، لكى تستميل الجميع الى محبتك . لا تظهر كراهة لأحد ،

ولا تعرض عن سماع كلام أحد . أحسن ظنك في الجميع ، يحسنوا ظنهم فيك ، وتكون موضوع ثقتهم ومحبتهم . عامل الناس بما تريد أن يعاملوك به . « وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا » (لو ٦ : ٣١) . إنك إن حفظت ذلك كله تحب الجميع ويحبك الجميع .

قال القديس اوغسطينوس : حيث المحبة فهناك الله موجود فأمتلك المحبة يكن الله في قلبك جالسا على عرشه . قال ايونا القديس العظيم الانبا انطونيوس : أحب كل أحد ، وإذا لم تستطع فلا أقل من أن لا تبغض أحداً ، ولن يتيسر لك شيء من ذلك ما دمت تحب العالميات . ما أحسن المحبة المتبادلة بين الأخوة . وما أسعد العائلة بالاتفاق . فان اجتماع أولاد وبنات أيوب معا من وقت لآخر كان دليلا على محبتهم بعضهم لبعض واتفاقهم معا وقضاء أيامهم بالصفاء والسلام . يقول شاعر هندي (رابندرانات تاجور) . يارب علمني أن أحب الناس كما أحب نفسي ، وعلمني أن أحاسب نفسي دون أن أدين الآخرين .

قالت ساعة لأختها : أنت من الذهب الخالص ، وأنا من المعدن الرخيص . ولكن مع ذلك نسير معا ، وندق معا : ونتساوى في بيان الأوقات . وكذلك نحن البشر : فينا الغنى ولد وفي فمه ملقعة من الذهب . وفينا الفقير الذي استقبل الحياة في كهف معتم ، وخرقة بالية ولقمة بغير ادام ولكن هذا الفقير يستطيع ان يقول لذلك الغنى ما قالته الساعة الرخيصة لأختها الثمينة : يجب أن نعيش معا ونعمل ، لأنني في فقري أخدم المجتمع مثلما تخدم أنت في غناك .

أعجبتني قصة واقعية للأم الراهبة ماري عن القدوة المثالية في محيط المحبة المسيحية : التي من فرط حنانها ومحبتها المسيحية الكاملة ، تعنى باليهوديات البائسات وتصحبهن وهن في الطريق الى افران الغازات النازية للتصفية الجسدية . وقد حدث في إحدى المرات بينا كان فوج من أولئك البائسات في طريقهن الى مصيرهن الحزين المحتوم ، أن رفضت اجداهن ان تفرق عن طفلها الرضيع . وكان الضابط المسئول لا يمه إلا أن يقدم للموكلين بتنفيذ حكم الاعدام عدداً معيناً من النساء ، فلم يكن من الراهبة ماري إلا أن تحت الأم اليهودية ورضيعها ، وحلت مكانها في صف المحكوم عليهن بالموت ونفذ فيها الحكم فعلا وقد أحاطت وجهها هالة من النور . وهكذا كانت الراهبة الأم ماري بهذا الصنيع ، قدوة رائعة مثالية في المحبة ، أبلغ في تأثيرها على النفوس من مئات العظات وآلاف صفحات النصح والإرشاد .

إذا سادت المحبة مجتمعنا أصبحنا أخوة في المسيح يسوع ربنا . ومن صفات الأخوة الصادقة اللطف في الشعور والكلام والشفقة الصادرة عن عاطفة قلبية مباركة مقدسة والتسامح كما ساعنا الله أيضاً في المسيح يسوع ربنا . وينطوى التسامح على معنى التبادل فإن من يغفر اليوم قد يكون غداً مسيئاً فيحتاج الى من يصفح عنه كما صفع هو بالأمس .

وختام الأمر كله أن الأساس الذي يجب على المسيحي أن يبنى عليه حياته الخاصة هو المحبة التي تستمد كيانها من الله . فإن أحببنا بعضنا بعضاً اختفت من حياتنا الخاصة جميع الرذائل بأنواعها وأشكالها وتحلت فينا أزهار المحبة الياقة وثمارها الناضجة ونصير بالحق أغصاناً مثمرة في كرم الرب يسوع ونصير أيضاً راحته الذكية . الذي له المجد من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الخامس من الخماسين المقدسة الوصية الجديدة

« الذى عنده وصاى ويحفظها فهو الذى يحى » (يو ١٤: ٢١) .

من كانت فيه محبة الله — فإنه يبذل قسارى جهده لىتم كل وصاياه ، متحاشياً كل ما من شأنه أن يغضبه . بيد أنه يجب أن نحب الله ، لا لأنه غايتنا القصوى الأخيرة فحسب ، بل ولأنه مبدىء حياتنا أيضاً وأصلها ، الخالق العظيم الذى وهبنا الوجود والكيان ، ومنع الوجود والكيان مالا يُحصى من المواهب الطبيعية والفائقة الطبيعة .

فهذا العقل ، وهذه الإرادة الحرة ، كل قوى النفس والجسد ، الصحة والجمال ، وجميع ما نملك من خيرات مادية ومعنوية وروحية ، ثم مواهب النعمة والإيمان : كل هذه ، ولا شك ، هى أسباب وحواجز قوية نختنا جميعاً على محبته .

ومع ذلك فهى أسباب ثانوية ، لأن الله يجب أن نعبه ، لا من أجل عطاياه وخيراتاه فحسب ، بل ، وفوق كل اعتبار آخر ، من أجل ذاته . وإذن ، فإن السبب الأول الذى من أجله يجب أن نحب الله هو : لأنه هو الخير المطلق ، والصلاح بالذات ، الحاوى فى ذاته ، وفى أسمى درجة ، كل كمال ، دون ما حصر أو حد .

سبب مهم آخر يجذبنا إلى محبة الله هو أنه « قد أحبنا أولاً » (١ يو ٤: ١٩) حباً أبوياً سامياً .

وقد أحبنا بمثل هذا الحب الأبوى السامى لا فى لحظة معينة من الزمان ، بل منذ الأزل . أحبنا ، فاجتذبنا من العدم برحمته . يقول : « إلى أحببتك حباً أبدياً ، فلذلك اجتذبتك برحمة » (إر ٣: ٣١) .

ولما كان قد قرر منذ الأزل ، بدافع من حبه ، أن يخلقنا لىشركنا فى نعمة الوجود ، قرر أن يخلقنا على صورته ومثاله : « خلق الله الإنسان على صورة الله خلقه ، ذكراً وأنثى » (تك ١: ٢٧) .

أكثر من ذلك ، لقد شاء أن يرفع حياتنا إلى مستوى حياته ، فمئنا النعمة المبررة التى تجعلنا على نوع ما « شركاء فى الطبيعة الإلهية » (٢ بط ١: ٤) .

أكثر من ذلك أيضاً ، حدد أن نكون مشاهين لابنه الوحيد — لا مشاهين
فحسب ، بل وشركاء لهذا الابن الحبيب يقول الرسول بولس « إن الذين سبق فعرفهم ،
سبق فعيثهم أن يكونوا مشاهين لصورة ابنه ، حتى يكون هو بكاراً بين إخوة كثيرين »
(روم ٨: ٢٩) .

وعند هذا الحد يأخذ العجب من الرسول يوحنا الحبيب ، فهتف قائلاً : « انظروا
آية محبة منحنا الآب ، حتى ندعي ونكون أبناء الله » (١: ٣) .

وقد منحنا الله مع البنوة كل ما ترتب على ذلك من حقوق وامتيازات خاصة بالآب
والابن ، من امتلاك كامل لله وملكوته وسعاده وخلوده : « وحيث نحن أبناء ، فنحن
ورثة ، ورثة الله ، وارثون مع المسيح » (روم ٨: ١٧) .

وعندما سقطنا بغواية إبليس ، الحية القديمة في الخطيئة ، لم يتركنا الله إلى مصيرنا
المظلم ، ألا وهو الموت والردل الأبدى ، بل تداركنا برحمته ، ووعدنا بمخلص قدير
تقوم على يده المصالحة ، يرد الأمور إلى نصابها ، ويكون عهده أوفر رحمة ونعمة لبنى
البشر .

ولما لم يكن في طاقة مخلوق البتة أن يقوم بمثل هذه المهمة السامية ، وأعنى بها مصالحة
البشرية مع خالقها — لأن الإهانة التي أهان بها البشر الله ذا الجلال غير المتناهي ،
هى غير متناهية ، وبالتالي لا يقوى على تعويضها إلا شخص كرامته غير متناهية —
فقد أرسل لنا الله ابنه ، مولوداً من امرأة : « فيه رضى أن يحل الملاء كله ، وأن يصلح
به الجميع لنفسه ، مسالماً بدم صليبه ما على الأرض وما فى السموات »
(كور ١٩: ٢٠) .

فهل بعد ذلك من دليل أعظم على سمو محبة الله لنا ؟! . ولذا يقول القديس يوحنا
الحبيب : « بهذا نتبين محبة الله لنا : أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لنحيا به »
(١ يوح ٤: ٩) .

وقد أبدى الله لنا مثل هذا الحب السامى ، لا ليبادلنا عن حب سابق من جهتنا ،
بل تفضلاً وكرماً « لأن الله محبة » (١ يوح ٤: ٨) . إلا أنها محبة فياضة وغير محدودة .
ومن ثم فهى تعمل المحال لتستطيع أن تشرك فى خيراتها أكبر عدد ممكن من الخليقة
العاقلة . ولذا يقول رسول المحبة القديس يوحنا : « ولما المحبة فى هذا : أننا لم نكن
نحن أحبينا الله ، بل هو أحبنا فأرسل ابنه كفارة عن خطايانا » (١ يوح ٤: ١٠) .

ومحبة الله السامية هذه هي التي تحملها على جعل مسرته في الإقامة بين البشر فيقول :
« لذاني مع بني آدم » (أم ٨: ٣١) ، ولا سيما في الكنيسة التي وعدّها يسوع المسيح
(ابن الله) قائلاً : « وها أنا معكم كل الأيام وإلى منتهى الدهور » (مت ٢٨: ٢٠) .
ومحبة الله السامية هي التي تجعله يتعهدنا بالرحمة ويسهر علينا سهراً يفوق حنان
الأمهات على ثمرة أحشائها . يقول : « أتُنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها ،
لكن ولو أن هؤلاء نسينَ ، لا أنساك أنا » (إش ٤٩: ١٥) . ومحبة السامية هي التي
تجعله ، عن طريق يسوع المسيح ، يهبنا كل ذاته في القربان المقدس ، لنحيا بحياته ونثبت
في محبته . فقد قال يسوع : « من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه .
كما أرسلني الآب الحي ، وأنا حي بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بي »
(يو ٦: ٥٦ ، ٥٧) .

ومحبة الله السامية هي التي تجعله يُظهر لنا ذاته بشتى مظاهر الرحمة والتدبير والعناية .
يقول الرب يسوع : « والذي يحبني ، يحبه أبي ، وأنا أحبه وأظهر له ذاتي »
(يو ١٤: ٢١) .
ولربنا وإلهنا المجد دائماً .

الطريق والحق والحياة

أنا هو الطريق والحق والحياة (يو ١٤ : ٦) .

شعر الرب يسوع باحتياجنا العظيم الى معرفة أقوم السبل المؤدية الى السعادة الحويوية هكذا قال الرب : « قفوا على الطرق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة أين هو الطريق الصالح وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم » (أر ٦ : ١٦) . ورأى كمحجب البشر ان نقصنا المتناهي يستلزم تداخل مراحمه للعمل معنا : « تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيري هين وحمل خفيف » (مت ١١ : ٢٨ - ٣٠) . فأعلن عن ذاته الإلهية فقال : أنا هو الطريق والحق والحياة . هذا هو حديث الرب مع تلاميذه في الأحد السابق للصعود مباشرة — هكذا أدركت الكنيسة .

لقد أكمل الرب كل شيء على الصليب دفع الدين ودفن الموت بموته وأظهر القيامة بقيامته ، وقدم نفسه حياً قائماً من الأموات وأعطانا ذاته خبزاً حياً وماءاً حياً ونوراً للحياة الجديدة فيسوع المسيح فادينا هو :

١ - الطريق :

قال السيد له المجد عن نفسه أنا هو الطريق فلم يقل أنا طريق بلفظ التنكير بل خصص الطريق بالتعريف لكيلا يظن أن هناك طرقاً أخرى صالحة للسير فيها وهو من بين هذه الطرق . لهذا خص ذاته بأنه الطريق الوحيد التي ليس هناك سواها توصل الى الحياة الأبدية . وبهذا عرفنا مخلصنا أنه لم يقر طرقاً خلاصية مشروعة غير ذاته له المجد ، لأنه يريد توحيد القلوب لتكون خليقته الناطقة المخلوقة على شبه كصورتِه ومثاله رعية واحدة لراع واحد » (يو ١٠ : ١٦) .

فالاعتقد بوجود طرق مشروعة متباينة مستقلة للوصول الى الحياة الأبدية اعتقاد خاطيء بيدد شمل وحدة المؤمنين فضلاً عن أنه ضد إرادة الله اعتقاد يهدم الواقع بوجود طرق مشروعة متباينة مستقلة للوصول الى الحياة الأبدية اعتقاد خاطيء بيدد شمل وحدة المؤمنين فضلاً عن أنه ضد إرادة الله اعتقاد يهدم الواقع وينفيه العقل بالبرهان على ضوء كلمة الله ولا يقره العقل بتاتا . إن الله لما اختص الشعب الإسرائيلي قديماً وأعطاه الناموس والوصايا

الأدبية والنظم الطقسية ، لم يشأ له المجد في ذلك الحين أن يعمم تلك الشريعة الخاصة القومية بين مختلف الشعوب والأمم ، لأنها كانت وقتية في بعض نواحيها لأمر خاصة وأغراض معينة ، لسياسة شعب خاص مزعم أن يأتي منه المنقذ الإلهي المختص فادى الجميع « لا يزول قضيب من يهوذا ولا مشترع من بين رجله حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩ : ١٠) . « لأن الخلاص هو من اليهود » (يو ٤ : ٢٢) .

فلما أشرقت المسيحية أمر له المجد بأن تذاع في العالم أجمع « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » (مت ٢٨ : ١٩) « لأن ملء الزمان كان قد كمل » (غل ٤ : ٤) وقت الاستعدادات لمحجى شريعة الكمال وتبياً العالم لقبولها الشريعة الكاملة السامية الحيوية الخلاصية . ومهمة المسيحية توحيد القلوب والمشاعر وإحالة المجتمعات على اختلاف مذاهبها ومشاربها وتباين أخلاقها ومبادئها وتناقض نظرياتها وتنافرها ، الى مجتمع واحد فتكون رعية واحدة لراع واحد . فالسبيل الذى يريده الله كطريق للخلاص لبلوغ حياة الخلود هو سبيل واحد وليس سواه وهو المسيح له انجد : « هوذا عبدى الذى أعضده مختارنى الذى سرت به نفسى وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم . لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته قسبة مرضوضة لا يقصف وقتيلة خادمة لا يطفئ الى الأمان يخرج الحق . لا يكمل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته » (اش ٤٢ : ١ — ٤) .

سار العالم قبل المسيح فى طرق بشرية عديدة لبلوغ السعادة واشباع النفس بآمالها الحيوية . ولكن التاريخ مشحون بدلائل الخيبة وفشل جميع مساعى القائمين بذلك . لأن الشريعة الهادية ان لم تكن من السماء فعبثا يحصل السائرون فيها على السعادة والحياة . والعالم زاغ عن الحق وضل طريق الهدى وأعوزته هداية السماء (أر ٢ : ٣ ، رو ٣ : ٢٣) . « لأن الله الذى قال ان يشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لآنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح » (٢ كو ٤ : ٦) .

فالمسيح هو الطريق الوحيد الموصل الى السماء . « هذا هو الحجر الذى احتقرتموه أيها البنائون الذى صار رأس الزاوية . وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغي ان نخلص » (أع ٤ : ١١ — ١٢) . « بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) فبدونه لا نعرف الله حق المعرفة وليس أحد يعرف من هو الابن إلا الآب ولا من هو الآب إلا الابن ومن أراد الابن ان يعلن له . « كل

من تعدى ولم يثبت في تعليم المسيح فليس له الله . ومن يثبت في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً » (٢ يو ٩) .

« الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خير » (يو ١ : ١٨) . « لا يستطيع أحد أن يأتي إلى الآب إلا بى » (يو ١٤ : ٦) . الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خير » (يو ١ : ١٨) . « لا يستطيع أحد أن يأتي إلى الآب إلا بى » (يو ١٤ : ٦) . أما الذين قد خبروا الحياة الروحية فإنهم يشعرون بلذة السير فى هذه الطريق المأمونة ويتحققون ذلك أكثر كلما تعمقوا فى السير فيها . ولذا نسمعهم يؤكدون لنا سخافة عقول الداعين إلى السير فى غير هذه الطريق ، ويسخرون من القائلين بإمكان وجود الحياة عن طريق آخر غير طريق المسيح رئيس الحياة وطريقها . قال الرسول : « فاذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً بالحجاب أى جسده » (عب ١٠ : ١٩ ، ٢٠) . هذه هى الطريق التى دشنها رب المجد بدمه الطاهر وطهرها من قطاع الطرق . فلا خوف فيها على المفدين من وحش يفاجيء ولا لص يهاجم ولا هلاك يداهم . هناك فى هذه الطريق يأخذ الله الآب بأيدي المؤمنين أخوة ابنه الأزلي المتأسس فادى البشر ، ويرسل لهم روحه القدس ليرشدهم ويقوهم ويحفظهم بعطفه الأبوي وحنانه الإلهي ، ليوصلهم إلى ميناء السلام ليتعموا بسعادة الخلود ، « حيث يمسح كل دموعهم من عيونهم » (رؤ ٢١ : ٤) . هذه هى الطريق التى سلكها جميع المخلصين بالنعمة رجال الله القديسين ، الذين نفعوا الانسانية بجماعتهم الثمينة وشارها الروحية الايمانية ، الذين عاشوا حياة ونموذجاً حيويًا ونورا للعالم على مثال سيدهم .

٢ — الحق :

الحق من الصفات التى تميل داخلتنا إلى قبولها وترتاح إليها ، لأن خلايا نفوسنا جبلت وهيئت لتحتوى عناصر الحق وتتألف فى ظل الاستقامة والعدل (جا ٧ : ٢٩) لأننا من الله والله ليس فيه ظلمة البتة .

نفوسنا لما بناها الخالق إنما شادها على أسس الحق ولهذا تميل دائماً إلى الحق . هذا فى حالة الصحة الروحية . أما إذا فسدت داخلية النفس وأظلمت بالشرور والآثام ، فإن هذا الميل إلى الحق يضعف بل وينعدم بتاتا ، حتى لقد قيل إن كلمة الحق مُرة ، ذلك لأن كلمة الحق تصدم أولئك الذين تكيفت أخلاقهم على نمط يتناقض مع مقتضيات طبيعة الروح الطاهرة . أه — إن الروح بطبيعتها ظاهرة نورانية نقية . لكن الشرور شوهدتها وبلبلت مشاعرنا . قالت الروح « أنا سوداء وجميلة لا تعيرنى يا بنات أورشليم » (نش ١ : ٥)

فالروح جميلة في طبيعتها التى جبلت عليها يزينا بها الحق الإلهى لأمعة بضيائه ولكنها قد تسود بالشرور والآثام . طبعها الجمال والبهاء أما السواد فعارض عليها .

قال أحد القديسين : ان الله أخفى عنا أرواحنا لئلا نرى اشراقها المبهج البهى حين برأيتها فيدخلنا الغرور وتنعظم فنسقط ، ولئلا نرى ظلامها الدامس وقبحاتها وشناعتها حين سقوطها فيستولى علينا اليأس والقنوط . لما كنى المسيح ذاته بالحق إنما أراد أن يرينا كماله الإلهى المطلق . فلما عرفنا ذاته بأنه الطريق الوحيدة المؤدية الى الحياة الأبدية . عرفنا هنا أن تعاليمه حق ومبادئه التى تقودنا فى هذه الطريق هى مبادئ حق كاملة ، وشريعته نزينة كاملة حق ، والكمال شرط اساسى فى الشريعة للدلالة على صلاحيتها لقيادة المجتمع لابلأغه المثل الأعلى . فإذا أردنا أن نكون فكرة عامة عن خلاصة معنى الحياة فى هذه الدنيا أمكننا أن نقول بانها ميدان النضال بين الحق والباطل بين الحق والكذب وبمقدار انتصار الحق على الكذب وتقهر الانسان أمام الباطل فى هذه الحياة ، بمقدار ذلك تكون قيمة حياة المجاهد . لهذا لما أراد الرسول أن يصف حياة الرومان والأثم قبل المسيح ، ويعلل فساد أخلاقهم ونحطاطهم المتناهى قال : « لأن غضب الله ملعن من السماء على فجور الناس ولأثمهم الذين يحجزون الحق بالآثم » (رو ١ : ١٨) .

وإذا كان الحق هو الكمال بعينه فان الكذب هو ذات النقص وهذا النقص ملازم لطبيعتنا البشرية منذ هبطت من علياء الكرامة وشاهق النعمة الى حضيض المهانة والهوان ، وقد أشار التشبى الى هذه الحقيقة « أنا قلت فى حيرتى أن كل إنسان كاذب » (مز ١١٦ : ١١) . ولكن محبة الله سدت هذا النقص البشرى . فينا بأنعامها علينا بجميع وسائل الكمال المناسب للبشرية ، لكى ونحن شاعرون بقيمة هذا الكمال نسعى لتكون من أهل الحق الكامل « إنكم إن ثبتتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى وتعرفون الحق والحق يحرركم » (يو ٨ : ٣١ ، ٣٢) . وكثيرون من الذين تلافوا نقصهم البشرى بحق الله وعالجوا ضعفهم بهذا الحق الإلهى الكامل أعلنوا لنا ذلك ، ومنهم بولس الرسول القائل : « من أجل هذا طلبت من الله مراراً كثيرة فقال لى تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » (٢كو ١٢ : ٨ ، ٩)

شريعة المسيح ترمى الى غرض واحد هو إيصال البشرية الكاذبة الناقصة الى الحق المسيحى الكامل لتلاشى نقصها وترتدى ثوب الكمال « فكونوا أنتم كاملين كما أن أبأكم الذى فى السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) . وهو له المجد لم يعلن لنا فقط الوسائل التى توصلنا الى الكمال ، ولم يكتف بحضنا نظرياً على اتباعه ، بل انه بذل ذاته لكى يهبنا

هذا الحق الإلهى مجانا . فليتمجد اسمه القدوس . انه صنع معنا أعظم من هذا ، إذ أعطانا ذاته قوتا لحياتنا فى سر الافخارستيا لكى نمتزج به روحا وجسدا وتتحد عناصر الحياة الكاملة عناصر الحق الإلهى بأرواحنا وأجسادنا لتمدها بالحياة الفعالة : « لننمو فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » (لو ٢ : ٥٢) لهذا قال له المجد وأكد فى القول والانذار : « إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليست لكم حياة فيكم إن جسدى مأكّل حق ودمى مشرب حق » (يو ٦ : ٥٣ ، ٥٥) .

٣ - الحياة :

إذا تنبه الانسان من غفلته وبحث عن الطريق وسعى فى طلب الزاد الضرورى للقوت والتغذية فلأنه يبغي من وراء ذلك الحياة ، فالحياة هى الغرض النهائى والعامل الاساسى المحرك لمشاعرنا وحواسنا للبحث عن الطريق والغذاء . قال المخلص فى صلاته التديبى ليله آلامه الخلاصية : « هذه هى الحياة الأبدية ، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » (يو ١٧ : ٣) .

فهو حياتنا الشاملة لجميع مقومات سعادتنا وهنائتنا . هذه الحياة ضرورية لنا فى هذا المجتمع الانسانى لضمان استقامة معاملتنا وتصرفاتنا . وجميع نوااميس حياتنا الاجتماعية يجب أن تستمد مقوماتها من عناصر هذه الحياة المسيحية لتكون نوااميس صالحة لقيادة المجتمع البشرى وتوجيهه نحو المثل الأعلى . ومن هنا تتجلى لنا عظمة الحياة الأدبية وكيف أنها تفوق الحياة الجثمانية الفانية سمواً ومكانة بما لا يقاس ولا يدع مجالاً للمقارنة ، فالحياة الأدبية فى الواقع هى المسيطرة على كل ما فى هذا المعترك الحيوى العظيم . وتتجلى لنا هذه الحقيقة حين احتكاك الحياتان المادية والأدبية إحداهما بالآخرى واختلاف مصالحيهما فإن الحياة المادية إذ ذاك تضحي بكل رضى وسرور وزودا فى الدفاع عن سلامة الحياة الأدبية « لذلك لا نفشل بل وإن كان انساننا الخارج يفتنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً » (٢كو ٤ : ١٦) . « لأنه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه . أو ماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه » (مت ١٦ : ٢٦) .

هذا هو الناموس الادبى الذى جعله الخالق كامنا فى البشرية يعمل فيها لاعدادها للنهوض الأخلاقى والتدرج بها إلى أسمى المبادئ الانسانية ونفض غبار الوحشية . وهذا هو سر تعليل وجود كثيرين أحياء جسدياً ولكنهم أموات أدبياً وآخرين غادروا العالم جسدياً ولا يزالون أحياء خالدين أدبياً (١تى ٥ : ٦) ، (يو ١١ : ٢٥ ، ٢٦) .

بعد ما تقدم يمكننا أن نفهم تماماً قول المخلص : « من آمن بي ولو مات فسيحيا ومن كان حيا وآمن بي فلن يذوق الموت الى الأبد » (يو ١١ : ٢٥ ، ٢٦) وقول النبي « الصديق يكون للذكر أبدي » (مز ١١٢ : ٦) . المسيح ضروري لحياتنا الأدبية لنسمو بأخلاقنا نحو مثله الأعلى الكامل . والمؤمنون الامناء في هذا العالم ومنكرو ذواتهم والغيورون على عمل الخير والنشطون للعمل لخير كنيستهم التي أرضعتهم لبان الاوثوذكسية ، الصنمية الغنية بالتعاليم الصريحة والآداب المستقيمة ، وإنعاش الوسط الاجتماعي ، والذين مبدأهم التضحية والثبات والاحلاص ، كل هؤلاء إنما يمثلون في ذواتهم حياة المسيح . هم بالحقيقة « رائحة يسوع الذكية » (٢ كو ٢ : ١٥) . أما الأنانيون وعباد المادة مسلوبو العواطف الشريفة وناقصو الفهم رافضو الحكمة عديمو الادراك الادبي ضعاف الاخلاق ، كل هؤلاء وأمثالهم أحوج ما يكون الى الحياة الكاملة حياة المسيح الطاهرة لكي يتجددوا بها تجديدا يؤهلهم للاندماج في سلك الأعضاء العاملين المثمرين .

وبالاجمال إن المسيح في العالم بركة عظيمة ، لأنه نور الآب وبهاء جوهره وعنصر الرحمة وروح الحياة . هو الطريق الحقيقي الموصل الى السماء ، جمد الانسانية بوسائل القوة ، قوة المبادئ والأخلاق السامية ، لابلغها أوج السعادة والسلام . هو الحياة العاملة في المؤمنين وسر انتصارهم على عقبات الحياة وعراقيلها وفوزهم في ميدان الجهاد . وهو مثلهم الأعلى وسر سعادتهم في الوجود ورائداهم الى حياة الأبد .

شكراً لإلهنا الصالح الذي قدم لنا ذاته في ابنه الحبيب طريقاً وحقاً وحياة . فصار لنا طريق الحياة الأبدية . فلنسر في هذه الطريق الخلاصية مهتدين بحقه الإلهي واضعين أمام أعيننا حياة الأبد الخالدة لتكون غايتنا الوحيدة . ورئيس الحياة نفسه يمنحك أيها الحبيب نعمة تقويك على اتباعه والعمل بوصاياه ويؤهلك لمواهبه الفائقة لتحظى برضائه على الدوام وتحيا في ظلال ستره لمجد اسمه القدوس آمين .

عظة إنجيل عشية خميس الصعود المجيد

الطريق الكامل

« فقال له يسوع ليس أحد يضع يده على الحراث وينظر إلى الوراء يصلح للملكوت الله » (لوقا: ٩: ٦٢) .

إن طريق الإصلاح طريق آلام ، وتضحية ، واضطهاد ، فكل مصلح يضع يده على محراث الإصلاح ثم ينظر وراءه إلى مال سيفقده ، أو وظيفه . سيحرم منها ، أو أصدقاء مستبذه ، أو شرف دينوى سيضيعه ، لا يصلح للحرب في ميدان الإصلاح . ولذلك كثيرون بدأوا ولم يستطيعوا أن يكملوا . فما أسباب ذلك ؟ وكيف نعالجه ؟

إن الرجل الذى حدثنا عنه الكتاب المقدس بدأ يبنى برجاً ولكنه لم يستطع أن يكمل لأنه لم يحسب حساب النفقة . وكثيرون ساروا في طريق الرب ومشوا مع السيد المسيح مرحلة من المراحل ووقفوا ولم يكملوا ، أو لأنهم شعروا بصعوبة الطريق فلم يكملوا ، أو لأسباب أخرى .

+ بولس الرسول يتكلم عن الغلاطيين الأغبياء فيقول : إنهم بدأوا بالروح وأكملوا بالجسد . إنهم لم يستطيعوا أن يكملوا الطريق الروحى ورجعوا للجسد مرة أخرى . كثيرون من هذا النوع يبدأون الحياة الروحية ولا يكملوا ويرجعون إلى حياة الجسد مرة أخرى . وبولس الرسول أعطانا مثلاً آخر ، مثل ديماس الذى كان يقول عنه ديماس الحبيب . وهو واحد من أعمدة الكنيسة السبعة واشتغل معه بالكرازة . إن بولس الرسول يقول في رسالته إلى تيموثيوس . ديماس قد تركنى لأنه أحب العالم الحاضر . إن ديماس مشى مع الله ليس كمؤمن عادى بل ككازي ، ولكنه أحب العالم فلم يكمل الطريق مع المسيح .

+ ساعة الصليب ، كثيرون ساروا مع السيد المسيح ، ولكن ليس الكل . إن يوحنا ويعقوب ويطرس ذهبوا إلى بستان جثسيماني ولكنهم لم يكملوا . لقد ناموا في البستان ولم يستطيعوا أن يسهروا ساعة واحدة ، ولما قبض عليه تفرقوا . أين يعقوب ؟ إن بطرس سار معه جزءاً من الطريق وكان متحمساً جداً . إنه يقول : « لو أنكرك الجميع لا أنكرك ولو أدى الأمر أن أموت معك » (متى: ٢٦: ٣٥) . وسار معه إلى بيت

رئيس الكهنة وانتظر خارجاً ليرى ماذا يفعلون في السيد المسيح ، وبعد ذلك لم يكمل .
لقد بدأ يسب ويقول : « أنا لا أعرف ذلك الرجل » (مت ٢٤: ٧٤) . كثيرون مثل
بطرس وصلوا إلى مرحلة ولم يكملوا وقالوا إننا لا نعرف الرجل .

+ لقد أكمل يوحنا الطريق حتى الصليب ووقف تحته . أما يهوذا وهو واحد من
الاثنى عشر تلميذاً ، وكان عضواً بارزاً فيهم ، فمسكين لأنه لم يكمل الطريق . لقد
مشى بعض الوقت مع السيد المسيح ولم يعرف أن يكمل فهلك وضاع .

+ واحد من السبعة الشمامسة الذين بدأوا حياة ممثلة بالروح اتجه إلى الهرطقة .
إنه من الرجال الذين قال عنهم الكتاب المقدس « اختاروا أيها الرجال سبعة رجال منكم
مملوئين من الروح القدس والحكمة فنقيمهم » (أع ٦: ٣) . إنه نيقولاوس الذى بدأ
الطريق ولم يستطع أن يكمل .

ومن أمثلة الذين لم يكملوا الطريق شاول الملك . إن صموئيل النبي العظيم أخذ
قنينة الدهن وصب على رأس شاول فصار مسيح الرب . وحل روح الرب على شاول ،
ولكنه لم يكمل الطريق . ولم يستفد من المسحة المقدسة والنبوة وحلول روح الله
عليه وانتهى نهاية عجيبة . يقول الوحي الإلهي في صموئيل الأول : وفارق روح الرب
شاول وباغته روح ردىء من قبل الرب . إنه بدأ الطريق ولكنه لم يكمله . وشعب
بنى إسرائيل بدأ الطريق مع الله ولم يستطع أن يكمل . إن هذا خرج من عبودية
فرعون وعبر البحر الأحمر وأكل المن والسلوى وتمتع بنعم لم يتمتع بها أحد . كانت
السحابة تظلل عليه في النهار ، وعمود النور يهديه بالليل ، وشق الله الصخرة فتفجرت
ماء ، وعاش في عناية عجيبة .. وبعد ذلك تذرر وهلك في البرية . إنه لم يهلك في
عبودية فرعون ولكنه هلك وهو في رعاية موسى . إنه لم يهلك وسط أمواج ولكنه
هلك في البرية المقدسة . لقد بدأ الطريق ولم يكمله . ولذلك يقول ربنا : اسمعى أيتها
السموات واقشعري أيتها الأرض . ربيت بنين ، أما هم فعصوا على . لقد بدأ شعب
إسرائيل الطريق ولم يكمله ، وحتى عندما جاء السيد المسيح لم يقبله .

+ إن الأغصان التي سرت فيها الحياة وأخضرت ، ولكنها لم تعط ثمراً ولم تكمل
الطريق ، تقطع وتلقى في النار مثل شجرة التين . إنها نبتت وأخضرت ولعننا المسيح
لأنها لم تكمل الطريق ولم تعط ثمراً .

كثيرون مثل هذه التينة يبدو على مظهرهم الاخضرار ولكنهم لم يكملوا . إنه من
المهم أن يبدأ الإنسان مع الله ويكمل الطريق . ويقول الله : « من يصبر إلى المنتهى

فهذا يخلص » (مت ١٣: ٢٤) .

+ إن الشاب الغنى الذى ذهب إلى السيد المسيح بدأ بداية طيبة لقد ذهب إليه وسأل عن طريق الحياة الأبدية ، وقال إنه حفظ الوصايا منذ حدثه . كل هذا جميل ، والبداية طيبة ، ولكنه لم يكمل الطريق . لقد وصل إلى وصية معينة ولم يستطع أن يجتازها ، فكانت عقبة فى طريق خلاصه ، فمضى حزياً .

+ ومنذ بدء الخليقة ، منذ آدم وحواء ، نفس القصة . إنسان يبدأ ولا يستطيع أن يكمل . لقد بدأ آدم وحواء أحسن بداية — إنهما على صورة الله ومثاله وفى منتهى النقاوة والبساطة لا يعرفان شراً على الإطلاق ، وعشرة طيبة مع الله ، ولكنهما لم يكملا الطريق نتيجة إغراء الحية وإغراء الكبرياء ، وطردا من الجنة . وهناك حالة أصعب من حالة آدم وحواء ، إنه شخص بدأ الطريق ولم يستطع أن يكمله ، لقد بدأ حياته كملاك ورئيس ملائكة ولم يكمل . ويتحدث الكتاب المقدس فى سفر إشعياء عن بهائه وعظمته وكيف كان واحداً من ذوى الستة أجنحة ، ولكنه لم يكمل وانحدر إلى الهاوية .

+ وشمشون الجبار الذى كان نذير الرب وأعطاه الموهبة الجبارة لم يكمل الطريق ، فقد أضاعته دليلة وقص شعره وفُتت عيناه .

+ سليمان الحكيم الذى تراءى له الرب مرتين وكلمة فماً لأذن ، وصلى فإذا السحابة قد غطت الهيكل ومجد الرب أضاء .. سليمان صاحب الأمثال ونشيد الأنشاد والحكمة الجبارة ، والذى بنى الهيكل .. سليمان هذا يقول الكتاب عنه : « إنه أخيراً بخر للأصنام . إنه لم يكمل الطريق ، وما زال الناس يتساءلون حتى الآن : هل خلاص أم لم يخلص ؟ »

هل تظنون أن الهالكين بدأوا طريقهم بالهلاك ؟ إنهم بدأوا بالخير والبر وساروا مع الله مرحلة طويلة ، وبدأوا ولم يكملوا الطريق . ليس المهم فى نقطة البدء ، بل المهم فى نهاية المطاف . ولهذا يقول الكتاب : « انظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بإيمانهم » (عب ١٣: ٧) .

وأنت لقد بدأت الطريق ، ولكن كيف ستكمله ؟ هذا هو المهم . هناك من يبدأون بداية طيبة ولا يكملون الطريق ، أو يقطعون مرحلة منه ولا يكملون بقية مراحلها ، مثل امرأة لوط .. إنها لم تهلك فى سادوم ، وأرسل الله لها ملاكاً أنقذها مع زوجها وبنتيها ولكنها بعد أن خرجت من المدينة المدنسة لم تكمل الطريق ونظرت إلى الوراء فتحوّلت إلى عمود ملح .

لا يكفى أيها الأخ المبارك أن تخرج من أرض سادوم ، إنما أن تكمل الطريق ولا تنظر إلى الوراء . لا يكفى أن تبدأ ، لابد أن تكمل . ومن أمثلة التاريخ أوريجينوس ، أكبر عالم ، وتلمذ عليه كثيرون من الأساقفة القديسين ، وتعذب من أجل المسيح . ماذا يقول أوريجينوس عن نفسه ؟ إنه يقول هذه المراثية المؤثرة : أيها البرج العالى ، كيف سقطت ؟ لقد بدأ بداية عجيبة ولم يكمل . وكذلك أريوس الذى أنكر لاهوت المسيح ، لقد بدأ قساً صالحاً وواعظاً مشهوراً بالإسكندرية ، وانتهى أمره بالحرطقة . وكذلك نسطور وأوطاخى . إنه على الإنسان إذا بدأ أن يحرص كل الحرص على أن يكمل الطريق مع الله .

كثيرون بدأوا بتدريبات روحية قوية ، وفترت بعد ذلك وجفت . إنها بداية لم تتم وضاعت .. وبولس الرسول كان يخاف من ذلك ويضعه دوماً أما عينيه . بولس الرسول الذى صعد إلى السماء الثالثة يخشى أن يصير مرفوضاً . من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص لهذا ، كن أميناً حتى الموت ، ولا تكن مثل ذلك الرجل الذى بنى البرج ووقف الناس يهزأون به ، قائلين : إنه بدأ يبنى ولم يقدر أن يكمل .
وله المجد إلى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس خميس الصعود المجيد

عيد الصعود المجيد

وفيما هو يباركهم انفراد عنهم وأصعد الى السماء (لو ٢٤ : ٥١) .

لماذا صعد المسيح بعد أربعين يوماً ؟

لقد ظل المسيح في أرضنا بعد القيامة مدة أربعين يوماً لكي ما يؤكد للتلاميذ بأنه قد قام حقاً أو لكي ما يولد فيهم اليقين الكامل بحق قيامته . وخلال تلك المدة أظهر المسيح نفسه في أماكن مختلفة ، حتى تكون شهادة قيامته مؤكدة . فالسيد كان يظهر مرات لأناس على انفراد ، وأخرى للتلاميذ اثنين اثنين ، وثالثة يظهر لهم مجتمعين ليفحصوه وليتأكدوا من حقيقة شخصيته ، حتى يستطيع توما أن يضع أصبعه في آثار المسامير وأن يضع يده في مكان الحربة ، لكي ما يتأكد بنفسه أن الذي أمامه هو شخص المسيح بالذات . ثم تراءى السيد بعد ذلك لحوالي خمسمائة أخ دفعة واحدة ، حتى إذ تراه عيون الكثيرين ثبتت هذه الحقيقة ، ان الذي قام هو بعينه يسوع الذي صلب . إن ظهور المسيح لم يكن رؤيا رآها أحد تلاميذه وحده ، أو خيالا تراءى لاثنتين من المتعصبين بشخصه ، لكنه قد ظهر بوضوح أمام جماعات كثيرة ، معلناً لهم أنه هو الرب والسيد ، الذي كان قد صلب ومات ، ثم قام من بين الأموات .

فلم يذهب مخلصنا الى السماء إلا بعد أن ثبت حقيقة قيامته على أسس أكيدة لا يمكن أن تتزعزع ، فلا توجد حقيقة في التاريخ القديم أو الحديث أكثر ثباتاً من حقيقة قيامة المسيح من بين الأموات . على أن السيد لم يظل أربعين يوماً لكي ما يثبت فقط حقيقة قيامته ، إنما أيضاً لتعزيز تلاميذه . فالمسيح قد مسح الدموع التي كان تلاميذه قد ذرفوها بسبب موته ، إذ أكد لهم بأن موته لم يكن كارثة عليهم لكنه كان تمييزاً للكذب ، أن المسيح كان يجب أن يموت لمغفرة الخطايا ، ثم إن السيد أراد أن يعدهم للحزن الآخر الذي كان ينتظرهم بسبب انطلاقه عنهم للسماء . لقد سما بعقولهم ، ورفع من أرواحهم ، حتى أننا لا نقرأ عن التلاميذ أنهم بعد صعود السيد حزنوا أو ذرفوا الدموع ، إذ كان من الخير لهم أن ينطلق لكي ما يرسل لهم المعزى بل ان السيد انتظر معهم وقتاً كافياً لكي يعطيهم التعليمات اللازمة ، ويعرفهم كيف يتصرفون .

فالواقع أن السيد ، في هذه الأربعين يوماً ، كان القائد المبارك ، الذي نظم قواته ،

ورسم لهم طريق المعركة ، وأعدهم للنصرة القادمة . لقد أمرهم جميعاً أن ينتظروا في أورشليم الى ان يلبسوا قوة من الأعلى . ولعل هذا الأمر هو بالنسبة لنا أمر التقدم لمعركة الخدمة ، فما لم نتزود بالقوة من الأعلى فلا حق لنا أن نتقدم في طريق الخدمة . ثم أن السيد كان يريد أن يقدم حديثاً شخصياً للبعض ، الذين كانت لهم حاجات خاصة . فكان عليه أن يشجع قلب المجادلة لتنتصر على احزانها ، وكان عليه أن يظهر لتوما حتى ينتصر على شكوكه ، وكان عليه أن يحذر بطرس ثم يشجعه للخدمة ، وكان عليه أن يقوى التلاميذ ويعدهم للمعارك القادمة .

إن راعي الخراف العظيم لم يستطع أن يرجع الى راحته إلا بعد أن أعد أولئك — الذين أعطاهم الآب إياه — لمستقبلهم الأبدى . لقد مرت تلك الأربعين يوماً بسرعة ، وكانت أياماً فريدة اختلفت كل الاختلاف عن أيام حياته الأولى على الأرض ، ففيها لم يجسر أحد أن يضايقه ، فالكنيسة والفريسيون لم يقفوا ضده ، واليهود الأشرار لم يحملوا الحجارة محاولين رمحه ، لقد كانت أياماً هادئة فيها جلست الطيور في سلام بجوار المياه الهادئة . ولم تكن هناك أمواج تعكر صفو سلامها .

وقد كانت تلك الأيام إشارة للملكة العتيد الذى هو ملك السلام ، ذلك الوقت الذى فيه سيقف السيد مرة أخرى على هذه الأرض لينهى الحروب ، قبل أن ينهى مشهد هذا العالم . فلما انتهت تلك الأربعين يوماً استمر السيد في طريقه ، وصعد الى راحته . نعم أنه قد صعد الى السماء . بعد أربعين يوماً من قيامة السيد المسيح له المجد من بين الأموات بسلطان لاهوته صعد الى السماء على مرأى من جميع تلاميذه ورسله القديسين ومن بينهم العذراء القديسة مريم الملكة والوالدة وعلى مشهد من جميع المؤمنين الآخرين ومن اليهود وجميع المقيمين على سفح جبل الزيتون وفوق الجبل ومن تحت سفح الجبل ، وهو جبل يسكنه الناس ، ومن فوقه وعلى سفحه أقاموا مساكنهم وعليه قامت وتقوم مدن وقرى كثيرة ، من بينها بيت عنيا وبيت فاجى . ولا يزال قائما الموضع الذى من فوقه ارتفع السيد المسيح وصعد الى السماء وما زال أثراً باقياً معروفا ومشهورا الى اليوم يزوره ويعاينه كل من يذهب الى القدس ويصعد الى جبل الزيتون في أعلى قمة له .

وفي ذات المكان يقوم مذبح يصلون القديس الإلهى من عليه في عيد الصعود الإلهى . أحياء للذكرى هذه الواقعة التاريخية وهذا الحدث الجليل الأهمية ، وشكراً وتمجيد لله الذى ، صعد الى سماء السموات نحو المشارق (مز ٦٧ : ٣) . (ومن إحسانات الرب أنه قد أنعم على بزيارتي الى القدس للتبرك من هذه الأماكن المقدسة وللخدمة الروحية لتأدية

الشعائر الدينية حيث كنت من الذين قاموا بخدمة القديس الإلهي في عيد الصعود المجيد على هذا الجبل سنة ١٩٦٩ ميلادية . ويقع عيد الصعود دائماً في يوم الخميس التالي مباشرة بعد الأحد الخامس من عيد القيامة المجيد ، أى في تمام الأربعين للقيامة الجديدة .

ولة: روى الانجيل خير صعود الرب يسوع الى السماء ، بكل وضوح . قال الانجيل للقديس لوقا : « ثم خرج بهم بتلاميذه الى بيت عنيا على جبل الزيتون ورفع يديه وباركهم وفيما هو يباركهم افترق عنهم وصعد الى السماء قسجدوا له ، ورجعوا الى اورشليم بفرح عظيم » (لو ٢٤ : ٥٠ - ٥٢) . ويروى سفر أعمال الرسل : « وبعد أن قال هذا (وصاياه الأخيرة الى تلاميذه ارتفع الى العلاء وهم ينظرون اليه واخذته سحابة عن أعينهم وفيما كانوا شاخصين نحو السماء وهو منطلق ، اذا برجلين (ملاكين في صورة رجلين) بملبسهم بيضاء قد ظهرا لهم ، وقالا لهم : « أيها الرجال الجليليون ما بالكُم واقفين تتطعلون الى السماء سيجي ثانية هكذا كما رأيتموه وهو منطلق الى السماء ثم عادوا الى اورشليم من الجبل الذى يدعى جبل الزيتون بالقرب من اورشليم على مسيرة سفر سبت » (أع ١ : ٩ - ١٢) .

ومن العجيب أن التلاميذ رجعوا الى اورشليم بفرح عظيم فلم يفزعوا لصعوده الى السماء . ولم يحزنوا لخسارة حضوره جسديا بينهم . لأن الرب ترك لهم سلاما كاملا طرد كل اشباح الرهبة والاضطراب (يو ١٤ : ١٧) لم يفزعوا ولم يحزنوا لأنهم عرفوا إنه كان ينبغي أن يعود الى الآب كما قال : « خرجت من عند الآب وقد أتيت الى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب الى الآب » (يو ١٦ : ٢٨) فهو من فوق (يو ٨ : ٢٣) بل هو فوق الجميع (يو ٣ : ٣١) لذلك ينبغي أن يصعد الى السماء ويمضى الى الآب » (يو ١٦ : ٥ - ١٦) .

والمسيح في صعوده الى السماء لم يكن في حاجة الى قطع المسافات . فهو في السماء وفى الأرض . بل في كل مكان . فقبل صعوده الى السماء كان في حضن الآب (يو ١ : ١٨) وفى السماء ذاتها (يو ٣ : ١٣) فهو نزل وصعد ولكنه يملأ الكل (أف ١ : ٢٣ ، ٤ : ٩ ، ١٠) وقد قال لتلاميذه القديسين : أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر (مت ٢٨ : ٢٠) لأن السموات كرسيه والأرض موطىء قدميه . فإلى هذا الايمان يرجع سر الفرح والسلام للذين فاضت بهما قلوب التلاميذ . وبهذا اليقين خرجوا ليكرزوا منادين باسم الرب يسوع المسيح أمام ملوك وولاة ورؤساء وبين وحوش مفترسة وقوات . لا تعرف الرحمة ، وستبقى كنيسة المسيح أمام قوات الجحيم - ثابتة الجنان . رابطة الجأش . لأن يسوع

معها وان كان الله معنا فمن علينا ؟

والكتاب المقدس يعلن أن السيد المسيح قد ارتفع الى السماء وجلس عن يمين العظمة في الأعلى وذلك لا يعنى أنه قد احتاج في جلوسه عن يمين الآب الى أفراغ مكان واشغال آخر . ولكن كلمة جلس عن يمين العظمة كلمة معنوية تدل على ما قد صار من كرامة وجلال ومجد . وقد وردت هذه الكلمة مراراً للإشارة الى العظمة والمجد الكامل وما يمثّلها (مز ٨٩ : ١٣ ، ١١٨ : ١٦) وإذن فهذه الكلمة مجازية تشير الى المجد المزدوج الذى للفادى الحبيب فى السماء . مجده كابن الله الوحيد ، ذلك المجد الذى كان له قبل كون العالم . ومجده كالحمل المذبح للتكفير عن خطايا البشر . وهذا ما قاله الرسول : « الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهرة وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعلى . صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث إسمائاً أفضل منهم » (عب ١ : ٣ ، ٤) .

رأى اشعيا النبي مجد المسيح الأزلى (اش ٦ : ١ - ٤) مع (يو ١٢ : ٤١) المجد الذى رآته الكنيسة أيضاً (يو ١ : ١٤) الآن وقد أكمل عملية الفداء لابد أن يعود الى مجده حاصل على مجد جديد . هو مجد الانتصار على الخطية . مجد الغلبة على قوات الهاوية وأبواب الجحيم . المجد الذى اجتاز اليه من طريق الألم والموت . لأن الروح سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والأبجاد التى بعدها (١ بط ١ : ١٢) . فقد كتب عنه : « أُخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس وضع نفسه حتى الموت موت الصليب . لذلك رفعه الله واعطاه اسماً فوق كل اسم لكى تجتو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان ان يسوع المسيح هو رب المجد الله الآب » (فى ٢ : ٧ - ١١) . فهو قد أخذ مجداً كفادى الكنيسة (رؤ ٥ : ١٢) وكُرأس الكنيسة (أف ٥ : ٢٣ ، كو ١ : ١٨) وكالبكر من الأموات (رؤ ١ : ٥) وكالبكر بين أخوة كثيرين (رو ٨ : ٢٩ ، عب ١ : ٦) وكآدم الثانى ورئيس الايمان والخلاص ، رئيس الكهنة العظيم ، والأسد الغالب . فالحجر الذى رفضه البنائون قد صار رأس الزاوية .

ولقد كان ايمان التلاميذ بهذا أيضاً من أكبر المشجعات لهم على احتمال أقسى الآلام واشد الاضطهادات . لقد شاركوا السيد فى شرب كأسه والاصطباغ بصبغته لتكون لهم شركة مجده . لذلك رحبوا بالآلام . وفرحوا بالاضطهادات . ولقد انتصروا على كل ما اكتشفهم من ضيق اذ كانت الضيقات ولا تزال هى المؤهل للملكوت والمجد .

شكراً لله لأن التلاميذ لم يرجعوا مكثيين لأجل صعود سيدهم ، لأن فرح القيامة قد ملأ قلوبهم ، وبركة حضور المسيح معهم قد ملأت كيانهم . يا له من فرح عظيم ، لا ينطق به ومجيد . لقد تأكدوا أن المسيح قام من الأموات ، وصعد الى السموات ، وجلس عن يمين العظمة فوق كل رئاسة وسلطان ، وسيأتي ثانية لكي يأخذهم إليه ، إلى الأبعاد السماوية والأفراح الأبدية . فهل يحزنون لهذا الأمر إن قوة قيامة المسيح ومجد صعوده غير كيان التلاميذ وفتح بصيرتهم للحقائق الأبدية والتعاليم السماوية . يقول معلمنا لوقا البشير أيضاً إن التلاميذ بعد رجوعهم من مشهد الصعود كانوا كل حين في الهيكل (لو ٢٤ : ٥٣) .

عند الصليب كانوا في خوف وتفرقوا كل واحد عن أخيه لكن بعد القيامة وصعود المسيح رجعوا ومكثوا كل حين في الهيكل في وحدة عجيبة وجرأة فريدة . إن قوة القيامة ومجد الصعود حوّلهم الى أبطال في الإيمان ، وعرفوا أن المسيح المقام هو رأس الكنيسة التي هي جسده المبارك : وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة » (أف ١ : ٢٢) .

لقد امتلأت ألسنتهم بترنيمات الحمد والافتاف وهم يشهدون للجميع بقيامة المسيح وصعوده الى السموات . وليس ذلك فقط لكنهم كانوا مكثيين في أورشليم حسب قول الرب : ينتظروا موعد الآب » (أع ١ : ٤) ، الذي تم في يوم الخميس ، شكراً لله لقد صعد الى السماء ليعد الطريق ، ويفتح باب السماء بدمه الكريم ، ويعد السماء كي تكون مسكناً للخطة المرسوشين بالدم حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا » (عب ٦ : ٢٠) .

ليت أعماد القيامة وبركات الصعود تغمر قلوبنا ، فنشهد له وننتظر مجيئه . ثم أخيراً على جبل الزيتون تجاه أورشليم صعد ربنا بعد ما أكمل خلاصنا الى الأبد وهناك سيكون منظر رجوعه المجيد فهل أنت مستعد أن ترحب به وتقبله فرحاً اذا ظهر الآن . إسأل نفسك ؟ وله المجد والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس الجمعة السادسة من الخماسين المقدسة

السلام الحقيقي

قال الرب : سلاماً أترك لكم ، سلامى أعطيكم ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا » (يو ١٤ : ٢٧) .

ان السلام هو أصل جميع الخيرات ولذلك لا يقتصر الكهنة على منحه للمؤمنين مرة ومرتين وثلاثا بل يكثر منه فانه عندما يدخل الى الكنيسة يقول السلام لجميعكم ولما يباركهم يقول السلام لجميعكم ، وكذلك فى أسرار البيعة ينادى بهذا السلام نفسه قائلا السلام لجميعكم وذلك يشير الى النعمة التى استحقتها لنا ابن الله بموته عن جميع العالم ولأنه لم يتجسد ولم يميت إلا ليجعل السلام والصلح بيننا وبين الله أبية .

السلام : ما أجمل هذه الكلمة . وليس أحب الى القلوب ولا أعذب لدى الأسماع من كلمة سلام . بغير سلام يكون عالمنا جحيما وبغير سلام يضحي البيت عذابا ، وبغير سلام يصير القلب أتونا . السلام ... ما ألد العيش فى ظلاله . السلام ... ان السلام أحوج ما يصبو إليه قلب الانسان الذى لا تريحه خيرات الدنيا أو ملذاتها .

السلام فى أيامنا هذه مرغوب فيه أكثر من أى زمن كان ، لأن الاضطراب والقلق التى تساور عالمنا الحالى بمثابة أعداء للسلام ، الذى يرغبه عقلنا وإرادتنا وعواطفنا وكل قوانا .

السلام فى العائلة . هو راحة النفس وسعادة القلب بائتلاف النفوس والقلوب . راحة نفس وسعادة قلب صادرة عن حب عميق بين أفراد العائلة ناتجة عن إجماع الآراء والأفكار ووحدية الغايات والأعمال . ومتى رفعت الأفراد والعائلات والشعوب قلوبها الى الله واتحدت به وسارت على نظام شرائعه ز ، حل فوقها السلام وتجنبت كل قلق واضطراب .. وساد النظام واستتببت الراحة داخلا وخارجاً فى الأعمال الشخصية والمعاملات الاجتماعية .

السلام : يريد المخلص الفادى السلام وهو الذى قد سبق الأنبياء ولقبوه بأمر السلام ، وعند ميلاده نادى الملائكة فوق المغارة منشدين : .المجد لله فى الأعالي وعلى الأرض السلام . وفى عظته على الجبل قال طوبى لفاعلى السلام . وقبل صعوده الى السماء وهب تلاميذه السلام وأوصاهم بأن ينشروه بين الناس ، قائلا السلام استودعكم سلامى أعطيكم . لست كما يعطى العالم أعطيكم أنا (يو ١٤ : ٢٧) .

ما أحلى هذا القول ، ما أحسن السلام ، وما أسعد من يملكه ، كل منا في مسيس الحاجة الى سلام يصل الى قرارة نفسه فيلاشى كل العوامل المزعجة المقلقة ويتمتع بحياة الاستقرار والهدوء والطمأنينة . يقول الكتاب المقدس : لا سلام قال الهى للأشرار . كثيرون يبتغون السلام ، ويسعون للحصول عليه ، ولكن ما أقل الذين ينالونه ، كثيرون تعبوا وجدوا ولم يظفروا بشيء منه ، وما ذلك إلا لأنهم يطلبونه من غير طريقه ، ويأتونه من غير أبوابه ، ولا يزال العالم يخدع كثيرين موهماً بإياهم بأنه مصدر السلام والراحة . يقول للغنى : ما بالك تقف عند حذك ، سر في طريقك واملأ خزائنك واجمع الكثير من هذا الأصفر الزنان وضع قلبك عليه ، وأسجد له تحذ الراحة ، فيسمع هذا المسكين صوت الغرور ، ويفنى أيامه ، وحياته في جمع الأموال وهو في حرصه واهتمامه به يحرم نفسه من التمتع بما يجمع . ثم يخرج أخيراً من هذه الدنيا ويدخل حياة الأبدية عارياً من السلام . والعالم أيضاً لا يرحم يخدع الانسان يوسوس له قائلاً : ما بالك حزناً كبيراً لا تتمتع باللذات وتشبع نفسك منها يتلج صدرك بشهيتها ، وهكذا يزين لكل واحد سعادة موهومة وسلاماً كاذباً ، وينصرف هم من خداع الى آخر ، ويحكم كيدهم لهم بمسرات باطلة يموه بها على العقول ، فيظنها الشرير في شره ، والبخيل في جمع ماله ، والجبار في قوته ، والشره في شراسته ، وصاحب الكرامة في مرتبته بيد أنه ليس واحد من كل هؤلاء ينال السلام الحقيقي ، لأن العالم لا يضى على الناس بشيء سوى قلق وهم وغم وضجر وتبكيك للضمير ، مع أوجاع ونكبات لا حد لها . هذا هو سلام العالم كله لأن في طرقهم اغتصاب وسحق . وطريق السلام لم يعرفوه (رو ٣ : ١٦ - ١٧) .

وما العالم إلا كأنبياء اسرائيل الذين كانوا يتنبأون لأورشليم ويرون لها رؤى السلام ولا سلام (حز ١٣ : ١٦) . وكما يحلم العطشان أنه يشرب ثم يستيقظ فاذا هو رازح ونفسه مشتهية . هذا يكون الذين يطلبون سلامهم من العالم ، الذى لا يستجيب لهم بشيء إلا الاتعاب . فهل بعد ذلك تطلب سلامك في القلق والانزعاج ، إن كل ما في العالم ، من غموم وهموم ، وأكدار وأحزان ، وأمراض ، وتجارب ، تنتاب الانسان في كل أدواره ، ينذر بأن لا سلام في العالم . وان من يطلب السلام من هذا العالم لأشبه بطائر يرفرف فوق أمواج المياه إلى أن يعييه الطيران ويتعبه السير ، ولو اتيج لك أن تملك زمام العالم وتملك ناصيته لما نعمت بالراحة فيه لأن نفسك مخلوقة على صورة الله لا يوافقها شيء آخر ، لأن الله خلقها ليسكن ويحل فيها وحده ، فهو سلامها الحقيقي دون غيره . ايتها النفس لن تبرحى شقية ، ولن تزال في عناء ، في قلق واضطراب في برية هذه الحياة ، الى ان تستريحى في الله الذى

هو فوق كل ما فى الأرض وفوق كل ما فى السموات لأنك أنت يارب سلامى الحقيقى الذى يفوق كل عقل (فى ٤ : ٧) .

من طلب السلام والراحة من العالم ، لا ينال سوى القلق والاضطراب ، لأن من خواص العالم الثقل والتغير على الدوام أما السلام الحقيقى فيستمد من الله الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران (يع ١ : ١٧) . من التصق بالعالم ووضع سروره وثقته فيه فلن يحصل على سلام الى الأبد ، بل يظل قلقاً مدى حياته ، ولكن ان مكنت محبتك وسلامك فى الله فلا يستطيع شئ ان ينتزع منك سلامك أو يكدر صفو راحتك . فلا المشقات ولا الآلام ولا الأوجاع ولا المظالم ولا شئ قط . تظلم به حياتك ، أو ينغص عيشتك ، بل فى كل ذلك يلازمك السلام وتدم لك الراحة .

إذن لا يمكن ان تجد سلامك فى الخيرات الأرضية ، ولا فى كثرة الأموال ، ولا فى القوة والصحة ، ولا فى الكرامة والجاه العالمى ، ولا فى شئ آخر من أمور هذا العالم ، ولكنك تجده فى الله وحده . ان طلبت الفرح والسلام والراحة من لذات العالم بكيت فى النهاية وحزنت ، وإن ظننت سرورك فى هذه اللذة أو تلك ، فلست إلا فى وهم وخداع ، وإن توهمت سعادتك فيما يتفق مع هواك ، فأعلم أنك قد حدثت عن الصواب ، لأن الذى تحبه وتسره به اليوم تكرهه غداً حتى تود ألا تراه . وما دام الانسان بعيداً عن الله فهو مضطرب النفس مليل الفكر ، ولن يحصل على السلام الحقيقى . وعنه يقول حزقيال : « الرعب آت فيطلبون السلام ولا يكون (حز ٧ : ٢٥) . ويحذر الرب أرميا من الأشرار : لا تدخل بيت النوح ولا تمضى للنذب ولا تعزم لأنى نزعته سلامى من هذا الشعب (أر ١٦ : ٥) . وعن معاملاتهم يقول : بقمه يكلم صاحبه بالسلام وفى قلبه يضع له كميناً (أر ٩ : ٨) . وينفس هذا المعنى يتحدث عنهم ميخا : « انهم ينهشون بأسنانهم وينادون بالسلام » (ميخا ٣ : ٥) . ووصفهم داود : مخاطبين أصحابهم بالسلام والشر فى قلوبهم (مز ٢٨ : ٣) وقياساً على هذا نسمع يهوذا الخائن يقول : للسيد له المجد السلام يا سيد . وقبله (مت ٢٦ : ٤٩) .

فاقترب أيها الانسان الى الله لتصل الى سلامك وسعادتك . إن السلام الحقيقى التام ليس إلا فى هدوء الضمير وطمأنينة القلب . « لأن المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج » (١ يو ٤ : ١٨) . ولأن المؤمنين أبناء الله فمن صفات البتوة أن الأمين يعيش فى سلام فى كنف أبيه « الساكن فى ستر العلى فى ظل التقدير يبيت » (مز ٩١ : ١) .

فمن يحوز السلام فهو خير من يملك العالم بأسره ، وأفضل ممن حذق كل العلوم ويرع فيها .

ان الحياة المسيحية هى حياة سلام دائم وخاصة بعد أن أوجد السيد المسيح هذا السلام وصالح بين السمايين والأرضيين كما صالح النفس مع الجسد وعشنا في حياة السلام الدائم . وبولس الرسول يتكلم عن ثمار الروح القدس من ثمار الروح القدس فرح ومحبة وسلام . ان الله يريدنا ان نعيش في سلام ومحبة معه . لقد خلقنا على صورته ومثاله واحاطنا بكل حب . وأعلم أخيراً ان روح الله القدوس لا يسكن إلا القلب الوديع السليم الهادىء . لينحنا اله السلام ، السلام من كل وجه ، السلام مع الله السلام مع نفوسنا ، السلام مع الناس . ولترتفع قلوبنا ولتشخص عيوننا الى رئيس السلام فيتدفق منه نهر سلامنا الذى تجرى فيه كل مسراتنا وتعزياتنا ويفيض سلامنا وسرورنا . ولإلهنا المجد الدائم الى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد السادس من الخماسين المقدسة

محبة الله في حياتك

« وتحب الرب إلهك من كل قلبك ... » (مر ١٢: ٣٠) .

إن كان الفريسيون والصدوقيون والهيرودسيون قد جاءوا إلى السيد بحث ليجربوه ، كى يصطادوه بكلمة كمثير فتنه ضد الحكم الرومانى ، أو كاسر للناموس الموسوى فإن محاوراتهم للسيد جذبت كثيرين للتمتع بمفاهيم جديدة — الأمر الذى أثار هذا الكاتب ليقدّم سؤالاً كثيراً ما تناقش فيه رجال الدين المتعلمون ، خاصة الكتبة . ولعله أيضاً فى عرضه للسؤال أراد أن يجرب السيد (مت ٢٢: ٣٤، ٣٥) ، (لو ١٠: ٢٥) ، إذ حسبه يميز بين وصايا الناموس وبعضها البعض ، أو يقدم وصية من عندياته كأنها أعظم مما ورد فى الناموس .

ولكن السيد لم يوبخ هذا الكاتب ، بل بالحرى أجابه بحكمة إلهية فائقة ، مقدماً أساساً روحياً لمفهوم الوصية .

يقول الكتاب : « تحب الرب إلهك من كل قلبك » . إذن القلب لا بد أن يكون كله لله ، كما قال الرب : « يا ابنى أعطنى قلبك » (أم ٢٣: ٢٦) . وإعطاء القلب لله ليس معناه إعطاء الله جزءاً من هذا القلب ، وإنما القلب كله .. فإذا كان جزء من قلبك قد أعطيته لغير الله ، تكون قد سلبت الله أهم حقوقه عندك .

إن كان الله يقول « قد سلبتمونى » إذا لم نعطه عشوراً ، فكم يكون سلبننا لله إذ لم نعطه القلب ؟!

لذلك عندما نحب أشياء خارجة عن الله ، تكون هذه خيانة لله . بل أن الكتاب يقول : « إن محبة العالم عداوة لله » « إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب » ...

لذلك فإن الكنيسة المقدسة فى كل قداس ، فى آخر قراءة الكاثوليكون ، تقول للناس « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم ، لأن العالم يبید وشهوته معه » .

إذن ، القلب كله يعطى لله ، والحب كله يعطى لله ، والله يملك كل مشاعر الإنسان وعواطفه ، ولا يكون فى القلب سوى الله وحده ، ولدينا قصة القديس الذى رفض أن ينشغل بملائكة ظهوروا له ، لأنه منشغل بما هو أسمى ، بالله وحده .

« أنا لحبيبي ، وحبيبي لى » هكذا أنشدت عذراء النشيد . إنه حب متبادل عجيب بين الله والإنسان ، لا يعطى فرصة لـحب آخر : فإن كنت تحب الله محبة كاملة ، يكون كل شئ آخر كـلا شئ قدامك ، وتغنى « خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح وأوجد فيه » (فى ٨: ٣) .

لماذا نحن نحب بعض أشياء فى العالم ؟ ذلك لأن محبة الله لم تتمكن منا تماماً ! هناك من يركزون على الإيمان فى الحياة ، بينما المحبة أعظم من الإيمان ، كما قال الرسول (١ كور ١٣) . فإن كنت تؤمن بالله ، وأنت لا تحبه ، لا نسمى إيمانك إيماناً .

إن كان الله محبة ، وأنت تؤمن به ، إذن تؤمن بالمحبة . هذا هو الإيمان الحقيقى . تؤمن بهذه المحبة الكلية ، المحبة التى خلقت الكون كله وخلقتنى . الله الذى لم يشأ أن يكون موجوداً وحده ، وبهذا الحب خلق الكل .. وبهذا الحب فدى الكل على الصليب .. مات المسيح لأجلنا ، البار لأجل الأئمة .

إن الصليب ليس مجرد عقيدة ، وإنما هو ذبيحة حب . « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به » (يوح ٣: ١٦) ، حقاً نحبه لأنه أحبنا أولاً .

إذن ، فى صعود المسيح على الصليب ، إنما صعد الحب على الصليب . والمحبة فى عمقها لا تظهر إلا وهى مصلوبة .

تظهر محبتك عميقة حينما تحب من يعاديك ومن يهينك ، كما ظهرت محبة الله للذين كسروا وصاياهم ، وصلب ليفديهم .

الله الذى أحبنا أسمى نفسه عمانوئيل ، أى الله معنا ، وقال « حيثما أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً . ما أعجب أن الله فى عظمتة يحب أن يوجد من الزدردى وغير الموجود أمثالنا ! إنه المحبة التى تُعطى ، لأنه فى محبته دائماً يعطينا . إنه المحبة التى فى عمق كمالها تنزل إلى الخاطئء الملوث لتتنقذه وتطهره كما قال الله للخاطئة فى سفر حزقيال : « مررت بك ورأيتك مدوسة بدمك .. فبسطت ذيلى عليك ، ودخلت معك

في عهد ، فصرت لى . فحمتك بالماء (أى المعمودية) ومسحتك بالزيت (أى الميرون) وكسوتك بزاً (أى البر) ... وتاج جمال على رأسك . لأنه كان كاملاً ببهاى الذى جعلته عليك .. » (حز ١٦) .

إن محبة الله جذبت الكل ، ولم يجدوا مثلها محبة .. القديسون فرغوا قلوبهم من كل حب ، وازدروا بكل شئ ، لكى يكون الله هو الكل فى الكل فى قلوبهم وحياتهم .

وأنت ، هل تصدك عن محبة الله اتجاهات معينة فى العالم ؟ استمع إلى بولس الرسول وهو يقول : « من يفصلنى عن محبة المسيح ؟ » عش إذن فى محبته .

إن الحب ما كان يسمح لداود أن ينام ، فكان يقول للرب : « كنت أذكرك على فراشى ، وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك » فى نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك » (مز ١١٩: ٦٢) . ومع هذا السهر فى الحديث كان يقول : « يا الله ، أنت إلهى ، إليك أبكر ، عطشت نفسى إليك » (مز ٦٣: ١) .

وأنت كيف تصلى ؟ هل الصلاة بالنسبة إليك فرض أم واجب ، أم تدريب روحى ، أم وصية ؟ هل الصلاة تغذيك ، وتعزيك ، وتفرحك ؟ هل كل كلمة فى الصلاة لها مذاق حلو فى فمك ؟ كما قال البعض عن صلوات القديسين « من حلاوة الكلمة فى أفواههم ، ما كانوا يستطيعون أن يتركوها إلى كلمة أخرى من كلمات الصلاة » .

لا شك أنك إذا أحببت الله تحب الصلاة ، وإذا أحببت الصلاة تحب الله . فهل أنت تحبه وتحبها ؟

إن الدين ليس مجرد أوامر ونواه ، ولا هو مجرد حلال وحرام ، ولا مجرد ناموس ونعمة ، أو إيمان وأعمال . إنما الدين فى أعماقه هو الحب ، محبة الله والناس . ولإلهنا المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الأحد السادس من الخماسين المقدسة

فى انتظار الروح القدس

اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا (يو ١٦ : ٢٤) .

رجع التلاميذ من جبل الصعود بفرح عظيم . وقد أوصاهم الرب قبل صعوده قائلا : لا تبهروا أورشليم الى أن تلبسوا قوة من الأعلى » (لو ٢٤ : ٤٩) لكى لا تكون حركة الكرازة من قوة بشرية بل بقوة روح الله الذى يملأهم ويحركهم ويقودهم ويتكلم فيهم . لكى يكون فضل القوة والعمل لله ، وليس لإنسان . وصعد التلاميذ الى العلية التى هى الكنيسة الأولى ، وظلوا مدة العشرة أيام يواظبون على الصلاة مع القديسة العذراء مريم ، الى أن حل الروح القدس عليهم فى يوم الخمسين وملأهم من كل حكمة وكل فهم كوعده الله . والكنيسة فى هذه الأيام تعيش بروح التلاميذ . تسترجع حرارة الصلاة والسؤال والطلبة الى الآب . وتطلب وتجتمع بروح واحد ونفس واحدة ليتمجد فيها عمل الروح القدس الساكن فيها . والرب يسوع فى فصل إنجيل اليوم يوجه نظرنا نحو الآب للصلاة ، قائلا : كل ما طلبتم من الآب باسمى يعطيكم . نفس هذا التعبير سبق أن صرح به السيد المسيح يوم قال لتلاميذه : « مهما سألتكم بأسمى فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن » (يو ١٤ : ١٣) وقوله : « ان سألتكم شيئا باسمى فأنى أفعله » (يو ١٤ : ١٤) وتأكد المسيح لهذا الكلام فيه كل الأطمئنان لنفوس المؤمنين وكل التعزية لهم فى هذه الحياة والعجب أن نرى رب المجد يحرض تلاميذه على الطلب والسؤال ولا يمل من تكرار السؤال وتكرار الاستجابة للسؤال وهذا فيه ما فيه من الكرم والسخاء والبذل والعطاء فى له من اله كريم فى العطاء سخى فى التوزيع . لقد كان الرب مزعماً أن يسكب الروح القدس على التلاميذ . فما فائدة الصلاة والسؤال إذن ؟

بالصلاة نؤهل لنعمة الروح القدس ونظهر استعدادنا القلبي لقبوله ونهينء نفوسنا لحلوله فينا . بدون صلاة قلبية وتوسل الى الآب لا ننال قوة ولا مؤازرة الروح فى حياتنا . ان سبب ضعفنا الشديد ، هو فتورنا فى الصلاة وإهمالنا فى الطلبة ، ان الروح القدس نار تتأجج داخلنا بالصلاة . لذلك تصلى الكنيسة كل يوم فى ساعة حلول الروح القدس ٩ صباحا هكذا : روحك القدوس يارب الذى أرسلته على التلاميذ الأطهار . هذا لا تنزعه منا لكن جددده فى احشائنا . فالروح الذى انسكب على التلاميذ وهم فى حالة صلاة يتجدد داخلنا . كل يوم بالصلاة . أئينا القديس العظيم الأنبا انطونيوس يوصى أولاده

هكذا : اطلبوا باستقامة قلب ان ينعم عليكم بإتيان ناره غير المادية عليكم من الصلاة ليحرق كل أفكاركم ومشوراتكم الردية . اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا .

كثيراً ما طلبنا من الله ولم نأخذ . كما يقول معلمنا يعقوب الرسول تطلبون ولا تأخذون لأنكم تطلبون ردياً (يع ٤ : ٣) . وما هذه الطلبات الردية :

١ — طلب الشهوة : طلب أم ابني زندي أن يجلس إنباها حول المسيح واحد عن اليمين والآخر عن اليسار (ظناً منها أن المسيح ملك أرضي) (مت ٢٠ : ٢١) . هيرودس طلب المجد فضربه ملاك الرب فصار يأكله الدود (أع ١٢ : ٢٢) . طلب سمعان الفريسي من المسيح أن يدخل بيته للشهرة (لو ٧ : ٣٦) .

٢ — طلب الشهوة : المعتزل يطلب شهوته (أم ١٨ : ١) .

٣ — طلب الثروة : كثيرون ساروا وراء المسيح طلباً للنقود والمال فقال لهم : أنتم لم تطلبوني لأنكم رأيتم آياتي فأمنتم بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم » (يو ٦ : ٢٦) . الغنى الغيبي طلب الثروة الأرضية (لو ١٢ : ١٦) .

٤ — طلب النزوة : نزوة الإيذاء والاضرار بالآخرين . لا ينامون إن لم يفعلوا شراً (أم ٤ : ١٦) . طلب هامان أن يقتل مردخاى لأنه لم يسجد له (أس ٥ : ٩) .

أما الطلبات المقدسة :

١ — طلب الرب : قال داود « اطلبوا الرب وقدرته » (مز ١٠٥ : ٤) . كما قال « وجهك يارب أطلب » (مز ٢٧ : ٨) . تحيا قلوبكم يا طالبي الرب . طلبت الرب فاستجاب ومن كل مخاوفي أنقذني » (مز ٣٤ : ٤) .

٢ — طلب الحكمة : قال الجامعة : « درت أنا وقلبي لأعلم ولا بحث ولأطلب حكمة وعقلا » (جا ٧ : ٢٥) . فلم يطلب سليمان أياماً كثيرة أو غنى ولم يطلب أنفس أعدائه بل طلب الحكمة (مل ٣ : ٩) ولذلك قال : « قلب الفهم يطلب حكمة » (أم ١٥ : ١٤) .

٣ — طلب الملكوت : اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزداد لكم (لو ١٢ : ٣١) . فان كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله » (كو ٣ : ١) .

الله ليس له يمين ولا شمال ، لأنه غير محدود ، ولكن اليمين هنا يرمز الى القوة ، ويرمز الى البر . فعبارة جالس عن يمين أبيه ، أى أنه جلس في عظمة أبيه ، في عرش أبيه فلا يظهر

بعد في ضعف ، كما جاء في مجده الأول ، يمكن أن يهبونه ويصلبوه إنما حينما يأتي ثانية ، سيأتي في مجده وحوله ملائكته (مت ٢٥ : ٣١) وسيأتي في ربوات قديسيه وقبل مجده الثاني ، رآه شاول الطرسوسي في مجد (أع ٩ : ٣) وكذلك رآه يوحنا ووجهه كالشمس وهي تضيء في قوتها (رؤ ١ : ١٦) ، وبإشارة جلس تعنى الاستقرار والاستمرار ، فهو في مجده الى الأبد . فهل لنا في هذه الأيام أن نوجه طلبتنا الى الآب من جديد ؟ وعندما نطلب لابد أن ننال ، لأن الآب يهب الروح القدس للذين يسألونه ، وعندما يتجدد الروح فينا سيصير فينا الفرح الكامل الذى لايعرفه العالم .

فالروح المعزى هو المصدر الوحيد للفرح في وسط ضيقات هذا العالم . تطلبون باسمي : قال يوحنا ذهبي الفم في حياة الصلاة . الصلاة تحول القلوب للحمية الى قلوب روحانية . والقلوب الفاترة الى قلوب غيرة والقلوب البشرية الى قلوب سماوية . وقال أبأ اسحق في حديثه لكاسيان : الصلاة هي دعامة الواجبات الثلاثة التى على الانسان المسيحي : الأول صلته بالله والثاني بنفسه والثالث بالقرب ، فواجبنا نحو الله أن ندعو باسمه ونظهر حبنا وأمانتنا له وإيماننا به ونعترف به كمنبع لكل البركات نرجو أبأ حقيقياً . ونلتجئ إليه كأطفال . أما واجبنا نحو أنفسنا : فبالصلاة نفتش ذواتنا ونقيس انساننا الروحي ونسعى لتكون أهلاً لبنوة الله ، وأما نحو القريب فبأن نسأل ونطلب له كما لأنفسنا .

والمسيح المبارك في فصل الإنجيل يركز فكرنا في اسمه فكل طلبة بدون اسم يسوع ، لا موضع لها عند الآب ، وكل صلاة وتوسل بدون اسم يسوع تصير بلا قيمة لذلك أضاف الكنيسة للصلاة الربية في نهايتها بالمسيح يسوع ربنا . لقد عرف التلاميذ قوة هذا الاسم في القوات والآيات والعجائب ، وفي قوة الخلاص الكائنة لنا فيه : ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغي ان نخلص . ليتنا نختبر كيف نردد الاسم المقدس الذى لربنا يسوع بلا انقطاع حزقيال النبى : رأى الروح رؤيا عجيبة ، عظام كثيرة يابسة جداً وملقاة على الأرض متفرقة . وقال له الرب : تنبأ على هذه العظام ، وقل لها أيتها العظام اسمعى كلمة الرب . فتنبأ كما أمره الرب . فرأى حزقيال العظام ترتعش فقاربت كل عظمة الى عظمة ، إذا العصب كساها وبسط عليها جلد وليس لها روح . ثم قال له الرب تنبأ على الروح وقل : هلم يا روح هب على هؤلاء القتلى فيحيون فتنبأ فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على اقدامهم جيش عظيم جداً . ثم قال الرب : هذه العظام هي كل بيت اسرائيل (حز ٣٧ : ٢ - ١١) .

قبل حلول الروح لابد من حركة تقارب بين العظام وتهيئة عجيبة لحلول الروح . وهذه الأيام العشرة التى تسبق حلول الروح القدس هي أيام المصالحة والوحدانية بين العظام

اليابسة ، لكى تقوم بعمل الروح القدس بقوة . هكذا عاش التلاميذ هذه الأيام بنفس واحدة مواظبة على الصلاة والطلبية . هذه الأيام هى فرصة للكنيسة لكى تتجمع قتلاها من جديد وتسهم لعمل الروح القدس ليقبلهم ويجعلهم ضمن جيش الحياة الأبدية . هذه الأيام هى فرصة لجمع المتفرقين والمتشتتين فى موت الأنانية ، والانفراد بالرأى ، والاعتداد بالذات والمقتولين بكل أنواع الشهوات ، والمنفصلين عن مصدر الحياة وينبوع النعمة . هل لنا ان نجتمع شتاتنا ونجتمع بنفس واحدة للصلاة والطلبية فتتقارب عظامنا برعش الصلاة ، ويجتمع كل عظم الى عظمه ويكسينا عصب المحبة القلبية ، ثم يكسينا جلد الجسد الواحد ويعطينا بر المسيح .

أن أكبر ضربة يوجهها العدو الشيطان الى الكنيسة موجه دائماً ضد الروح الواحد ، والقلب الواحد ، أكبر ضربة يوجهها ضد المحبة فى الكنيسة . كل بيت ينقسم على ذاته يخرب ، وكل مدينة تنقسم على ذاتها تخرب هذه الأيام فرصة لكل بيت أن يأخذ بركة الروح الواحد فى الصلاة ، والروح الواحد فى المحبة .

الروح القدس لا يحل ولا يراتح طالما هناك انقسام أو شقاق . عمل الصلاة : يبدو أن الصلاة بنفس واحدة لها عمل خطير جداً . فالتلاميذ عندما واطبوا على الصلاة بنفس واحدة . تهبوا لقبول الروح القدس ومرة أخرى عندما كان بطرس الرسول فى داخل السجن . ظلت الكنيسة بنفس واحدة فتزعزع المكان وانفتحت أبواب السجن وخرج بطرس بيد ملاك الرب . الآن . للكنيسة نفوس كثيرة فى سجون مختلفة ، والشيطان اغلق عليها فى سلاسل رهبته . وأحكم حراسه عليها . فهل للكنيسة ان تعود الى الصلاة بنفس واحدة مرة أخرى لتخرج المحبوسين ؟ .

الأسرة التى تجتمع للصلاة بنفس واحدة كل يوم ، تؤهل لنعمة الروح القدس وشركة الحياة مع الله . الاختلاء عشرة أيام . يسبق الامتلاء من الروح القدس ليتنا ندرب أنفسنا أن يكون لنا خلوة مقدسة كل يوم . وبالذات فى هذه الأيام ليكون لنا صلوة مع الله قبل كل خدمة . لئلا تكون أعمالنا اندفاعاً بشرياً من يتكلم فكأقوال . ومن يخدم فمن قوة يمنحها الله . هذه الأيام فرصة لعمل المصالحة على مستوى الأفراد والجماعات ليتنا ننزه هذه الأيام للسعى المتواصل . اسعوا فى اثر الصلح طوبى لصانعى السلام .

مواعيد الله كلها بلا ندامة . هو وعد ان يعطى الروح القدس وهكذا سكب على التلاميذ . تمسك بمواعيد الله فى الصلاة ولا تمل حتى تأخذ . صلوا ولا تملوا . وله المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الجمعة السابعة من الخماسين المقدسة

الماء الحى

إن عطش أحد فليقبل إلى ويشرب (يو ٧ : ٣٧) .

قال الرب على لسان أشعياء النبى يدعو الجميع « أيها العطاش هلموا الى المياه والذى ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا ، هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرًا ولبنًا ، استمعوا لى استماعاً وكلوا الطيب ولتلتذذ بالدمس أنفسكم » (اش ٥٥ : ١ - ٢) . ويقول يوحنا الانجيلى فى سفر الرؤيا : « من يعطش فليأت ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً » (رؤ ٢٢ : ١٧) . هذا ما ينادى به الرب ورسله كى يسمع أهل العالم صوته . ما أشقى ذلك الانسان الذى يحب الإلحاح عليه لكى يقبل أن يكون سعيداً ، وما أعجب نعمة المسيح لأنه يلح عليه « أيها العطاش جميعاً هلموا » (اش ٢٥ : ١) . والدعوة نفسها عامة جداً ان عطش أحد مهما كانت حالته أو وضعه أو مركزه ، فإن المسيح يدعوه ، سواء كان رفيعاً ، أو وضيعاً ، غنياً أو فقيراً ، صغيراً أو كبيراً ، عبداً أو حراً ، يهودياً أو أممياً . وهى أيضاً رحيمة جداً ان عطش أحد فليقبل إلى ويشرب . إن أراد أحد أن يكن سعيداً ، سعادة حقيقية أبوية ، فليقبل إلى ويخضع لى . فأتعهد بأن أجعله سعيداً . ولكن من الناس من لهم آذان ولا يسمعون ولهم قلوب ولا يفقهون ، أسدلوا على عيونهم وبصائرهم ستار حتى لا يسمعون ولا يهتدوا .

« الحكمة تنادى فى الخارج . فى الشوارع تعطى صوته . تدعوا فى رؤوس الأسواق . فى مداخل الأبواب ، فى المدينة تبدى كلامها قائلة الى متى أيها الجهال تحبون الجهل والمستهزئون يسرون بالاستهزاء والحمقى ييغضون العلم ، أرجعوا عند توبيخى . هأنذا أفيض عليكم روحى ، أعلمكم كلماتى » (أم ١ : ٢٠ - ٢٣) . بذلك يعظهم يسوع بصوته الخنون وفى كل حين يدعوهم وإلى أى شئ يدعوهم الى الراحة والسعادة . الاطمئنان والسلام . النعمة والمغفرة وسلامة الضمير والمصالحة مع الله وبالجملة المواهب الروحية التى بها يبلغون المجد السماوى .

ويل لمن لا يسمع صوت الرب ، وويح من يعترض سر النعمة . يا شقاء وتعاسة من يقاوم الحق ، ويغلق باب قلبه عن دخول النور فيه ، سيمكث فى الظلام الى الأبد ، ويستقر عليه غضب الله وسيحس شدة وضيقاً فى نفسه ، وسيكون كالبحر المضطرب الذى لا يهدأ ولا يعرف السلام . النعمة لا تفعل فعلها فى العقول المشتتة والقلوب الموزعة ، بل

تطلب الروح الرزين الهادىء ، والقلب الوديع السليم . إذا دعاك الرب فاسمع صوته واصغ الى أمره ، وبادر لملاقاته لأنك لا تحصل على الخلاص إلا إن أطعت صوته . وهنا نرى كيف ان النفوس العطشى التى تقبل للمسيح تشرب . إن اسرائيل ، الذين آمنوا بموسى . شربوا من الصخرة التى تابعتهم ، إذا تابعتهم انهار المياه . أما المؤمنون فإنهم يشربون من الصخرة التى فيهم ، المسيح فيهم . هو فيهم ينبوع ماء حى (يو ٤ : ١٤) .

لا تقدم إليهم الامدادات لشبع وقتى ، بل لتعزيات مستمرة مستديمة . إن الله يريد أن يخاطب قلبك فكن مستعداً دائماً لاستماع صوته ، لا تقسى قلبك عند سماع صوته المفرح بل قل مع صموئيل النبى : « تكلم يارب لأن عبدك سامع » (١ صم ٣ : ٩) . كن كالشمع لنا قابلاً لصورة النعمة ، لا تكن قاسياً لا يؤثر فيك فعلها ولا تتمرد على الروح القدس لئلا تسمع يا قساة القلوب وغيز المختونين فى قلوبكم وأذانكم فى كل حين ، حتى متى تقاومون الروح القدس كما كان آباءكم كذلك أنتم (أع ٧ : ٥١) . ان الرب لا يمنحك نعمة فى كل حين ، فاغتنم الفرصة لكى تقبل مواهبه . إن الله لا يتفقدك فى كل وقت فاصغ لصوته عند ندائه إياك .

إن النعمة والتعزية تظهران ذاتهما ، والعواطف الطيبة تنتج أعمالاً طيبة ، والقلب المقدس يظهر فى الحياة المقدسة ، وكما أن الشجرة تعرف من ثمرها هكذا يعرف الينبوع من انهاره . أنهما تجريان لفائدة الآخرين . إن الإنسان الصالح يصدر عنه الخير العام . « فم الصديق ينبوع حياة » (أم ١٠ : ١١) . لا يكفى أن نشرب مياهاً من بئرها (أم ٥ : ١٥) وان نتمتع بالنعمة التى تعطى لنا ، بل يجب ان نفيض ينابيعنا الى الخارج (أم ٥ : ١٦) . فإياك والتهاون والإهمال . إن لم تسمع الآن صوته وقسيت قلبك فسيأتى وقت لا يسمعك فيه . لا ترفضه لئلا يرفضك . لا تكن كالشباب الغنى الذى دعاه المخلص فمضى حزينا لأنه كان ذا أموال كثيرة (مت ١٩ : ٢٢) .

لا تفضل الإصغاء لصوت العالم وتصم أذنك عن صوت يسوع . لا تخدعك أباطيل الحياة ولذاتها لئلا ينقلب فرحها ترحاً . وجلوها مرأ . لا يقرنك سراب العالم الخلاب فقصير أسيراً ذليلاً ، بل دس بقدميمك كل شهواته واعتبر غناه فقراً ومجده احتقاراً وعزه هواناً . إن صوت الرب مفرح ولذيذ ، وسعيد من يستمعه ويطيعه « إن أسمع ما يتكلم به الله الرب ، لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولأتقيائه » (مز ٨٥ : ٨٠) . فاسمع وكن فى سلام . أصغ وتلذذ بالراحة ، أنصت بعقلك فتملك هدوء الضمير وترى السلام سلام الله مقبلاً اليك وكما يقول حبقوق النبى : على مرصدى أقف وعلى الحصن انتصب وأراقب لأرى ماذا يقول لى وماذا أجيب (حب ٢ : ١) . ولربنا وإلهنا المجد الى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس اليوم الرابع والعشرين من شهر بشنس

عيد دخول المخلص أرض مصر

قم وأخذ الصبي وأمه وأهرب الى أرض مصر ... (مت ٢ : ١٣) .

بعد ما أتى المجوس الى الطفل العجيب واتم واجب السجود له وتقديم هداياهم . قد أوصى اليهم في الحلم أن لا يرجعوا الى هيرودس الذى اضطرب عندما سمع بميلاد الملك العظيم لخوفه من ضياع ملكه الذى اراق لاجله دماء كثيرين منهم بعض أولاده ونسائه . وعزم ذاك الطاغية الذى يجب أن يلقب يوحش لا بانسان على قتل الطفل الممجّد ولأن الفادى أراد أن يعلمنا بمثاله الكامل ضرورة عدم مقاومة الشر بالشر شاعت ارادته الإلهية أن يهرب من الشر . فبعد انصراف المجوس اذا ملاك ظهر ليوسف فى حلم قائلاً : قم وأخذ الصبى وأمه وأهرب الى أرض مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزعم أن يطلب الصبى ليهلكه فقام وأخذ الصبى وأمه ليلاً وانصرف الى مصر وكان هناك الى وفاة هيرودس » (مت ٢ : ١٣ - ١٥) .

ولم يكن غرض الفادى من هربه الى مصر كغرض غيره من الذين التجأوا اليها للتخلص من ضيقاتهم كإبراهيم ويعقوب وبنوه ثم يريعام (مل ١ : ١١ : ٤٠) . وكذلك غيرهم من اليهود الكثر الذين بلا شك قد التجأوا اليها فى زمان هيرودس تخلصاً من مظالمه . بل كان غرضه الأسمى تعليمنا ضرورة الهرب من وجه الشرير وعدم مقاومته بمثله وبذلك اعطانا درساً قوياً فى الوداعة والتواضع العميق . لأنه لو أراد أن يتخلص من هيرودس وهو قريب منه لما عدم وسيلة لذلك لأنه قدير على كل شىء وغير المستطاع عند الناس مستطاع لديه . اغتاط هيرودس جداً من عدم رجوع المجوس اليه ثانية فأمر بقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل نخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذى تحققه من المجوس ، وفى سبيل رغبته فى الفتك بالسيد المسيح قد ظهرت مغالاته فى الاجرام فقتل عدداً كبيراً من الأطفال . لأنه توسع فى الزمان والمكان اكثر من اللازم فاضاف مدة فوق التاريخ الذى سمعه من المجوس لميلاد الفادى كما أضاف تلك النخوم المحيطة ببيت لحم . وذلك لكى يمنع كل وسيلة لنجاة المسيح من الموت . وهناك اراء كثيرة فى تحديد المدة التى أقامها المخلص فى مصر ولكن الرأى الراجح يقرر أنه مكث بها نحو سنتين فقط . لأنه رجع منها على اثر موت هيرودس وتملك ابنه ارخيلائوس عوضاً عنه .

والسيد المسيح قد هرب الى مصر قبل وفاة هيرودس بسنة واحدة وعاد الى أرض اسرائيل في أيام ابنه الذى وهبه أبوه المملكة ولقبه بلقب ملك ولكن لم يعترف بذلك أوغسطس قيصر الا جزئيا اذ سلمه اليهودية وادومية والسامرة فقط ورفض أن يلقبه بملك الى ان يظهر استحقاقه لذلك . وانقسمت بقية المملكة بين أخويه فيلبس وانتيباس . وملك اريخيلوس ستين على رأى بعضهم وأكثر من ذلك بحسب رأى البعض الآخر . وقيل انه ملك بضعة أشهر فقط ومنعه أوغسطس قيصر ان يسمى نفسه ملكا ودعاه رئيس ربح على اليهودية

. والسيد المسيح عاد من مصر في الأيام التى كان يدعى فيها اريخيلوس ملكا وذلك في السنة الثانية لهربه الى مصر . وقد انصرفت العائلة المقدسة الى نواحي الجليل وهى القسم الشمالى من أرض اسرائيل . عندما جاءت الأسرة المقدسة الى أرض مصر استمرت تجول من مكان لآخر وجاء فى التقليد الكنسى انها مرت بضبعة اسمها بسطة (كانت بقرب الزقازيق ودمرت وباق من آثارها تل باسمها الى اليوم) وكذلك سمند (بمركز المحلة الكبرى تبعد عن مركزها بمقدار ٧ كيلو تقريبا) واجتازت غربا قبالة جبل النطرون (هو بيرة شبيبت) الذى تبارك بهذه الزيارة المقدسة التى جعلته فى مستقبل السنين وإلى الآن مكاناً مختاراً لعبادة ملائكية) . ووصلت الى الالهيونين التابعة لمركز ملوى . وقصدت جبل قسقام الكائن به دير العذراء الشهير بالحرق (وهو الآن دير عامر بالرهبان الكثيين بالقرب من محطة نزالى جانوب) وسمى هذا الدير بالحرق لوجوده قرب حوض المياه الزراعى المسمى بهذا الاسم بسبب نضوب المياه منه قبل غيره من الحياض .

ومات وقتئذ هيرودس فظهر ملاك الرب ليوسف فى حلم قائلا : قم ونخذ الصبى وامه واذهب الى أرض اسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى » (مت ٢ : ٢٠) . فعادوا الى مصر ونزلوا فى المغارة الكائنة بدير القديس سرجيوس بمصر القديمة . ثم اجتازوا بالمطرية واغتسلوا هناك من عين فصارت مباركة ومقدسة من تلك الساعة . ونمت بقرها شجرة البلسم المعروفة . وبعد تلك الزيارات المباركة لأرض مصر رجعت الأسرة المقدسة الى بلاد اسرائيل وبذلك تمت النبوة القائلة : « من مصر دعوت ابني » (هو ١١ : ١) ، (مت ٢ : ١٥) . وقد رتبت الكنيسة فى يوم ٢٤ بشنس الاحتفاء بهذا العيد المجيد لاعلان الشكر للرب على إحساناته الكثيرة وبركاته الوفيرة التى فاضت على بلادنا المصرية فى هذا اليوم المجيد . وتذكيرا لبنيها بضرورة الهرب من الشر اقتداء بفادينا رئيس السلام فهذا العيد يعتبر بحق منبرا لتعليم الوداعة من رب الوداعة والسلام .

ما رنجته مصر من مجيء السيد المسيح اليها : ان هذا اليوم يعتبر بحق أسعد الأيام التى

مرت على مصر في عصورها المختلفة . فهو من أعظم أعيادها الروحية لوجود مخلص العالم فيها بالجسد إذ بجلوله في أرضها نالت تعزية وبركة عظيمة لشعبها بعد تلك الضربات المؤلمة التي حلت بها من جراء تمرداها الذي تمثل في فرعونها الظالم على يدى موسى النبي . هذه هى مصر المباركة التي زارها السيد المسيح وقد تحققت هذه البركة في نبوة اشعيا النبي قائلا : « مبارك شعبى مصر » (اش ١٩ : ٢٥) .

ويحت مصر بدخول الفادى فيها بدء وصول المعرفة اليها وتطهيرها من ادران العبادة الوثنية . وقد شهد التقليد الكنسى أن مصر اهتزت وسقطت اصنامها من رهبة المخلص عندما دخل في ارضها وسدت أفواه تلك الأصنام وتلاشت قوة الشياطين . وهذا حق لأن أشعيا سبق وتنبأ عن ذلك بقوله : « هوذا الرب الراكب على سحابة سريعة وقادم الى مصر فترتحف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر في داخلها » (اش ١٩ : ١) . وقد أعدت القلوب في مصر بمجىء الفادى اليها لقبول رسالة الخلاص التي حملها مرقس الرسول الذي قام بواجبه الروحي نحو مخلصه على الوجه الأكمل حتى استشهد في سبيل انتشار الايمان في أرض مصر . وبذلك تأسست كنيسة القبطية المحبوبة القويمة المدعمة على صخر الدهور مخلصها وفاديا . وقيم فيها مذبحا للرب فتم بذلك قول اشعيا النبي . « في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر عند نخمها فيكون علامة وشهادة للرب الجنود في أرض مصر » (اش ١٩ : ١٩ ، ٢٠) .

اخيرا نتعلم من هذه الذكرى المحيطة ضرورة ضبط النفس حين الغضب لأنه اذا اشتد يقود صاحبه الى افطع الجرائم كما قاد هيرودس الى اشر انواع التوحش بقتل الأطفال الابرياء ظنا منه ان السيد المسيح لا يقلت من يده ولكن طاش سهمه وخاب امله وفوق ذلك مات شر ميتة وزال ملكه ودام مُلك السيد المسيح وسيدوم الى الأبد . ان مصر قد رجت وعجا عظيما بدخول المخلص في أرضها اذا تباركت كما تحطمت أوثانها .

فيا ليتنا نرحب بدخول الفادى الى قلوبنا ليسحق الأصنام التي تربعت فيها كصنم محبة المال ومحبة الانتقام من الأعداء وحب المجد الباطل والكبرياء وصنم التبرج الذى دخل قلوب السيدات في العصر الحديث وتسلط على عقولهن باختراعاته ومظاهره الخليعة المتبدلة . فاذا سكن الفادى بروحه القدوس في قلوبنا يحطم بقوته الإلهية تلك المعبودات الكاذبة فتطهر قلوبنا من ادرانها وبذلك نستطيع ان نختمل بهذا العيد المجيد متبهجين فرحين بسرور قلبى ممزوج بالكمال المسيحى وبذلك نستأهل للمجد الأبدى الذى أضرع الى المخلص ألا يحرم أحدا من التمتع بهيجته لأنه يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون وله المجد من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد السابع من الخماسين المقدسة

الينبوع الحى العظيم .. الرب يسوع

« من آمن بى ، كما قال الكتاب ، تجرى من بطنه أنهار ماء حى » (يوحنا ٣٨: ٧) .

يقول الوحي الإلهى فى إرميا : « تركونى أنا ينبوع المياه الحية ، لينقروا لأنفسهم آباراً ، آباراً مشقة لا تضبط ماء » (إرميا ١٣: ٢) .. ما أشد حماقتنا ! إننا نفعل بذلك شرين ، ومن هذا تبهت السموات وتتشعر الأرض جداً !!

إن الرب يسوع هو الغمر الرابض تحت .. فى الأساس الروحى للنفس البشرية ، هو هناك فى أعماقك .. لا تبحث عنه خارجاً عنك ، فهو « عن كل واحد منا ليس بعيداً » (أع ١٧: ٢٧) اغلق مخدع قلبك وابحث عنه ، كما فعل أوغسطينوس من قبل ، فيروى نفسك من مائه .. ويصيرك أيضاً ينبوعاً .

وبنعمة الله وإرشاد من روحه القدوس نتكلم عن :

أولاً — ينابيع الخلاص :

من أجمل الترتيبات فى كنيستنا الطقس الرائع الذى لأسبوع الآلام ، إذ نضيف إلى تسبختنا عبارة : « قوتى وتسبختى هو الرب ، وقد صار لى خلاصاً مقدساً ! » مقتبسة من قول إشعياء النبی عن الرب : « قوتى وتسبختى وقد صار لى خلاصاً . فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص » (إش ١٢: ٣) ! الكنيسة فى ذكرى الخلاص العظيم تهتف ببيشارة موت الرب وتعترف بقيامته .. إنها تعلن عن بركات الفداء وغنى الصليب .. لأنها تقدم ينابيع الخلاص لكل من يريد ، ليستقى منها بفرح ..

ليتنا لا نستحي بإنجيل المسيح .. ليتنا لا نكل من المناادة باسمه .. ليتنا نخبر عن الهبات الكثيرة والإميازات الوفيرة والسخية التى نلناها فيه .

ثانياً — ينابيع الأبدية :

يسوع الذى يعطى هبات مقدسة للمؤمنين باسمه أثناء جهادهم فى هذا العالم ، سوف يزيل لهم العطية ويكافئهم عندما يأتى بهم إلى المنازل الدهرية .. سوف يعوضهم

عن أتعابهم والامهم ودموعهم وصبرهم ، « لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر ، لأن الحروف في وسط العرش يرعاهم ، ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية ، ويمسح كل دموعهم من عيونهم » (رؤ ١٦: ١٧) .

هذه هي تعزيات الروح القدس وأفراحه .. التي لم نزل منها هنا سوى عربونها . أما هناك فسننال قياسها الكامل عند ينابيع الراحة سوف يوردك الرب يسوع ، وهناك تستقي نعماً تدوم إلى الأبد .

ثالثاً — عيون إيليم :

في ارتحال بنى إسرائيل ، عطشوا في بركة شور . إلا أن الرب افتقدهم « عندما جاءوا إلى إيليم حيث وجدوا هناك اثنتي عشرة عين ماء وسبعين نخلة ، فنزلوا هناك عند الماء » (خر ١٥: ٢٧) .

لا شك أن هذه العيون كانت رمزاً للتلاميذ الاثني عشر ، وأشجار النخيل كانت إشارة إلى الرسل السبعين ..

كان التلاميذ الاثنا عشر عيوناً (ينابيع) فائضة بالماء الحى الذى ارتوى منه العالم الذى سمع منطقهم وبلغته أقوالهم .. كانوا عيوناً لم ينضب ماؤها ، إذ كانوا متصلين بالينبوع الحى العظيم .. الرب يسوع . إنه — تبارك اسمه — حينما صعد لم يفرق عنهم ، بل هكذا وعدهم : « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم .. وها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » (مت ٢٨: ١٩ ، ٢٠) .

ليتنا نجد عيون الماء الزاخرة .. إن أقوالهم موجودة وحية في كتاباتهم . ليتنا نقرأ ونفهم .. وليتنا نفهم ونعمل .. ليتنا ننزل هناك عند الماء فنرتوى !

رابعاً — ينبوع مختوم :

« أحتى العروس جنة مغلقة ، عين مقفلة ، ينبوع مختوم .. ينبوع جنات ، بحر مياه حية » (نش ٤: ١٢ ، ١٥) ، بهذه الكلمات الفريدة ناجى العريس عروسه في سفر نشيد الأنشاد وتقريباً لا يختلف أحد في من هو العريس .. فيالإجماع هو ربنا يسوع . ولكن من هي العروس ؟ قال البعض إنها العذراء . وقال آخرون : هي الكنيسة .. وقال فريق هي النفس المؤمنة . ونرى أن كل هذه المفهومات صادقة معاً — ومن الخطأ الاقتصار على تفسير واحد بعينه .

+ فالقديسة الطاهرة مريم عروس إشتى الرب حسنبا الروحى ووجدت نعمة فى عينيه فاختارها للحمل المقدس .. وفى صلاة نصف الليل ندعوها : « العروس التى بلا زواج » .. هى البتول الدائمة البتولية ، كما تسميها الكنيسة ، وهذا المعنى يستقيم تماماً مع قول سليمان : « جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مخنوم » !

+ والكنيسة ، بكل تأكيد أيضاً ، عروس للمسيح . قال المعداد لليهود : « من له العروس فهو العريس » (يو:٣:٢٩) .. وكان يعنى بالعريس شخص المسيح ، وبالعروس الكنيسة أو جماعة المؤمنين الذين بدأوا يلتفون حول من أحبهم . وهذا أيضاً أوضحه الرسول بولس حين قال : لأنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٢كو:١١:٢) . وعذراء عفيفة !! أحبا المسيح وأسلم نفسه لأجلها .. « قدسها مظهراً إياها بغسل الماء بالكلمة ، لكى يحضرها لنفسه كنيسة بجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شىء من مثل ذلك ، بل مقدسة ولا عيب » (أف:٥:٢٦، ٢٧) . صارت جنة مغلقة عيناً مقفلة ينبوعاً مخنوماً .. وينبوع جنات وبئر مياه حية !

هذا عن الكنيسة كجماعة للمؤمنين .. وهى أيضاً كذلك كمستقر للنعم والهبات المتنوعة . فالكنيسة فى الأسرار المقدسة هى ينبوع مياه حية ، استودع فيها الرب بركات الروح القدس . الأسرار السبعة هى قنوات الروح التى مثلتها فى القديم سبعة سرج المنارة الذهبية .. ما أتمس وأشد خداع الذين تركوا يانييها ! صدق القديس كبريانوس حين قال : « ما من أحد يستطيع أن يقول إن الله أبوه ما لم تكن الكنيسة أمه » ! وفى الكنيسة كنوز الآباء وثمار اختباراتهم الطويلة مع الله ، دونوها فى كتاباتهم وتأملاتهم المباركة ، فكانت بركة للأبناء الذين وجدوا طريقهم إليها « فارتووا من دسم بيت الله » (مز:٣٦: ٨) ..

إذا أحسست أن أعدائك الروحيين قد دسوا عليك منابع الروحيات ، عد وانبش آبار القديسين كما فعل إسحق « فعاد إسحق ونبش آبار الماء التى حفروها فى أيام إبراهيم أبيه وطمسها الفلسطينيون بعد موت أبيه » (تك:١٨:١٩) هناك ستجد آباراً كثيرة وينابيع ماء حى !

+ وما قلناه عن الكنيسة ، كجماعة للمؤمنين ، يصدق أيضاً على النفس الواحدة ، النفس المقدية بدم الحمل وجراحات الصليب ، هى عروس للمسيح إشتى حسنبا وأحبها .. رآها بعينه الصالحة جميلة كلها ! نفسك عزيزة فى عينى الرب . ليتك تكون

قد اختبرت ذلك . قال الرسول بولس عن الكنيسة ككل إن الرب أحبها وأسلم نفسه لأجلها .. ولكنه اختبر أيضاً اختباراً فردياً شيقاً .. تأمل كيف استخدم نفس الكلمات ولكن بأسلوب التخصيص : « ... الذى أجبني وأسلم نفسه لأجلي » (غل ٢:٣٠) .

إذن فالنفس الواحدة ثمينة جداً في نظر الرب ، عروس محبوبة .. جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم ..

ليتنا نحفظ عفتها .. ليتنا نغلق أبوابها في وجه تيارات العالم الفاسدة .. ليتنا نكرسها له ، وله وحده .

خامساً — نبع القلب :

هناك نبع في القلب — أعنى الإنسان الباطن — يمد الفم بنوع الكلام . ومن هنا يختلف نوع الكلام عند الناس . يقول الحكيم في هذا : « فم الجهال ينبع حماقة .. فم الأشرار ينبع شروراً » (أم ١٥: ٢) . كما يقول أيضاً : « فم الصديق ينبوع حياة » (أم ١٠: ١١) . وقد أوضح ربنا هذه الحقيقة حين قال : « الإنسان الصالح من كنز قلبه الإصالح يخرج الصالحات . والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر ، فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم » (لو ٤٥: ٦) .

قد يستطيع الشرير أن يخرج من فمه بعض عبارات مطلية بالصلاح .. قد ينطق بألفاظ طيبة .. قد يستطيع أن يجيد الزيف بين حقيقة وواقع حياته . ولكن الرب لن يرضى عن مثل هذا ، ويوبخهم قائلاً : « يا أولاد الأفاعى كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار — يامراؤون حسناً تنبأ عنكم إشعياء قائلاً : « يقترب لى هذا الشعب يفمه ويكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً ... » (مت ١٢: ٣٤ ؛ مت ١٥: ٨، ٧) .

وحتى الناس ، لن ينخدعوا طويلاً بالأساليب المعسولة ، فسوف تظهر أمامهم حقيقة النبع الداخلى . ستفضح تصرفات الشخص أقواله ورياءه ، ولغته سوف تُظهره » (مت ٢٦: ٧٣) .

ومن الجانب الثانى ، لا يستطيع إنسان ، تقدس قلبه حقاً ، وتبقى قلبه تماماً ، أن ينطق بالشرور والسفاهات ، « فقلب الحكيم يرشد فمه » (أم ١٦: ٢٣) . لذا من الأمور المستنكرة أن بركة ولعنة تخرج من فم واحد : « من الفم الواحد تخرج بركة

ولعنة . لا يصلح يا إخوتي أن تكون هذه الأمور هكذا . أَلعل ينبوعاً ينبع من نفس عين واحدة العذب والمِر (يع ٣: ١٠، ١١) ! .

أخى الخادم .. أَلقي شجرة صليب يسوع العجيب في العين المرة ، فيتحول ماء مارة إلى ماء عذب ، وهناك وعد الرب حافظ وصاياہ بالشفاء إلى الأبد : « فإني أنا الرب شافيك » (خر ١٥: ٢٦) .

سادساً — بئر سوخار :

عند بئر سوخار (يو ٤: ٣٠ —) التي شرب منها يعقوب مع بنيہ ومواشيہ ، التقى الرب بالمرأة السامرية . والحديث عن هذا البئر يمكن أن يأخذ إتجاهين :

١ — **بئر الفرائض الشكلية** : سميت هذه البئر ببئر يعقوب ، وعندما تحدثت المرأة مع السيد تساءلت ، في جهل منها : « أَلعلك أعظم من أبيتنا يعقوب » ! .. كانت هذه المرأة وغيرها يعتزون بهذه البئر باعتبار أنها تنتسب إلى شخصية موقرة ، هي شخصية أبى الأسباط . إنه الافتخار الذى بحسب الجسد ، والذى يشبه إلى حد كبير منطق اليهود الذين كانوا يقولون فى أنفسهم : « لنا إبراهيم أباً » (مت ٣: ٩ ، يو ٨: ٣٩) ! ومهما بدت هذه البئر فى نظر المرأة السامرية عميقة ، إلا أن مياهها لن تروى ، وكل من يشرب منها يعطش أيضاً .

٢ — **بئر الشهوات العالمية** : كانت المرأة المسكينة ، مستأجرة تحت أركان العالم . كانت تشرب من مياه العالم والشهوة ، وتزداد كل يوم عطشاً . حدثها الرب عن مياه النعمة التي يهبها ، فتروى كل عطش للقلب : « كل من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد ، بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية » . فتركت جرتها — شهوات قلبها — عند البئر ومضت إلى المدينة ، وطفقت تُخبر عن المسيح وتشهد له .. كان الماء الذى روى عطشها قد صار فيها ينبوعاً ينبع إلى حياة أبدية ويجرى من بطنها أنهار ماء حتى .. الذى له المجد من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس الأحد السابع من الخماسين المقدسة

عيد العنصرة

وهي جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند أبى (يو ١٥ : ٢٦) .

هذا اليوم المبارك هو عيد الخمسين أو عيد حلول الروح القدس أو عيد العنصرة (وهى كلمة عبرية أصلها عصريت ومعناها تمام الخمسين ، أى انقضاء خمسين يوماً على عيد القيامة ثم يأتى عيد العنصرة وسرعان ما أبدل حرف الصاد فى كلمة عصريت بحرف النون فصارت عنصريت ومن ثم أصبحت عنصرة . وفيه نذكر أنه بعد خمسين يوماً من صعود السيد المسيح الى السماء حل الروح القدس على التلاميذ وبقوة الروح أسسوا الكنيسة فى العالم .

هو عيد عظيم يحوى فى ذاته أسراراً عظيمة من العهدين وقد كان من أعياد الاسرائيليين الثلاثة الكبيرة .

١ - الفصح والحصاد والمظال . وعيد الحصاد أبكار غلاتك التى تزرع فى الحقل « (خر ٢٣ : ١٦) .

ب - وسمى عندهم عيد الجمع « وعيد الجمع فى آخر السنة » (خر ٣٤ : ٢٢) .
ج - صنع تذكاراً لقبول موسى الشريعة التى وضعت أساساً لسياسة الشعب الدينية والمدنية عند مدخل أرض الميعاد وتخلص من العبودية . « كلم بنى اسرائيل قائلاً فى اليوم الخامس عشر من هذا الشهر السابع عيد المظال سبعة أيام للرب » (لا ٢٣ : ٣٤) .

د - وكانوا يكرسون هذا التذكار شاكرين الله لانتهاى الحصاد الذى يبتدىء فى جمع أبكار غلات الحقل . وكلم الرب موسى قائلاً : « تأتون بحزمة أول حصيدكم الى الكاهن فيردد الحزمة أمام الرب للرضا عنكم » (لا ٢٣ : ١٠ ، ١١) وفيه كانوا يقرّبون فى الهيكل التقدّمات العديدة عن الخطية « بخبز ترديد » (لا ٢٣ : ١٧ ، ٢٠) .

و - كما انهم كانوا يعيدونه بفرح عظيم إذ كان يذهب للاحتفال به فى اورشليم اليهود المنتشرون فى جميع أقطار الأرض (أع ٢ : ٥)

كان هذا العيد فى العهد القديم رمزاً لما صنعه السيد للجنس البشرى والكنيسة تحتفل به تذكاراً لتلك الأعجوبة العظيمة التى قدست العالم وفتحت طريق الايمان و قدست الرسل بنوع خاص وهى حلول الروح القدس على جمهور التلاميذ بشبه ألسنة نارية منقسمة كأنها

من نار استقرت على كل واحد منهم بينما كانوا مجتمعين للصلوة بنفس واحدة في العلية في يوم الخميس (أع ٢٠ : ١ - ٤) . ولذلك اختارت كنيسةنا المحبوبة كل الفصول التي تقرأ في صلاة عشية وصلاة باكر والخدمة الصباحية مناسبة لموضوع الروح القدس .

لنتأمل في الفصول الانجيلية التي قرئت هذا الصباح مبتدئين بها بحسب ترتيبها في الكتاب المقدس :

ا - ففصل انجيل القديس : فيه وعد من المسيح لتلاميذه بحلول الروح القدس .

ب - وفي الابركسيس : خبز إنجاز هذا الوعد بنوال التلاميذ الروح القدس .

ج - وفي البولس : تعدد مواهب الروح القدس .

د - وفي الكاثوليكون : مسحة الروح القدس .

أولاً - الوعد بإرسال الروح القدس :

كان السيد المسيح يعلم الناس في أيام جسده وقبل تركه للعالم وصعوده للسماء كلف تلاميذه ان يركزوا للعالم بخبر الانجيل ويحولوا الأمم عن شرورهم وأديانهم الكاذبة الى محبة الله في المسيح . وان هذا العمل لا يقوى عليه جماعة قليلون جليليون فقراء جهلاء صيادون ، فوعدهم بتأييد الروح القدس الذي يعطيهم قوة لا جسدية كشمشون ولا مالية ، ولا منطقية ، ولا حرية ، ولكن قوة روحية قوة الحق والايمان والمحبة فقال لهم : « خير لكم أن أنطلق ، لأنه ان لم أنطلق لا يأتيكم المعزي . ولكن ان ذهبت أرسله اليكم ، ومتى جاء ذاك ييكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة » (يو ١٦ : ٨) . ومعنى هذا ان الروح القدس في التلاميذ ييكت العالم :

١ - على خطية : أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى » (يو ١٦ : ٩) . ان أول عمل للروح القدس تبيكت الخاطيء وايقاظ ضميره ولذلك نسمع ان بطرس الرسول بعد ان وعظهم تخسوا في قلوبهم . ونلمس ذلك في موقف المسيح مع المرأة السامرية اذ بكتها على خطيتها وأيقظ ضميرها فأمنت به مخلصا وفاديا (يو ٤ : ١٠) .

٢ - على بر : « فلأنتي ذاهب الى أبى ولا تروننى » (يو ١٦ : ١٠) . فالروح يوبخ على فوات الفرصة ويحذر من تأجيل التوبة لئلا يغلق الباب أو يمضى العريس ولا نراه . ويكشف لنا خطر البر الذاتي فنقرع صدورنا مثل العشار ارحمنى يا الله أنا الخاطيء .

٣ - على دينونة : « وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين » (يو ١٦ : ١١) . يصور لنا الروح القدس عاقبة إبليس الوخيمة ودينونته الكبيرة فنصحو ونتعقل ونتوب . فالروح القدس يعلم التلاميذ . ويذكرهم بأقواله وفي الوقت ذاته ييكت ويدين العالم الحاضر .

ثانياً — إنجاز هذا الوعد :

فى مثل هذا اليوم ، فى يوم الخمسين ، فى فجر تأسيس الكنيسة ، كان التلاميذ يصلون مجتمعين معاً فى العلية بنفس واحدة وهم يصلون . وإذا برىح تهب ولها دوى عظيم وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم ، وامتألوا من الروح القدس وكانوا يتكلمون بعضهم الله . وكانوا أناس أتقياء قد حضروا وشاهدوا الرسل يسبحون الله باللغة التى ولد فيها . ولما استهزأ البعض بالرسل وقف بطرس ووعظ الجمهور عن المسيح ونوال الروح القدس حسب الوعد الذى فاه به يوثيل النبى القائل : « سيكون بعد ذلك انى اسكب روحى على كل بشر ، فيتنبأ بنوك وبناتكم . ويحلم شيوخكم احلاما ، ويرى شبابكم رؤى . وعلى العبيد أيضاً وعلى الاماء اسكب روحى فى تلك الأيام ... لأنها فى جبل صهيون وفى اورشليم تكون النجاة . كما قال الرب وفى الباقين الذين يدعوهم الرب » (يؤ ٢ : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢) . وحض السامعين على التوبة والإيمان بالمسيح . « فآمنوا واعتمدوا وانضم الى الكنيسة فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف نفس » (أع ٢ : ٤١) . فباليات ما تم فى يوم الخمسين يتم معنا فى هذا اليوم المبارك .

ثالثاً — مواهب الروح القدس :

أن الروح القدس يعطى كل واحد من المؤمنين موهبة موهبة خاصة بها يخدم الكنيسة ، « فواحد يعطى كلام حكمة ، وآخر كلام علم ، وآخر نبوة ، وآخر تدبير ، وآخر ألسنة ، وآخر ترجمة ألسنة ، وآخر مواهب شفاء » (١ كو ١٢ : ٨ — ٩) . وكان الجد .د به أعضاء كثيرة ، ولكل عضو عقل خاص ، فالسمع من خاصة الأذن ، والبصر من خاصة العين ، والتكلم من خاصة اللسان ، هكذا كل مؤمن له عمله الخاص فى الكنيسة . وهذه الأعمال المختلفة يهبها الروح القدس بعينه . فعلى كل واحد أن يقوم بموهبته ، صغيرة كانت أم كبيرة ، لخدمة الجسد الواحد ، ولجسد الرب الواحد .

رابعاً — مسحة الروح القدس :

فى العهد القديم كانوا يمسحون الملوك والكهنة والأنبياء لوظائفهم . وكانوا يمسحونهم بدهن المسحة المقدسة . والسيد المسيح بعد عماده من يوحنا المعمدان ، انفتحت له السماء ونزل الروح القدس واستقرت عليه ، فتمت نبوة اشعيا القائلة « روح الرب على مسحنى لأبشر المساكين ، أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب ، لأنادى للماثورىين بالإطلاق والعمى بالبصر ، وأكرز بسنة الرب المقبولة » (لو ٤ : ١٨ ، ١٩) . وكان

الرسول بعد ما يعمدون المؤمنين يضعون أيديهم عليهم مع الصلاة ليقبل المؤمنين الروح القدس ، كما فعل بطرس ويوحنا مع أهل السامرة (أع ٨ : ١٤ - ٢٠) . وكما فعل بولس مع التلاميذ في أفسس (أع ١٩ : ١ - ١٦) . ولذلك يضع كهنة الكنيسة أيديهم مع الصلاة على المعتمدين وقت مسحهم بالميرون الذى هو طيب بعضه من أطياب جسد المسيح وقت دفنه .

فمع المسحة ينال الممسوح نعمة الروح القدس ، فالمسحة الخارجية بالزيت تمثل المسحة الداخلية بالروح القدس . « وأما أنتم فلکم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء » (١ يو ٢ : ٢٠) . ونحن كمسيحيين قد لننا نعمة الروح القدس مع المسحة المقدسة ، ولكن للأسف كثيرون منا وقت الكبر والرشد احزنوا روح قدسه واطفأوا الروح بخطاياهم . فالواجب علينا الآن أن نطلب رضى الروح القدس ونطيعه وننقاد بإرشاداته « امثلثوا بالروح » (أف ٥ : ٨) .

ان المسيح صلب يوم تقديم خروف الفصح لأنه هو فصحنا الذى ذبح لأجلنا . والروح القدس حل يوم الخمسين الذى فيه يعيد شعب الله بتقديم باكورة حصادهم ، والحصاد هو خير أرض الموعد ، وذلك لأن بركات الروح القدس هى بركات ميراثنا وعربون مجدنا الأبدى . فليملأنا الله من روحه وفيفيض علينا من نعمه . « ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت السموات » (يو ٣ : ٥) . وقال بولس الرسول : « لا بأعمال فى بر عملناها بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تي ٣ : ٥) . نعم لا يقدر الانسان ان يجدد نفسه لأن هذا عمل الروح القدس وكما قال السيد المسيح المولود من الروح هو روح أى ان كل جنس يلد مثله فالروح القدس هو العامل المهم فى الخليقة الجديدة وعندما يحيى الروح الانسان تظهر أثماره المقدسة فى الحياة . قال الرسول القديس بطرس فى حديثه الى اليهود فى يوم الخمسين فيسوع هذا ... وإذ كان قد ارتفع يمين الله وأخذ من الآب موعد الروح القدس سكب هذا الذى أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه » (أع ٢ : ٣٢ ، ٣٣) .

من هذا كله نتبين ان حلول الروح القدس فى يوم الخمسين كان تحقيقاً لوعده المسيح له . المجد الذى صرح به لتلاميذه . كما كان حلقة جديدة فى سلسلة من حلقات عمل الروح القدس فى الكنيسة منذ نشأت الخليقة . لكنها حلقة تقوم على عمل المسيح الكفارى الذى تم بموته وقيامته من الموت . وبها بدأت الكنيسة عصراً جديداً هو عصر يبرز فيه عمل الروح القدس فى تدبير الخلاص . وذلك بسكب مواهبه الخلاصية التى يغترفها من بحر الخلاص

الذى تفجر فى الصليب وينقلها الى المؤمنين بالمسيح فى قنوات روحية روحانية هى أسرار الكنيسة السبعة .. وما يتبع منها . ويتفرع عليها من مواهب وعطايا . وفى هذا كله يظهر واضحا عمل الأقانيم الثلاثة متضامناً . وفى تدبير الخلاص للمؤمنين القديسين .

وكما يظهر تضامن الأقانيم الإلهية واشتراكها معا فى سر التجسد . كذلك يظهر تضامن الأقانيم الإلهية واشتراكها معا فى سر الفداء . نعم فإن الفداء سر وما أعظمه سر . هو سر تولدت عنه أسرار الكنيسة وهى مواهب الروح القدس فى العهد الجديد . ولربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح له المجد والاكرام والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

أهم مراجع الكتاب

- ١ - الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد
- ٢ - قاموس الكتاب المقدس
- ٣ - الأجبية (كتاب السبع صلوات النهارية والليلية)
- ٤ - بستان الرهبان لأباء الكنيسة القبطية
- ٥ - تفسير الكتاب المقدس إنجيل يوحنا - القس مرقس داود
- ٦ - اللاكئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة - تأليف المتنيح القمص يوحنا سلامة
- ٧ - تأملات روحية فى شرح الأناجيل القبطية - كنيسة مارجرجس باسيورتنج
- ٨ - المواعظ النموتجية - للقمص بولس باسيلي
- ٩ - سر التقوى - للأرشيدياكون حبيب جرجس
- ١٠ - كنوز النعمة جـ ١ - للأرشيدياكون بانوب عبده
- ١١ - جراح المسيح - للدكتور دون ر. فولكنجبرغ
- ١٢ - قيامة المسيح انتظار وانتصار، ابن الله - للقمص إبراهيم جبرة
- ١٣ - بحث هام فى الأعياد السيديّة - بقلم الأستاذ كامل صالح نخلة
- ١٤ - مقالة من كتاب مواعظ الشماس صادق - للقمص بطرس القطشة
- ١٥ - مقالات من مجلة المحبة - لغبطة البابا الطوباوى/ الأنبا شنوده الثالث بابا الاسكندرية وبطيريك الكرازة المرقسية
- ١٦ - مقالات من مجلة المحبة وجريدة وطنى - لنيافة الحبر الجليل/الأنبا غريغوريوس أسقف الدراسات العليا والبحث العلمى
- ١٧ - مقالات من جريدة وطنى - للقمص باسيليوس باسيليوس
- ١٨ - مقالات - للقمص جرجس بشارة
- ١٩ - مقالة من رسالة المحبة - للقمص أنطون عبد الملك

- ٢٠ - مقالة - للشماس بولس السفري
- ٢١ - مجلة الكرمة - للأستاذ قوسة بك جرجس
- ٢٢ - كيف أن المسيح هو الله وابن الله - لنيافة الأنبا فيلبس
- ٢٣ - الخلاص - للقس مرقس عبد المسيح
- ٢٤ - تفسير الأناجيل المقدسة ج ١ - للأب لويس برسوم الفرنسيسكاني
- ٢٥ - أشهر المواعظ ج ٢ - للدكتور جريفت توماس
- ٢٦ - مجلة الكرازة - لقداسة البابا شنودة الثالث
- ٢٧ - مجلة نور العالم - لنيافة الأنبا فيلبس
- ٢٨ - مجلة اليقظة - بقلم الايغومانس إبراهيم لوقا
- ٢٩ - مجلة المحبة - للقمص باسيليوس إسرائيل
- ٣٠ - مجلة المحبة - للأستاذ عياد عياد
- ٣١ - مجلة الكرازة - للأستاذ فوزى نمر مينا
- ٣٢ - مجلة الكرازة - للأستاذ رشدى السيسى
- ٣٣ - رسالة السلام - بقلم القس إبراهيم سعيد

فهرس الكتاب

صفحة

٢	إهداء الكتاب - إلى أبينا القديس الأنبا أنطونيوس
٩	مقدمة الطبعة الثانية
١١	تقديم الجزء الأول لنيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس الأسقف العام
١٣	مقدمة الجزء الأول للقمص لوقا الأنطوني
١٥	تقديم الجزء الرابع لنيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس الأسقف العام
١٧	مقدمة الجزء الرابع للقمص لوقا الأنطوني

عظات لقداسات أناجيل جمع وعشيات الآحاد وآحاد وأعياد الصوم المقدس

م	العظمة	الموضوع
١	عشية أحد الرفاع	اغفر لنا .. كما نغفر
٢	قداس رفاع الصوم الكبير	الصوم
٣	قداس الجمعة الأولى	الصلاة
٤	عشية الأحد الأول	يا مرأى
٥	قداس الأحد الأول	الصدقة
٦	قداس الجمعة الثانية	إجتناى دينونة الآخرين
٧	عشية الأحد الثانى	معمودية التوبة
٨	قداس الأحد الثانى	تجربة المسيح على الجبل
٩	قداس الجمعة الثالثة	الانقسام
١٠	عشية الأحد الثالث	القلب والشيطان
١١	قداس الأحد الثالث	الابن الضال
١٢	قداس الجمعة الرابعة	ليكن لك كما تريدين
١٣	عشية الأحد الرابع	المسيح والطبيعة
١٤	قداس الأحد الرابع	السامرية
١٥	قداس الجمعة الخامسة	توعد القريسيين بالموت الأبدى
١٦	عشية الأحد الخامس	أنواع الناس إزاء المجى الثانى

م	العظيمة	الموضوع	ص
١٧	قداس الأحد الخامس	أحد الوحيد (المخلع)	١٠١
١٨	قداس الجمعة السادسة	الميلاد الثاني	١٠٧
١٩	عشية الأحد السادس	الباب الضيق	١١٣
٢٠	قداس الأحد السادس	المولود أعمى	١١٧
٢١	قداس الجمعة السابعة	مبارك الآتى باسم الرب	١٢٢
٢٢	عشية الأحد السابع	لماذا سجع النخيل؟	١٢٦
٢٣	قداس الأحد السابع	عيد أحد الشعانين	١٣٠
٢٤	عشية ظهور الصليب المجيد	حياة التلمذة	١٣٨
٢٥	عشية تذكارات البشارة	موقفان	١٤٣
٢٦	قداس ٢٩ من برمهات	عيد البشارة	١٤٦
٢٧	قداس خميس العهد الكبير	سر الافخارستيا	١٥٢
٢٨	الاحتفال بتذكارات الصليب	جراح المسيح	١٥٧
٢٩	قداس عيد القيامة المجيد	قيامه يسوع المسيح	١٦٢

عظات لقداسات أناجيل جمع وعشيات الآحاد وآحاد وإعياد الخماسين المقدسة

١	قداس الجمعة الأولى	شهادة الملاك لقيامه الرب	١٦٧
٢	عشية الأحد الأول	إلى العمق	١٧١
٣	قداس الأحد الأول	أحد توما	١٧٥
٤	قداس الجمعة الثانية	تناول الأسرار المقدسة	١٨٠
٥	عشية الأحد الثاني	الشكر	١٨٤
٦	قداس الأحد الثاني	خبز الحياة	١٨٨
٧	قداس الجمعة الثالثة	التلمذة والتعليم	١٩١
٨	عشية الأحد الثالث	نور العالم	١٩٥
٩	قداس الأحد الثالث	ماء الحياة	٢٠١
١٠	قداس الجمعة الرابعة	إبن الله	٢٠٥
١١	عشية الأحد الرابع	إبن الله	٢١٢
١٢	قداس الأحد الرابع	نور العالم	٢١٦

م	العظـمة	الموضـوع	ص
١٣	قداس الجمعة الخامسة	المحبة	٢٢٠
١٤	عشية الأحد الخامس	الوصية الجديدة	٢٢٤
١٥	قداس الأحد الخامس	الطريق والحق والحياة	٢٢٧
١٦	عشية خميس الصعود المجيد	الطريق الكامل	٢٣٣
١٧	قداس عيد الصعود المجيد	عيد الصعود	٢٣٧
١٨	قداس الجمعة السادسة	السلام الحقيقي	٢٤٢
١٩	عشية الأحد السادس	محبة الله في حياتك	٢٤٦
٢٠	قداس الأحد السادس	في انتظار الروح القدس	٢٤٩
٢١	قداس الجمعة السابعة	الماء الحى	٢٥٣
٢٢	قداس ٢٤ من شهر بشنس	عيد دخول المسيح أرض مصر	٢٥٥
٢٣	عشية الأحد السابع	يسوع الينبوع الحى العظيم	٢٥٨
٢٤	قداس حلول الروح القدس	عيد العنصرة	٢٦٣
	أهم مراجع الكتاب		٢٦٨
	فهرس الكتاب		٢٧٠

الكتاب : المواعظ الإلهية (الكتاب الأول)

المؤلف : القمص لوقا الأنطونى

الطبعة : الثانية مارس ٢٠٠٠ م

المطبعة : طبع بشركة تريكروس للطباعة ٥٩٠٢٠٤٨ - فاكس ٥٨٩٦٦٥٥

النشر والتوزيع : مكتبة المحبة - ت : ٥٧٨٢٩٣٢

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٠ / ٤٢٩٦

الترقيم الدولى : 977-12-05005-5

أيها المعلم الصالح

ففي هذا الوقت الذي عرف فيه العليم الصحيح، بنسبنا انتفاضة تقويمنا إلى المعرفة الحقيقية. وفي هذا الوقت بالذات، نعلم بأشد الاحتياج إليك أنت أيها المعلم الصالح، نسبر بأشد الاحتياج إليك، لأن منك نسمع كلام الله: ورغم أنك ابن الله إلا أنك لم تترك عن نفسك بل الكلام الذي أعطاك لك الأب أعطيناه لك (يو ١٧: ١٧) وتعلمنا طبعاً إلى الآن أن يرمي الروح القدس لأجل تعليمنا، فبالتعب عنه هو يرشدنا إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما سمع يقول به. ياخذ مآلنا ويخرجنا (يو ١٦: ١٢، ١٣).

وهكذا أوصلنا لك بواسطة كلام الأب ذاته: توسعت في المعرفة جداً واستطاع الروح القدس الذي فناننا بعض كل شيء حتى أعماق الله (١: ٦-١٠).

وأدركت شكركم كلام الله كان من وراء تعليمكم بل على محمد الله. وهكذا استطعت أن أقول لليهود من يتكلم من نفسه يضل، محزونهم، أما من يضل ويحب الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم. (يو ١٨: ٢٠). وهكذا استطعت أن أقول لهاب أنا مجدك على الأرض وأظهرت اسمك لتلاميذ الذين أعطيني من العالم كانوا يسلكوا وأعطيتهم لي وقد حفظوا كلامك. (يو ١٧: ١١). وقد عرفتهم اسمك وسماهم فكان يكون فيهم السجود الذي حبستهم به. (يو ١٦: ٢٧). مجدنا من الناس لم نقبل. (يو ١٥: ١٦).

وإنما في كلامك أعطيت المجد كله الأب وقد أعطيت كل بعض الذي أعطاك لك الأب. (يو ١٧: ٢٢). ونحن يا مهدي لريد أن نسمع لك أن نتكلم في محبة. بهات عظميتك على العبد بكمالات التجميع قبلنا. أنك جميع الأرض. أنتم كل العالم. (مت ١٢: ١٥). إن تعليمنا يا مهدي مذكور بأعصار المحبة فكذلك تعلمنا وتعلمنا وتعلمنا. أيها المعلم الصالح، في هذا الوقت الذي عرف فيه العليم، نسبر بأشد الاحتياج إليك منسوبة في الأسماء: ويكون الجميع مطمئنين من الله. (يو ١٥: ١٤).

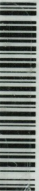
إلى المجد في كبريتك إلى الأبد آمين

مكتبة المكية

٣٠ ش شبرا - القاهرة

ت وفاكس: ٥٧٧٧٤٤٨-٥٧٥٩٢٤٤

Bibliotheca Alexandrina



1099243

٦٠٤١
٥/١٤٠٠